السلطان الروحي
في الكنيسة



والتقليد القانوني الكنسي
في إختيار وإقامة بابا الأسكندرية

مصطلحات ومعارف كنسية

- ٢ -

السلطان الروحي في الكنيسة

و

التقليد القانوني الكنسي

في اختيار وإقامة

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

بحث وثائقي كنسي

كتاب: السلطان الروحي
والتقليد القانوني الكنسي
في اختيار وإقامة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

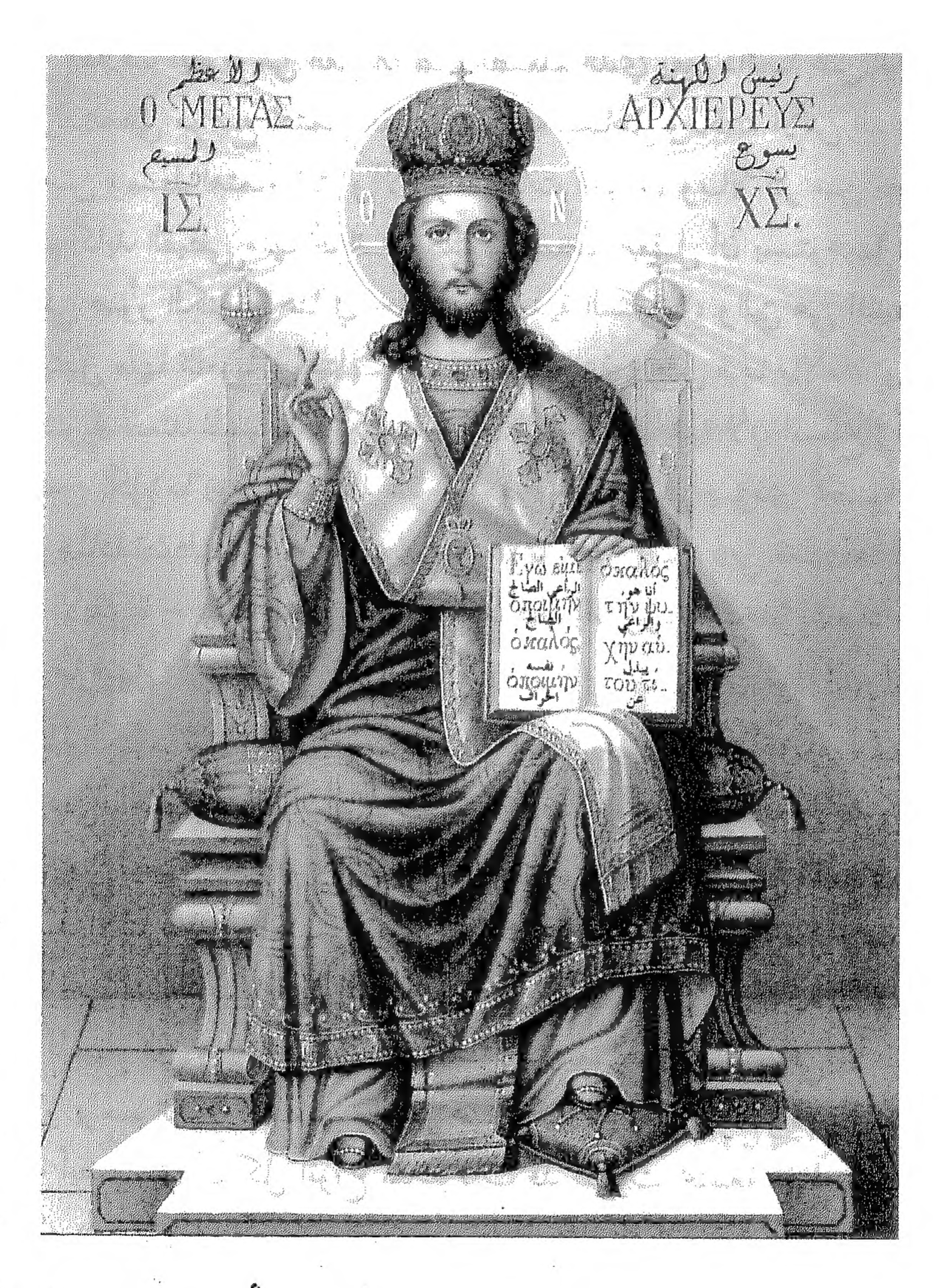
المؤلف: مؤلف كتاب التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة وترتيب نظام الكهنوت
(صدر في أبريل ١٩٩٧)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٨-١١٧٤٣

رقم الإيداع الدولي: ISBN 977-5545-14-5

مطبعة دار نوبار للطباعة

الطبعة الأولى ١٩٩٨



الرب يسوع المسيح رئيس الكهنة الأعظم

"الأسقف الكبير ورئيس الأسقفية والأول في طغمة الكهنوت ورأس الكهنة"

والذي له كل المجد والكرامة في كل جيل وإلى أبد الدهور .

صورة الغلاف

وجه الغلاف (أيقونة الصعود والكنيسة) من القرن السابع – دير باويط:

يمثل وجه الغلاف أيقونة من الفن القبطي الصميم الذي يُعبِّر دائماً عن الكنيسة التي كانت وما زالت هي موضع اهتمام القبطي وشغله الشاغل ومكانه الآمن الذي يلوذ به ويهرع إليه من وسط اهتمامات وآلام وضيقات الحياة، وبالأكثر من معاناة الحياة اليومية، وكم كابد القبطي منها ألواناً وصنوفاً يعجز العقل أن يستوعبها أويصدِّقها. والفنان القبطي صوَّر الكنيسة هنا في حقيقتها الأبدية السمائية، والتي هي للقبطي ينبوع لا ينضب، لينهل منها التعزية ويستلهم الصبر والشجاعة ويحس فيها بالأمان والسلام، إذ ينضم إلى عضوية جسد المسيح. فالكنيسة هذه هي حقيقة أبدية لأن المسيح رأسها حيٌّ في السماء يحس بكل ما يحدث لأبنائه على الأرض. فيقول لمن يؤذى عضواً فيها كما قال لشاول: «لماذا تضطهدني؟». ويقول لكل فاعل خير بهم: «بي فعلتَ». لذلك ظهر المسيح – في الأيقونة – رأساً أعلى للكنيسة وملكاً وإلهاً ورباً، متحداً بشعبه، ومتحسساً حياتهم بكل ما فيها.

وأما أعضاء الكنيسة الأولون فهم يقفون أسفل على الأرض في موضع الخضوع للمسيح – وعلى رأسهم – كلية الطهر القديسة العذراء مريم والدة الإله وهي تحمل الرب يسوع رمزاً لسر التجسد الإلهي، آية العهد الجديد وينبوع الفداء والخلاص، وحولها التلاميذ الاثنا عشر والقديس بولس الرسول، يمسك كل واحد منهم إنجيله أو رسالته التي أوحى له الله بها، فهم المرجع والأصل لكنيسة كل الأجيال، لأنهم الشهود العيان لقيامة المسيح التي هي محور إيمان المسيحيين ورجاؤهم النهائي الأخير. وعلى اليمين واليسار يرسم الفنان الشمس والقمر على شكل رجل وامرأة، وفي هذا المحفل تظهر الملائكة أيضاً. أي أن كل أنواع المخلوقات قد ظهرت مجتمعة. فالمسيح هو "ملك الخليقة كلها"، «وإياه (أي المسيح) جعل رأساً لكل شئ للكنيسة التي هي جسده ملء الذي يملأ الكل في الكل» (رسالة أفسس ١:٢٢،٢٣).

وهذه المعاني كلها هي محور الحديث في فصول هذا الكتاب. فهي أجدر ما تكون على غلاف الكتاب لتكون عنواناً لما يحتويه.

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

مُقَدِّمَة

لقد انشغل الكثيرون أخيراً بموضوع "السلطة في الكنيسة". كما تناول الكثيرون من غير المختصين وحتى من غير المنتمين إلى الإيمان المسيحي الموضوعات التي يتناولها هذا الكتاب، وعلى الأخص موضوع "انتخاب البابا الإسكندري"، مما جعل أخطر الموضوعات الكنسية عُرضة للتشويش والإفساد والخطأ، والوقوع في يد غير الدارسين وغير المتخصصين أو غير الجادين في تقصي الحقيقة.

لذلك كان هذا البحث الصغير في حجمه والمتعدد في مداخله، معتمداً على أقدم الوثائق الكنسية وأدق المراجع الكنسية. لعله يصل الأجيال بعضها بالبعض، ويجعل التقليد الكنسي القديم حاضراً متوارَثاً في جيلنا الحاضر بنفس بهائه ونضارته وطهارته.

والباحث مؤلف هذا الكتاب لا يزعم أن هذا البحث قد بلغ درجة من الكمال، بل هو يطرح القضايا والموضوعات كمداخل للمزيد من البحث والدراسة والتوسع. لعله يكون حافزاً للباحثين والعلماء والدارسين أن يكملوا ما نقص ويزيدوا ما كمل، وللمختصين والخدام العاملين يكون معاوناً ودليلاً وكاشفاً للحقيقة، ولغير العارفين نوراً.

والمجد لله أولاً وآخراً.



المحتويات

الباب الأول:

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

الباب الخامس

الباب الأول

السلطان الروحي
في
العهد الجديد

مُقَدِّمَة

إن السلطان الروحي في الكنيسة مصدره الوحيد هو سلطان المسيح.

هذا السلطان ناله المسيح من الآب ، ووهبه للبشر الذين آمنوا به بـالروح القـدس. أي للكنيسة التي هي جسده.

والكنيسة الأولى التي قبلت هذا السلطان كانوا هم الرسل الإثني عشر.

والرسل سلّموه للكنائس التي أسسوها، وهـذه الكنـائس أقـامت الأسـاقفة والقسـوس والشمامسة ليحفظوا ويسلموا الرسالة الرسولية.

والكنائس – من خلال هؤلاء – تمارس هذا السـلطان باسـم المسـيح وبحسـب مشـيئة الروح القدس.

وفي فصول هذا الباب نتعلم:

١.ماهية سلطان المسيح.

٢.ومعالم السلطان الممنوح من المسيح للرسل

٣.وطبيعة شهادة الرسل التي هي مصدر سلطانهم.

٤.ونماذج لتطبيق السلطان الروحي في الكنائس التي أسسها القديس بولـس الرسـول. وعدم مضادة هذا السلطان لحرية الروح القدس في الأفراد والكنيسة.

الفصل الأول

سلطان المسيح

إن السلطان الإلهي الذي عبَّر عنه دانيال النبي في رؤياه في العهد القديم (دا ٤: ٣٤، ٣٥): «**سلطانه سلطان أبدي** وملكوته إلى دور فدور. وحُسِبتْ جميع سكان الأرض كلا شيء. وهو يفعل كما يشاء في جند السماء وسكان الأرض. ولا يوجد من يمنع يده أو يقول له ماذا تفعل». هذا السلطان سلطان مطلق أبدي شامل مانع غير مستقصَى من أحد. هذا السلطان استُعلن مُشخَّصاً في الرب يسوع المسيح في العهد الجديد، كما يشهد بذلك الإنجيليون، الذين رسموا لنا صورة حياته على الأرض كما يلي:

١ – سلطانه بيد نفسه منذ طفولته:

لقد كان يسوع خاضعاً لوالديه (لو٢: ٥١)، لكن دون أن ينتقص هذا من سلطان يسوع كابن الله، إذ أنه خضع لمشيئة أبيه السماوي في البقاء في الهيكل ومحاججته لرؤساء الكهنة والكتبة – وهو بعد فتى الإثنى عشرة سنة – ولما انزعج والداه من ذلك أعلن لهم: «ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في بيت أبي» (لو٢: ٤٩)[1]، معلناً أن للابن **سلطاناً أن يبقى في بيت أبيه إلى الأبد** (يو٨: ٢٥)، **وواهباً للمؤمنين باسمه سلطاناً أن يصيروا أولاد الله** (يو١: ١٢).

٢ – سلطانه على مجريات الأمور حوله:

فهو وإن كان قد ظهر في الهيئة كإنسان، آخذاً حتى شكل العبد، لكنه لم يخضع أبداً لحتميات الشر التي أحاطت به وأرادت أن تودي بحياته قبل الوقت المعين ليسلم ذاته عن

---

(١) "في بيت أبي" وليس "فيما لأبي" حسب الترجمة الأدق.

حياة العالم بإرادته هو وسلطانه وحده:

ــ «ليس أحد يأخذها (حياتي) مني بل أضعها أنا من ذاتي. لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبي» (يو١: ١٨).

ــ «فطلبوا أن يمسكوه و لم يُلْقِ أحد يداً عليه لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد» (يو٧: ٣٠).

ــ «فقاموا وأخرجوه خارج المدينة (كفرناحوم)، وجاءوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل. أما هو فجاز في وسطهم ومضى» (لو٤: ٢٩).

ــ «قال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم قبل أن يكونَ إبراهيم أنا كائن. فرفعوا حجارة ليرجموه. أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى هكذا» (يو٨: ٥٨، ٥٩).

(أمام الوالي بيلاطس) وقت المحاكمة:

ــ «فقال له بيلاطس: أما تكلمني؟ ألست تعلم أن لي **سلطاناً** أن أصلبك **وسلطاناً** أن أطلقك؟ فأجاب يسوع: **لم يكن لك عليّ سلطان** البتة لو لم تكن قد أُعطيت من فوق» .(يو١٩: ١٠،١١).

(وفي التكريم أيضاً):

ــ «وأما يسوع فإذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف إلى الجبل وحده» (يو٦: ١٥).

٣ - سلطانه على الطبيعة:

في العهد القديم كان السلطان على الطبيعة محفوظاً لله العلي وحده.

ــ «الله المزحزح الجبال... المزعزع الأرض... الآمر الشمس فلا تشرق... الباسط السموات وحده، والماشي على أعالي البحار» (أيوب ٩: ٥ - ٨).

ــ «مَنْ صعد إلى السموات ونزل؟ من جمع الريح في حفنتيه؟ من صرَّ المياه في

ثوب؟ من ثبَّت جميع أطراف الأرض؟ ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت؟» (أمثال٣٠: ٤).

— هذا السلطان ظهر جلياً أنه بيد الرب يسوع:

— «ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم. فتعجب الناس قائلين أي إنسان هذا. فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه» (متى ٨: ٢٨، مر٤: ٢٤).

— «وفي الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر» (متى١٤: ٢٥، مر٦: ٤٨، ٤٩، يو٦: ١٩).

(وفي موته أيضاً)

— «وكان نحو الساعة السادسة. فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة. وأظلمت الشمس» (لو٢٣: ٤٤).

+ «والأرض تزلزلت والصخور تشققت» (متى٢٧: ٥١).

٤ – مضمون هذا السلطان : سلطان التعليم

لقد أتى يسوع إلى العالم وهو في هيئة العبد كإنسان، وكإنسان عادي أيضاً، ليس كمن هو موشح بمواهب ممتازة ولا كمن يتولى وظيفة مرموقة في أمته اليهودية. إنه لا يذكر شيئاً عن نسب وحَسَب له، لأنه كان يتبع نسباً من السماء، كما كان يشير دائماً إلى ذلك.

لم يكن يحمل لقباً يمكن أن يسبغ عليه وضعاً أو منزلة ما وسط المجمع اليهودي. ولكن التلاميذ من حوله والناس أسبغوا عليه لقب نبي[٢]، لكنهم ما كانوا قادرين أن يحددوا نشاطه داخل إطار النبوة فقط.

أما لقب المناداة "ربوني" أو "يا معلم" فقد ناله أيضاً من الذين كانوا معه ومن أتباعه بسبب تعاليمه الوافرة ووضعه الخاص وسط مجموعة من التلاميذ، لكن هذا لم يدفعه أن

(٢) المواضع التي ذُكر فيها عن يسوع أنه نبي: مت٢١: ٤٦ ، مر ٦: ١٥ ؛ ٨ : ٢٨ ؛ لو ٢٤ : ١٩ ؛ يو ٤ : ٩ ؛ ٩ : ١٧.

يطالب بوظيفة "معلم" الرسمية في المجمع ذات الحقوق الخاصة ليكون له السلطان الخاص رسمياً وسط باقي المعلمين. ولم يكن يستند في تعاليمه على آخر سوى شخصه هو وقراره هو؛ ولكن بالرغم من هذا فقد استقبل الناس تعليمه بثقة بالغة وسلطان راسخ. لقد كان يعلم مباشرة دون أن يبحث له عمن يؤيده ويستند إليه، بل كان يسلك ويتكلم بحسب إلهام اللحظة دون تخطيط سابق.

كملك كان يستدعي رعيته أن يتبعوه. وكان يتحدى الكتبة أن يواجهوه، مستغنياً عن تعاليم الرابيين وتأويلاتهم البعيدة عن روح الناموس.

وفي مجال حياته اليومية لم يكن معاصروه يرون يسوع كمن يبزّ قومه في نسك أو في غرابة المعيشة. بالعكس فإن الإنجيل يسرد لنا حياة المسيح بمنتهى البساطة: فهو يأكل حين يجوع، ويجوع حينما يصوم، وينام حينما يتعب، يخضع لوالديه، ويأتي طوعاً ليعتمد من يوحنا، وله في السماء آب يشكره ويطلب منه ويدين له بالطاعة الكاملة، وعلى الأخص حينما يوجد متروكاً من كل أحد. لكن حياته العادية كانت مضيئة بنور التعفف والرزانة والنسك الطبيعي عن كل ما هو جسدي. فلم يُكتب عن الرب مثلاً أنه ضحك، لكنه كان سيد المجلس حيثما حلّ، والصدر الحنون لكل من له ضيقة، والمرجع المريح لكل من حيَّره سؤال أو معضلة.

ولكن في كل هذا كان **السلطان** الذي يحوط بخدمته ذا طبيعة فائقة إذ كان واضحاً أنه ينبع من مصدر فائق على الأرض وعلى سلاطين الأرض. إن كلمة "سلطان" ذات مغزى قانوني أساساً، فهي تعني **الحرية التي يهبها أو ينالها الفرد لكي يمارس عملاً قانونياً ما**. وقد استخدمت في اليهودية كصفة خاصة للإله القادر على كل شيء بسلطان غير محدود، والآن وبهذا المعنى غير المحدود صار يوصف بها يسوع أنه يعلّم **بسلطان** ويعمل **بسلطان**.

ويرافق هذا التعبير لفظ **"قوات"** التي أطلقها الإنجيليون على القوى المعجزية الفائقة للطبيعة والبشر والتي كان يمارسها الرب يسوع. والفرق بين السلطان والقوة أن **السلطان** يمثل القدرة على عمل سواء كان هذا العمل روحياً أو جسدياً بفاعلية تلقائية، حتى أن مقاومة هذا السلطان لا يمكن أن تدوم؛ أما **القوة** فهي التعبير العملي عن هذه

القدرة.

هذه الربوبية التي مُسحت بها أعمال يسوع وكلامه أثارت في الناس الخوف والرهبة أحياناً والدهشة والفرح أحياناً أخرى في مواجهة الفعل الجديد أو التعليم الجديد، وقد عبَّر عنه الإنجيل هكذا:

(بعد أن طرد باعة الحمام والصيارفة من الهيكل بسلطان عظيم):

— «وكلموه قائلين: قل لنا بأي سلطان تفعل هذا. أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان؟» (لو٢٠: ١).

— «فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة» (مت٢٢: ٤٦).

— «وأما هم فلم يفهموا القول وخافوا أن يسألوه» (مر٩: ٣٢).

— «ولم يجسر أحد بعد ذلك أن يسأله» (مر١٢: ٣٤).

— «ولم يتجاسروا أيضاً أن يسألوه عن شيء» (لو٢٠: ٤٠).

— «فأخذت الجميع حيرة ومجّدوا الله وامتلأوا خوفاً قائلين إننا قد رأينا اليوم عجائب» (لو٥: ٢٦).

— «وإذ قال هذا أخجل جميع الذين كانوا يعادونه. وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه» (لو١٣: ١٧).

٥ – سلطانه على الشياطين والأرواح

إن تأثير **سلطان يسوع** لم يكن قاصراً على تصحيح الجانب الروحي الخلقي في الإنسان، بل امتد بصورة مؤكدة في المجال غير البشري أي إلى الشياطين والأرواح النجسة. فإن يسوع كان يحوز هذا السلطان على الشياطين:

— «وإذ قال هذا أخجل جميع الذين كانوا يعادونه. وفرح كل الجمع بجميع الأعمال المجيدة الكائنة منه» (مر١: ٢٧).

وقد أعطى هذا السلطان أيضاً لتلاميذه:

ــــ « ثـم دعـا تلاميـذه الاثـني عشـر وأعطـاهم سـلطاناً علـى أرواح نجسـة حتـى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف» (مت١٠: ١، مر٦: ٧).

ــــ «ودعا تلاميذه الاثني عشر وأعطاهم قوة وسلطاناً على جميع الشـياطين وشـفاء أمراض» (لو٩: ١).

٦ – سلطانه الظاهر في التعليم

أوضح ما في حياة يسوع كان سلطانه كمعلم وكارز. فهذا هو السبب الذي من أجله «أرسل» (لو ٤: ٤٣).

ــــ «كان يعلمهم **كمن له** سلطان وليس كالكتبة» (مر ١: ٢٢).

هكذا يبدأ القديس مرقس سرده لأعمـال المسيح حين ظهـوره في كفرنـاحوم. ويـا للحيرة والدهشة التي صاحبت هذا الظهور. لقد كان انطباع الناس من تعليم يسوع أنـه «تعليـم جديـد... **وبسـلطان**» (مـر ١: ٢٧)، «فوقعـت دهشـة علـي الجميـع وكـانوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين ما هذه الكلمة. **لأنه بسلطان وقوة يـأمر** الأرواح النجسـة فتخرج» (لو ٤: ١٦).

وفي إنجيل القديس متى أتى نفس هذا الوصف في نهايـة العظـة علـى الجبـل: «بُهتـت الجموع من تعليمه، **لأنه كان يعلمهـم كمـن لـه سـلطان** وليـس كالكتبـة» (مـت ٧: ٢٨، ٢٩).

إن القديس متى لا يركز هنا على الصياغة الخارجية لكلمات يسوع، أو العمق الفريد أو الأفكار الجديدة التي تميزها عن تعاليم الكتبة التقليديـة، ولا في سـرعة بديهتـه وغيرتـه التي كان بها يهزم بها مُحاوِره في الحديث. ولكن العبرة في إيجاز كلمات يسوع كـانت تكمن في قوة شخص يسوع نفسه وحقيقته الأزلية، التي أضفت على الكلمات البسـيطة سلطاناً غريباً عن سلطان الكتبة والفريسيين، ذلك لأنه هو هـو النـاطق قديمـاً في الأنبيـاء والناموس! فكم يكون سلطان الشارح للناموس إن كان هوهو نفسه واضـع النـاموس؟! هذا ما اعتنى القديس متى أن يُظهره.

وفي تعليم يسوع انهار كل الكيان الناموسي كما كان قائماً في أذهان اليهود بتفسيرات الكتبة والفريسيين؛ لم يعد له مزيد من الدور ليؤديه. إن مشيئة الله المقدسة الأزلية التي أعلنها يسوع بأجلى بيان أمام عامة الناس، قضت على كل زيف وباطل كان يتلفح به الناموسيون والأتقياء من اليهود. وتزعزعت أيضاً الطمأنينة الكاذبة التي غرسها برّ الناموس في قلوب الماهرين في التمسك به. صار الإنسان يرى نفسه في حضرة الدينونة الآتية عرياناً بلا شفيع، اللهم إلا إذا زاد برُّه على الكتبة والفريسيين- أي على برّ نخبة الأتقياء والعارفين بأصول الشريعة. نعم... ولن يدخل ملكوت الله أيضاً إلا من زاد برُّه على بر الكتبة والفريسيين، ذلك أنه مع الوعيد بالدينونة كان هناك أيضاً الوعد المبارك بالملكوت أيضاً ، وهذا هو الجانب الآخر من كلمات يسوع، الوعد الذي فتح أمام الناس أبواب الرجاء وإمكانية الدخول إلى حضرة الله: «العُمي يُبصرون والعُرْج يمشون والبُرَّص يُطهَّرون والصُّم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يُبشَّرون» (لوقا ٧: ٢٢) ، «توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات» (مت٤: ١٧).

وها هو العالم العتيق يشرف على الزوال، والدينونة وحُكْم الله قاب قوسين أو أدنى. هذا ما نادى به يسوع. وهنا نرى الجانب الجديد من سلطان يسوع: **المناداة بالتوبة والتبشير بالدهر الجديد**. ففي أعمال يسوع اضطرت الشياطين أن ترى سلطانها يندحر "قبل الوقت" (مت٨: ٢٩)، وأن قدوس الله قد أتى ومعه أقبل الدهر الجديد (مر١: ٢٤).

٧ - سلطان يسوع ضد الخطية

أما رد الناس على هذه المناداة الجديدة، فكانت **الإيمان**. فالمسيح بمطالبته الناس بالإيمان قدم مفتاح السر الذي به يمكن قبول **سلطان يسوع** وهو في تواضع جسد بشريته. فشخص الرب إلهي، لكن هيئته بشرية، ولهذا فبدون الإيمان يعثر فيه الناس أو يصطدمون به أو يشكّون فيه. والمسيح بتقديمه **الإيمان كشرط لقبوله** جعل دعوته متاحة لكل إنسان وأبواب الملكوت مفتوحة بدون تمييز أمام كل من يسمع له، وليس فقط للأتقياء والأبرار وعارفي الأسرار. فالخارجون على الناموس، والضّالون والمفقودون، والخطاة، كل هؤلاء لهم النصيب الأول في ملكوته: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل

المرضي. لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة» (مر٢: ١٧)، «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك» (لو ١٩: ١٠).

وهكذا وعلى ضوء البشارة بملكوت الله، انتفت ليس فقط الرسوم الناموسية الدقيقة وحاجز الشريعة المصطنع، بل وأيضاً كل تفريق وتمييز بين إنسان وإنسان على أساس برّه بالناموس. الخطية أيضاً قد سقط عنها قناعها، وقوى الشيطان تهاوت، وبعمل يسوع تم إشهارهما، أي فضح الخطية والشيطان، كمغلوبين ومسلوبي القوة، والموت انكسرت شوكته و لم يعد سيداً بعد. كل هذا صار مُعلناً بقوة وسلطان لأول مرة في تاريخ البشرية الرازحة المستكينة تحت ثقل خطاياها منذ آدم.

لقد أكل المسيح على مائدة واحدة مع العشارين والزواني[٣]. وبسلطان فائق أعلن غفران الخطية للإنسان، مرة لرجل ومرة لامرأة[٤]. ففي حالة المرأة التي أُمسكت في زنى نجد أن **سلطان يسوع وقف في مواجهة الناموس بحروفه الصماء**، بل بالأحرى تضاد معه، إذ بينما كان يحتم الناموس عقاب المرأة، نطق هو بالبراءة: «**ولا أنا أدينك**» (يو ٨: ١١).

و لم يكن الأمر مواجهة بين يسوع والناموس فحسب، بل إن النطق بالبراءة كان يضع يسوع – في عرف التقليد اليهودي – في مكان **لا يشغله إلا الله فقط**: «من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده» (مر ٢: ٧). وهنا يرد يسوع عملياً على هذا السؤال: «أيهما أيسر أن يقال للمفلوج مغفورة لك خطاياك أم أن يُقال قُم واحمل سريرك وامش. ولكن لكي تعلموا أن لابن الإنسان **سلطاناً** على الأرض أن يغفر الخطايا قال للمفلوج: لك أقول قم واحمل سريرك واذهب إلى بيتك. فقام للوقت وحمل السرير وخرج قدام الكل» (مر ٢: ٩ – ١١).

---

(٣) مر ٢ : ١٦؛ مت ١١ : ١٩؛ لو ١٩ : ٧ .

(٤) مر ٢ : ٥؛ لو ٧: ٤٨؛ يو٨ : ١١ .

سلطان الرب يسوع إلهي حقاً.

ولكن برهان ذلك ليس بالحجة ولا بالكلام ولا بالمنطق:

لم يكن يسوع محتاجاً البتة أن يؤيِّد سلطانه لمغفرة الخطايا بسند رسمي من أي نوع، **لأن سلطانه كان يتبرهن بأعماله ويفصح عن نفسه بسلطان ناطِقِه.**

بل بالعكس فقد زاد الرب على ذلك **أن منح هذا السلطان أيضاً للناس**، وهذا هو السبب أن الجمع الذي تأثر بالنطق الإلهي بمغفرة الخطية عظَّم الله «**الذي أعطى الناس سلطاناً مثل هذا**» (مت ٩: ٨)، وقد قصد القديس متى أن يورد قول الناس كما هو ليبين **أن الله فعلاً سلم سلطانه لغفران الخطايا إلى مجتمع البشرية الجديدة – الكنيسة – وهذا أعظم ميراث سلمه يسوع بسلطان للبشرية المؤمنة باسمه.**

ونفس الأمر يمكن أن نراه في حادثة قطف تلاميذ المسيح سنابل القمح من الحقل. فإن يسوع ينتهز فرصة تساؤل المشتكين ليعلن **سلطان ابن الإنسان الذي هو "رب السبت"** أيضاً. **وبذلك يفض** سر الناموس وسر شخصه بآن واحد، ثم يقدم إجابة تتصل بالبشرية جمعاء، إذ يقول إن «السبت وُضع لأجل الإنسان لا الإنسان لأجل السبت» (مر ٢: ٢٧). هذه الإشارة إلى مؤالفة ما هو أزلي مع ما هو عرضي بآن واحد، إلى مصالحة ما لا يُنقض مع خلاص الإنسان وحريته، هو سمة واضحة تتغلغل كل تعليم يسوع وتميز سر شخصه الإلهي.

هذا السلطان الجديد الذي يهبه أيضاً للبشرية لا يمكن ممارسته إلا بالإيمان[٥]. فإن كان للتلاميذ إيمان "مثل حبة خردل" لاستطاعوا أن يشفوا المرضى ويطردوا الأرواح النجسة (مت ١٧: ٢٠)، ويزحزحوا الأشجار وينقلوا الجبال (مر ١١: ٢٣)، «لأن كل شيء مستطاع للمؤمن» (مر ٩: ٢٣).

٨ – سلطان المسيح على الموت

أما **سلطان يسوع على الموت**، فقد مارسه الرب بإقامته للموتى ثلاث مرات في

---

(٥) وفي معرض الحديث عن الإيمان لم نقرأ أبداً شيئاً عن " إيمان يسوع " بل قرأنا دائماً عن يسوع يقول لتلاميذه : "آمنوا بي" .

حياته[٦] ومرة عند موته[٧]، ثم أزاد على ذلك تسليم سلطان الحياة والقيامة للناس بالإيمان والكلمة والأسرار:

— «أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا. وكل من آمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو ١١: ٢٥).

— «إن كان أحد يحفظ كلامي فلن يرى الموت إلى الأبد» (يو ٨: ٥١).

— «كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير» (يو ٦: ٤٠).

— «أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد » (يو ٦: ٥١و٥٨).

وهكذا وقف يسوع منادياً البشرية العتيقة الميتة، معلناً لها بُشرَى الحياة والملكوت والقداسة مشخصة في نفسه. فهو نفسه "آية" هذا الملكوت (مت ١٣: ٣٨)، وملكوت الله هو نفسه **يسوع داخلنا** (لو ١٧: ٢١). ففي يسوع تتمجد بشريتنا وتتجلى في القيامة، شئ لم يُسمع به من قبل (مت ١١: ١١).

لم يكن يسوع مثل أي نبي سابق ينتظر حلول روح الله عليه ليبدأ رسالته بالوقوف إلى جانب حق الله، **بل أعطى هو الروح القدس لتلاميذه وأرسلهم بسلطان ليبشروا المسكونة كلها:**

— «فتقدم يسوع وكلمهم قائلاً: **دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا** وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس. وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» (مت ٢٨: ١٨ – ٢٠).

لم يفصح يسوع عن دقائق طبيعة شخصه، بالرغم من كثرة التأويلات حول شخصه

(٦) لو ٧ : ١١ – ١٧؛ ٨ : ٤٩ – ٥٦؛ يو ١١ كله .

(٧) متى ٢٧ : ٥٢ .

التي تبارى معاصروه في تقديمها عنه[٨]. البعض تشككوا فيه والبعض رأوا فيه من سيحقق أحلام مستقبلهم. وحتى هؤلاء الأخيرون لم ينصاعوا وراءه بلا تحفظ، وحتى أعز تلاميذه هجروه في النهاية، حينما رأوه يموت.

ولكن في القيامة كان في الإمكان تجاوز كل هذا. ذلك لأن اسم يسوع صار يُنادَى به بدون مواربة أو إخفاء، ولكل إنسان، فالرب يسوع هو المسيَّا والفادي وابن الله ورب السماء والأرض وملك الدهور. واسمه هو قوة للخلاص والشفاء ودحر الشياطين. وهو الذي «ليس اسم آخر غيره تحت السماء أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص»، أما معضلة شخصه فقد حُلت ، والاعتراف بلاهوته حل محل التخمين والشك، وعلى الاعتراف باسمه تأسست البشرية الجديدة أو "**الشعب**" الجديد. وهكذا صار يُنادَى بالاسم الجديد الذي يحمله الإنسان منذ المعمودية.

إن اسم «المسيح» الذي يُطلَق على المؤمنين بكلمة "مسيحي" هو اسم ممنوح من الله للمؤمنين ليكون سبب قوة وتعزية بناءً على وعد المسيح.

أما طبيعة يسوع وقداسته فلم تعُد من مسميات الماضي، ولا ظلت قرينة شخصه فقط أو حبيسة قبره مثل باقي الرسل والأنبياء، **فقبره هو الوحيد الفارغ اليوم الذي يشهد لحياته التي امتدت عبر الأجيال لتسري في البشرية جمعاء**، ولسلطانه الذي ما زال يمارس وجوده من خلال كنيسته في المسكونة كلها:

ـــ «من آمن واعتمد خلص... وهذه الآيات تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيات، وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم. ويضعون أيديهم على المرضى فيبرءون» (مر ١٦: ١٦).

---

(٨) مت ١١ : ٣؛ ١٢ : ٢٣؛ مر ٦ : ٢؛ ٦ : ١٤ – ١٦ و ٨ : ٢٧؛ لو ٤ : ٤١ و ٥ : ٢١ .

الفصل الثاني

من هم الرسل ؟ وما هي إرساليتهم ؟

حيثما يُذكر اسم "الرسل" يفهم المؤمن المسيحي للتو أنهم رسل الرب الإثنا عشر. وهذا حق، فإن "الإثني عشر" هم أقدم جماعة مسيحية، وأكثر من ينال الكرامة في الكنيسة على مدي الأجيال[1].

والقديس مرقس الإنجيلي يذكر أن الرب يسوع "أقام الإثني عشر"[2]، وبعد أن دعاهم ائتمنهم علي الرسولية والكرازة. أما القديس لوقا فهو يصرِّح بأن الإثني عشر صاروا – بعد صعود المسيح وإرسال الروح القدس – مؤسسي الكنيسة المسيحية الأولى ورؤساءها الأوائل.

فماذا كان في ذهن الرب يسوع عن هؤلاء الإثني عشر؟ وما هي الأهمية التي أسبغها عليهم، حتى أنه ميزهم عن سائر التلاميذ؟

لقد اعتبرهم الرب أنهم **مرافقون شخصيون** له : "أقام اثني عشر ليكونوا معه"[3].

---

(١) موضع الرسل في طقس التسبيح والتكريم في الكنيسة يأتي بعد السمائيين وقبل الشهداء – ولا يتقدم عليهم إلا القديسة العذراء مريم والدة مخلصنا الصالح والقديس يوحنا المعمدان باعتباره أول من بشّر بمجيء المسيح.

(٢) مر ٣ : ١٤ – أما دعوة بعض الإثني عشر فهي واردة في الأناجيل علي النحو التالي:

سمعان وأندراوس: (متى ٤ : ١٨ – ٢٠، لو ٥ : ٤ – ٩، يو ١ : ٣٥ – ٤٢)؛ فيلبس ونثنائيل: (يو ١ : ٤٣ – ٥١)؛ يعقوب ويوحنا ابني زبدي: (مت ٤ : ٢١ – ٢٢، لو ٥ : ١٠و١١)؛ متى: (مت ٩ : ٩)؛ أما أسماء الإثني عشر فهي واردة في مت ١٠ : ٢ – ٤، وأعمال الرسل ١ : ١٣.

(٣) مر ٣ : ١٤.

وهم **المبعوثون الشخصيون له** نحو الشعب، المزوَّدون بالسلطان[٤]. أرسلهم الرب قبل موته[٥]، ثم جدد إرساليتهم بعد القيامة[٦].

وهم الذين كان عددهم يقابل عدد أسباط إسرائيل الإثني عشر. وهذا يعني أن امتداد إسرائيل القديم أصبح هم الرسل كرؤساء عشائر إسرائيل الجديد، أي الكنيسة، والمجد الحقيقي لإسرائيل الجديد سوف يُستعلن يوم المجيء الثاني للمسيح بمجد عظيم، حينما يُستعلن أيضاً ملكوت الله. فهذه هي إسرائيل الجديدة التي يمثلها "الإثنا عشر"، علي مثال الإثني عشر رؤساء الآباء في العهد القديم.

وبسبب هذا المفهوم أحس التلاميذ أنه لابد من رأب الصدع في عددهم الإثني عشر، الذي حدث بسبب موت يهوذا الخائن. لذلك يبدأ القديس لوقا سفر الأعمال بذكر قصة اختيار "متياس" بديلاً ليهوذا "ابن الهلاك"[٧]، ليؤكد هذه العقيدة.

لكننا نلاحظ أن هذه الممارسة لم تتكرر بعد ذلك، إذ أنه بعد استشهاد يعقوب الرسول[٨] لم تقم ضرورة لتكميل العدد ١٢، لأن الأهمية الحقيقية التي لا تنتهي بالنسبة للرسل الإثني عشر لم تكن مرتبطة علي الإطلاق بحياة الجماعة المعاصرة، فوظيفتهم لم تكن بمثابة مجلس كنسي دائم لابد من تعيين بديل لمن يُفقد من أعضائه. بل إن أهميتهم كجماعة كانت من نوع مختلف. ذلك أن الإثني عشر، كجماعة، تكونت من أجل ملكوت الله الآتي، وواجبهم الحقيقي سوف يمارسونه في اليوم الأخير، حينما يجلسون علي كراسي يدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر[٩]. ولعله كان من نتيجة هذا الفهم،

---

(٤) لو ٩ : ٥٢ : «وأرسل أمام وجهه رسلاً وهو منطلق إلى أورشليم»؛ ولو ٩ : ١و٢ : «وأعطاهم قوة وسلطاناً علي جميع الشياطين وشفاء أمراض. وأرسلهم ليكرزوا بملكوت الله ويشفوا المرضي». ويستطيع القارئ أن يرجع للمواضع الآتية من الإنجيل ليقرأها قبل المضي في قراءة هذا الفصل: عن رسالتهم التمهيدية : مت ١٠ : ٥ - ٤٢؛ وعن رسالتهم النهائية : مت ٢٨ : ١٨ - ٢٠؛ مر ١٦ : ١٥ - ١٨؛ لو ٢٤ : ٤٧ - ٤٨؛ أعمال الرسل ١ : ٢٨.

(٥) لو ٩ : ١ - ١٠.

(٦) يو ٢٠ : ٢١؛ مر ١٦ : ١٥؛ مت ٢٨ : ١٩.

(٧) يو ١٧ : ١٢.

(٨) أع ١٢ : ٢.

(٩) لو ٢٢ : ٣٠، مت ١٩ : ٢٨.

لتوقُّع الرسل لهذه الساعة التي فيها سينالون مجدهم الحقيقي؛ أنهم كانوا يرون أنه لا يصح أن يبرحوا أورشليم[١٠]. لقد استمروا يلازمون المدينة المقدسة كعلامة تعلن ما هو مزمع أن يتم من جهة تحقيق ملكوت الله.

وعلي هذا الاعتبار أيضاً اعتُبر الرسل فيما بعد بمثابة رؤساء ومدبرين على الكنيسة المسيحية الأولي في أورشليم نفسها.

إلا أن الدافع الأول الذي بموجبه رأس الرسل الكنيسة المسيحية الأولي، فهو أنهم كانوا هم **الشهودِ الأوائل لقيامة المسيح، بمقتضى ظهور الرب يسوع القائم من الأموات لهم أولاً.**

الرسل هم شهود القيامة، والمبشرون بحياة الدهر الآتي :

إذا تصفحنا الأناجيل الأربعة في إصحاحاتها الأخيرة ثم سفر أعمال الرسل، لوجدنا أن جماعة الرسل الأولين كانت هي المصدر الوحيد الذي خرجت منه تلك "الشهادة" الحاسمة التي بُنيت عليها المسيحية. هذه "الشهادة" هي "الشهادة لقيامة الرب يسوع المسيح من بين الأموات". وقد كان ظهور المسيح لهم بنفسه وبصورة محسوسة، بعد قيامته، هو نقطة الانطلاق الراسخة للكرازة الأولى بالمسيح.

ثم أننا نلحظ أيضاً أن شهادة "**المسيح قام**" هذه، كان يلازمها شهادة أخري ملازمة وهي : "**ونَنتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي**". حقيقتان باهرتان، الأولي تحققت في الزمان ونظرت برؤيا العيان، والثانية تُري بالرجاء وهي موضوع اشتياق المؤمنين. هاتان الحقيقتان صارتا مرتكز إيمان جماعة المسيحيين الأوائل في فجر الزمان المسيحي، وبهما حُلَّت معضلة شخص المسيح، بعد أن كانت مثار تساؤل الناس وحيرتهم. فها قد اتضح الآن أن "يسوع" القائم من الأموات هو الإله الحي، والمخلِّص، والرب المحيي، هو المسِّيا وابن الإنسان بآن واحد، وهو الذي سيأتي ثانية في مجده علي السحاب في انقضاء هذا الزمان الحاضر، ليدين الأحياء والأموات، وليجمع مختاريه ليؤسسوا نواة ملكوت

---

(١٠) أع ١ : ٤ و ٨ : ١.

الدهر الآتي، أو الخليقة الجديدة.

لقد كان في توقعات شعب إسرائيل، في زمن الأنبياء، أن المسيَّا سيأتي، ويجمع شعبه المختار في مُلكه الأبدي. وها هو الروح الفياض، روح القداسة، الذي تنبأ عنه الأنبياء القدامى، قد انسكب علي كل من آمن واعتمد باسم الرب يسوع. وصار تحقيق وعود الله التي وعد بها شعبه من خلال الأنبياء اختباراً واقعياً لشعب الله الجديد، تختبره جماعة صغيرة من تلاميذ يسوع.

وهكذا أصبحت رسالة "قيامة يسوع" واجبة التعريف بها والإعلان عنها "إلى العالم أجمع" (مر ١٦ : ١٥). وعليه، لم تحتفظ جماعة الرسل الأوائل بهذه "الشهادة" لنفسها، بل تحولت إلى الخارج لتكرز وتعلن القيامة. وحتى بالرغم من أن هذه الجماعة الصغيرة لم تنجح في كسب اليهود أو الجزء الأكبر منهم إلى المسيح، إلا أنها لم تسمح لنفسها بالسكوت، بل انتشرت في كل مكان، بقوة نارية وفي كافة الاتجاهات.

الكنيسة ودورها في تكميل تدبير الله الخلاصي

لقد كان يملأ قلوب المسيحيين غيرة حية، وكان مبعثها الرسالة الحية التي فجَّرها ذلك الحدث التاريخي الباهر "**القيامة**". وفي الحال صار لهذه الجماعة المكانة المحددة والدور الشرعي في تاريخ تدبير الله لخلاص العالم. وبالتالي صار للكنيسة الوليدة السمة والشكل والبنيان التنظيمي كجماعة، حيث فيها يظهر التباين بين أفرادها، فيكون لكل فرد فيها دوره الخاص الذي يؤديه من أجل بنيان ملكوت الله. هذا التباين الفردي أعطى مجالاً للروح أن يعمل من أجل الوحدة والوفاق والتآلف بين أعضاء الجسد الواحد من خلال هذا التباين الذي بينهم. لذلك فإذا تأملنا في كنيسة الرسل، فإننا نجدها وليس فيها نقص أو عجز في الشخصيات البارزة، بل بالعكس نجد وفرة في الأسماء، حيث لكل اسم موهبته الخاصة، وهذا التباين في الأشخاص ومواهبهم لم يكن مجرد ظاهرة عفوية لاختلافات خِلقية بين طبائع الأفراد ومواهبهم، بل اتضح أنه كان ضرورة في نشأة الكنيسة نفسها، وكان يشكل جانباً أساسياً في قصة نشأتها، ومجالا خصباً لعمل الروح القدس داخل الكنيسة الوليدة.

طبيعة سلطان الرسل ومركزهم الفريد في الكنيسة

والذي ينبغي أن نفهمه أولاً، هو أن الرسل كانوا – تاريخياً – موجودين قبل وجود "الكنيسة" في شكلها التنظيمي المحدد، وسلطتهم كانت سلطة سابقة وخارجة عن الكنيسة[١١]، عليها تأسست الكنيسة وبموجبها تحددت رسالتها، ذلك لأن سلطان الرسل نابع من حادثة تاريخية ورؤية عيان لها، انفردوا هم بها، وعلى أساسها تكونت الكنيسة، وبدونها ما كان يمكن للكنيسة أن تقوم. هذا الامتياز الرسولي الفريد، لم ينله أيٌّ من رجال الكنيسة بعد انتقال الرسل، بل ما تسلمته الأجيال المتعاقبة فيما بعد كان هو الإيمان بخبر القيامة، ذلك هو المسمى بإيمان الرسل، وتعهدت بالحفاظ عليه وتسليمه، ولذلك أقامت من بينها الأساقفة والكهنة ليشهدوا له ويكرزوا به.

القديس بولس الرسول نفسه استلم الإيمان بهذا الخبر من الجماعة الرسولية الأولى، باعتبار أن الإيمان بخبر قيامة المسيح من الأموات هو عامل على أكبر جانب من الأهمية في تقليد الإنجيل. ثم سلّم بولس بالتالي هذا الإيمان لجماعات الأمم التي كرز لها وبشّرها، كما يقول: « وأعرّفكم أيها الأخوة بالإنجيل... فإنني سلّمت إليكم في الأول ما قَبِلْتُه أنا أيضاً أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دُفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب، وأنه ظهر لصفا وللإثني عشر »[١٢].

وبالمثل فإن القديس يوحنا اللاهوتي في رؤياه – في أواخر القرن الأول – رأى "الإثني عشر" كأساسات لمدينة الله الأبدية، بينما الإثنا عشر باباً للمدينة كانت تحمل أسماء أسباط بني إسرائيل الإثني عشر، وسور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الإثني عشر[١٣]. وأساس الكنيسة معتبر – في رسائل القديس بولس الرسول –

---

(١١) هذه الحقيقة ذات أهمية كبرى في دراستنا فيما بعد لطبيعة سلطان الكهنوت في الكنيسة، ذلك أن سلطان الرسل هو السلطان الوحيد السابق على الكنيسة لأنه مؤسس على حقيقة تاريخية انفرد برؤيتها الرسل، وصاروا هم الشهود الوحيدين لها أمام الكنيسة.

(١٢) ١ كو ١٥ : ١ – ٤.

(١٣) رؤ ٢١ : ١٤و١٥.

أنه الرسل[١٤].

هذه الأهمية الخاصة للدور الذي قام به الرسل، كان معروفاً ومعترَفاً به منذ الجيل الأول للمسيحية، وتثبَّت لهم هذا الدور إلى الأبد كأساسات راسخة لبنيان الكنيسة المسيحية.

علي أننا نجد تركيزاً واضحاً على أسماء معينة من بين أسماء الرسل الإثني عشر، مثل اسم "بطرس" الذي سماه الرب "صخرة" و "كيفا" و "صفا" التي كان يريد المسيح من وراء هذه التسمية أن يكني عن نوع شخصيته؛ تماماً كما لقب ابني زبدي بلقب "ابني الرعد". وغير هؤلاء من الأسماء التي تردد ذكرها كثيراً في الكتابات الرسولية.

القديس بطرس الرسول :

لقد نال بطرس الرسول امتيازاً خاصاً، إذ كان أول من ظهر له المسيح إثر قيامته من الأموات[١٥]. وقد دُعي بطرس أولاً مع أخيه أندراوس ليكون صياداً للناس[١٦]. وقد أعطى الرب لبطرس مهمة الكرازة لأهل الختان[١٧]. لكن هذا لم يمنع أنه كان هناك بعض الكنائس من الأمم التي كرمت القديس بطرس كرسول لها[١٨]. كما أنه أعطي تأييده الشخصي لقضية تغيير وجهة الكرازة من اقتصارها علي اليهود فقط إلى شمولها للأمم أيضاً.

ثم إننا نري القديس بطرس يأخذ مكانه وسط التلاميذ والكنيسة كمتكلم باسم الجماعة[١٩]. ولكن هذا الوضع أبعد ما يكون عن كونه سنداً لمن يسبغون علي الرسول بطرس نوعاً من الرئاسة الإدارية أو الكهنوتية أو حتى الروحية على كنائس العالم كله،

(١٤) أف ٢ : ٢٠.

(١٥) ١ كو ١٥ : ١ - ٤.

(١٦) لو ٥ : ١٠.

(١٧) غل ٢ : ٧.

(١٨) أع ٨ : ١٤؛ ١٠ : ١ - ٤٨ (البشارة لكرنيليوس)؛ ١٥ : ٧ (يشير إلى الكرازة لكرنيليوس).

(١٩) أع ١ : ١٥ (في انتخاب متياس)؛ ٥ : ٢ (في حكمه علي حنانيا)؛ ١٥ : ٧ (في حديثه لمجمع الرسل الأول).

ولا كان هذا يعني أنه كان بمثابة أسقف علي الكنيسة الأولي في أورشليم. وحتى حينما أتى القديس بولس الرسول إلى أورشليم وكان يرنو أن يتعرف بصفا[٢٠]، لم يذكر أن بطرس كان رئيساً لمجمع الرسل، لكن بولس ذهب إلى أورشليم ليتعرف علي بطرس كشاهد أول على قيامة المسيح وبصفته الشخصية. وبجانب محادثته مع بطرس الرسول تكلم أيضاً مع يعقوب أخي الرب[٢١]. وعن زيارته الأخيرة بعد ذلك تكلم بولس عن الرسل "المعتبرين"، وهم كما ذكرهم القديس بولس :« يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة»[٢٢]، هؤلاء الأعمدة الذين حملوا الكنيسة وعليهم استقر البنيان الأول. غير أن بطرس ترك أورشليم بعد ذلك[٢٣]، حيث نال الاستشهاد في روما.

يعقوب أخو الرب :

في أورشليم كان واضحاً أن يعقوب أخا الرب بدأ يستلم مهمة تدبير الجماعة المسيحية الأولى[٢٤]. كما أن يعقوب نال امتياز رؤية المسيح القائم من بين الأموات[٢٥]. وهذا الظهور الخاص أعطى له سلطاناً ومركزاً خاصاً بين جماعة الرسل، كما يشهد بولس الرسول، لأن اسم يعقوب يتبع في قائمة شهود القيامة اسم بطرس والإثني عشر[٢٦].

وقد خضع بطرس الرسول لقوم أرسلهم يعقوب، بأن امتنع عن مخالطة الأمم[٢٧]. ويصوِّر سفر الأعمال يعقوب أخا الرب كشخصية وحيدة ظاهرة بين الشيوخ وكنيسة

---

(٢٠) غل ١ : ٨.

(٢١) غل ١ : ١٩.

(٢٢) غل ٢ : ٩.

(٢٣) أع ١٢ : ١٧.

(٢٤) هناك جدل حول مركز يعقوب أخي الرب بالنسبة للإثني عشر وهل كان منهم أم لا، وهذا ليس من اختصاص البحث الحالي.

(٢٥) ١ كو ١٥ : ٧.

(٢٦) ١ كو ١٥ : ٧.

(٢٧) غل ٢ : ١٢.

أورشليم الأولى، فهو يمثل اليهود المؤمنين بالمسيح حديثاً[٢٨] الذين كانوا ما يزالون يحافظون على السنن والقوانين اليهودية حتى بعد دخولهم المسيحية.

أما في التقليد التاريخي[٢٩]، فهو معتبر أنه "الرجل البار"، المتنسك، الشهيد، الذي كان ما يزال له مركزه داخل الهيكل اليهودي، الذي كان مسموحاً له بصفة استثنائية الدخول إلى القدس في الهيكل، وكان يمارس هناك الصلاة والتشفع عن الشعب اليهودي الذي كان (ولم يزل) رافضاً مسيًّا إسرائيل.

" المشهورون بين الرسل ":

وهذه هي المجموعة الأخيرة التي انتسبت للرسلٍ، بالرغم من كونها ليست من "الإثني عشر"، وهم من المسيحيين الذين كانوا يهوداً قبلاً، مثل أندرونيكوس ويونياس في روما، اللذين لا نعرف عنهما غير اسميهما، هذان سماهما بولس "مشهوران بين الرسل"[٣٠].

ومن بين أسماء هذه المجموعة برنابا[٣١] ومرقس الرسول[٣٢] كاروز ديارنا المصرية وكاتب الإنجيل المسمى باسمه. وفي تقليد الكنيسة أن هذين الاسمين، مع كثير من الأسماء المجهولة، هم ضمن الرسل السبعين الذين عيَّنهم الرب (لو١٠ : ١).

يتبقى بعد ذلك التعرف علي طبيعة شهادة الرسل وسلطانهم.

وهذا هو موضوع الفصل التالي.

---

(٢٨) غل ٢ : ١٢.

(٢٩) كما سجله هيجسبوس أحد المؤلفين المسيحيين في القرن الأول ، وكما أورده هذا التقليد المؤرخ الكنسي في القرن الرابع يوسابيوس القيصري في كتابه *"التاريخ الكنسي"* ٢ : ٢٣ : ٥ - ٩.

(٣٠) رو ٦ : ٧.

(٣١) غل ٢ : ٩.

(٣٢) أع ١٢ : ٢٥.

الفصل الثالث

الرسل ... وشهادتهم

ما هي السمات التي تميز الرسل؟

أولاً: كارزون بالإنجيل

الرسل هم أولاً كارزون[١]، والخدمة الرسولية هي كرازة بالإنجيل، والكرازة بالإنجيل هي جوهر الرسولية. فليس من رسول يُذكر اسمه في التقليد الكنسي إلا ويُذكر معه أماكن كرازته وجهاده ككارز بالإنجيل.

والرسل ككارزين كانوا مزَّودين بسلطان وكرامة سيدهم نفسه[٢]، فهم المبعوثون الشخصيون لسيدهم السماوي؛ وسلطانهم لم يكن مستمداً من أية دعوة أرضية، بل هو سلطان قائم على دعوة مباشرة من المسيح القائم من بين الأموات: «دُفع إليَّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلِّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كل الأيام إلي

---

(١) وصية المسيح لتلاميذه بالكرازة : متى ١٠ : ٧؛ مر ٣ : ١٤، ١٦ : ١٥؛ ١٦ : ١٣، ١٥؛ لو ٩ : ٢؛ أعمال الرسل ١٠ : ٤٢ – ممارسة التلاميذ للكرازة : مر ٦ : ١٢، ١٦ : ٢٠؛ أعمال الرسل ٨ : ٥، ٢٠ : ٢٥، ٢٨ : ٣١ ... الخ .

(٢) عن الكرامة السماوية التي وهبها السيد لتلاميذه: «إن كان أحد يخدمني يكرمه الآب» (يو ١٢ : ٢٦)، «إن كان أحد يخدمني يكرمه الآب» (لو ١٠ : ١٦)، «من سقاكم كأس ماء باسمي لأنكم للمسيح فالحق أقول لكم إنه لا يضيع أجره » (مر ٩ : ٤١).

انقضاء الدهر»[٣]؛ والمسيح القائم من الأموات الذي «تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات، يسوع المسيح ربنا»[٤] ظهر لصفا وللإثني عشر وليعقوب ولكل الرسل أيضاً[٥]. وكنتيجة لرؤية التلاميذ للمسيح، استحقوا أن يُدْعَوا "رسلاً"، وهم أنفسهم تيقنوا في أنفسهم من حتمية الرسالة، ومن أنهم مُرسلون إلي "العالم أجمع"، وذلك بناءً على أمر مباشر من الرب إلهم :« اذهبوا إلي العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها»[٦]، «تلمذوا جميع الأمم»[٧].

ثانياً : مؤسسو كنائس

هذه الوصية الأخيرة "تلمذوا"، تعني أنهم ليسوا مجرد "مبشرين" أو "معلمين" ، لكنهم أيضاً مؤسسو كنائس. وليس المقصود بتأسيس الكنائس بناء المباني من الحجر، بل تلمذة النفوس للمسيح وإدخالها في شركة جسد المسيح، وقد صار الرسل بالتالي مسئولين عن رعاية هذه النفوس وافتقادها، أي افتقاد الكنائس[٨]، وبنيانها، وتعزيتها، ومراجعة إيمانها وامتحانه.

لذلك فإن الرسل باعتبارهم شهوداً فريدين للقيامة ومُرسَلين للعالم للإدلاء بهذه الشهادة كممثلين شخصيين للرب القائم من الأموات، صاروا في صدارة الكنيسة بحسب التعيين الإلهي «فوضع الله ... في الكنيسة أولاً رسلاً »[٩]، حيث اعتبرت الكنائس المسيحية الأولي سواء تلك التي تأسست في أورشليم أو في الأمم (خارج أورشليم) مثل

(٣) متى ٢٨ : ١٨ – ٢٠ .
(٤) رو ١ : ٣ .
(٥) ١ كو ١٥ : ٧ .
(٦) مر ١٦ : ١٥ .
(٧) متى ٢٨ : ١٩ .
(٨) أعمال الرسل ١٥ : ٣٦ .
(٩) ١ كو ١٢ : ٢٨ .

كنائس أنطاكية وروما والإسكندرية وكورنثوس وغيرها، اعتبرت سلطانهم المستمد من الشهادة للمسيح القائم من الأموات هو السلطان الأعلى ، وصارت هذه الكنائس تلتمس مشوراتهم وتعاليمهم ، سواء تلك المدونة في الأناجيل والرسائل أو المنقولة شفوياً منهم أثناء كرازتهم الأولى لهم. لذلك فقد صار إيمان الكنائس الرسولية الأولي وتقليدها وتعليمها الرسولي مرجعاً راسخاً لا يمكن التحول عنه.

< لذلك لابد أن تراجع الكنيسة على مر العصور نفسها على الرسل ، وتجدد علاقتها بهم؛ من خلال التزام ممارسة الحياة الأولي بنقاوتها وبساطتها الفريدتين ، والتزام حدود الرسوم والوصايا التي وردت في الكتابات الرسولية الأولى ، والتي مازالت محفوظة في قدس أقداس الكنائس على مدي الأجيال والعصور. وقد رسم الرسل أنفسهم أن يكون لطقس قراءة كتاباتهم الصدارة في الاجتماع الأسبوعي للإفخارستيا، وأن تكون الحياة حسبما جاء في هذه الكتابات هي موضوع طلبة وصلاة المؤمنين الآتين ليكوّنوا جسد المسيح بتناولهم من جسد الرب ودمه[١٠] ، كتمهيد لا غنى عنه للتقدم لنوال هذه الأسرار المقدسة. وكطقس دائم في الكنيسة تبدأ الخدمة الليتورجية في الكنيسة بنوال الحِلِّ عبر التحليل من أفواه الإثني عشر رسولاً ومن فم ناظر الإله الإنجيلي مرقس الرسول ومن أفواه الآباء ومعلمي الإيمان[١١]. وهذا يعني التزام الكنيسة إكليروساً وشعباً بالطاعة لتعليم وحياة الرسل والآباء القديسين يوماً فيوماً.

ثالثاً : سلّموا البشرية اختبار القيامة :

إن درجة "الرسولية" محددة بالعصر الرسولي فقط، ولا يمكن أن تتكرر أو تُعاد في أي

---

(١٠) أوشية الإنجيل – القداس الإلهي .

(١١) كما يصلي الكاهن الخديم تحليل الخدام قبل البدء في الخدمة الليتورجية.

عصر من العصور إلي المنتهي، فالقيامة هي حدث فريد حصل في زمن معين، وهذا الحدث لا يمكن أن يتثبت يقينه ويدوم بمجرد تكرار ظهورات المسيح لقديسيه وللمؤمنين به مثلاً. لكن حدث القيامة وإن كان قد اختُبر (بالعيان وبالجسد) وشُهد لصحته مرة واحدة بواسطة الرسل؛ لكنه صار يُسلَّم للأجيال اللاحقة ليُختبر "بالإيمان" بعد ذلك. وقد عبَّر عن ذلك بأقصى وضوح وصراحة القديس بولس الرسول (شاهد القيامة الأخير بالرغم من عدم وجوده ضمن صفوف الشهود العيان الأوائل للقيامة قبل صعود المسيح إلي السماء) بقوله:« إذاً نحن من الآن لا نعرف أحداً حسب الجسد. وإن كنا عرفنا المسيح حسب الجسد لكن الآن لا نعرفه بعد»[١٢]، أما تحقيق اختبار قيامة المسيح "بالإيمان" في الواقع العملي فهو : «وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بل للذي مات لأجلهم وقام» و «إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً»[١٣].

وقد رفضت الكنيسة الأولي محاولات تحويل درجة "رسول" إلي لقب يُسبغ على المبشرين أو الرجال الأتقياء، كما يظهر لنا عَرَضاً من بعض الشواهد المتفرقة[١٤]، وقد أخفقت فعلاً هذه المحاولات لأن الأساقفة الذين تولوا "الخلافة" الرسولية وهم الذين اؤتمنوا من بعد الرسل على تدبير الكنيسة، لم يلقبوا أنفسهم "رسلاً"، بل اعتُبروا من قِبَل الكنيسة "خلفاء" الرسل فقط أو "ممثلين" للرسل. **وبهذه الصفة امتنعوا وامتنع عليهم أن يشهدوا إلا بشهادات الرسل وتعاليمهم وكلامهم وأن يحيوا حياتهم ويتمثلوا بقدوتهم**، هذه الشهادات التي تبلورت أولاً في الحياة الليتورجية للكنيسة، ثم في أسفار العهد الجديد القانونية، أو بتعبير آخر، في التقليد ثم في الإنجيل.

---

(١٢) ٢كو ١٦:٥

(١٣) ٢ كو ٥ : ١٥ – ١٧

(١٤) رؤيا ٢ : ٢ ؛ الديداخيه ١١ : ٣ – ٦ ؛ الراعي هرماس، المثل التاسع ١٥ : ٤؛ رسالة كليمنضس الروماني ١١ : ٣٥ .

رابعاً : نالوا قوة من الأعالي

فالرسل، إذن، هم مُسلِّمو التقليد وضامنوه. ولكن الشهادة للمسيح هي كلمة "حية وفعَّالة"[١٥]. فهي ليست مجرد نوع من "نشاط إعلامي" يمكن أن يتبدد أثره وسط خضم المعلومات الأخرى؛ بل إن كلمة الله ذات طبيعة فريدة، إذ هي تحرِّر الإنسان، فهي إذ تتوجه إليه تدعوه إلي الحرية، ولا تتطلب منه أولاً إلا اقتناعه الحر ومجاوبته الطوعية على دعوة الله في المسيح. فإذا قَبِل، تُجدّده، وتصير في حياته قوة سلوك حية. هذا السلوك الحي هو الذي يثبت صحتها. أي أن الحياة المنفتحة لكلمة الله بحرية الإرادة هي في حد ذاتها شهادة على صدق هذه الكلمة. وكل هذا بدون المسيح غير مستطاع[١٦].

لهذا السبب فإن الرسل حينما دُعوا أن يشهدوا للمسيح ويكرزوا به كان لابد لهم أن ينالوا "قوة من الأعالي"[١٧]، أي الروح القدس الذي حلَّ عليهم يوم الخمسين، لذلك فإن الرسل وهم في حال الشهادة، كانوا يستندون كلية على عمل "قوة" أخري فائقة وخارجة على طاقاتهم البشرية، كانت تسكب عليهم حرية وفرحاً فائقين. هذه "القوة" لم تكن تترك الرسل يتعوقون في شهادتهم أو يخيبون أو يفشلون فيما أُرسلوا من أجله، حتى وهم في مواجهة أقسى محاولات التحدي. لذلك انتصرت هذه الشهادة في النهاية.

-«وينبغي أولاً أن يُكرز بالإنجيل في جميع الأمم. فمتي ساقوكم ليسلِّموكم فلا تعتنوا من قبلُ بما تتكلمون ولا تهتموا. بل مهما أُعطيتم في تلك الساعة فبذلك تكلَّموا. لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس»[١٨].

-«أما متي جاء ذاك، **روح الحق، فهو يرشدكم إلي جميع الحق**، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك **يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم**»[١٩].

---

(١٥) عب ٤ : ١٢ .

(١٦) «لأنكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً» (يو ١٥ : ٥) .

(١٧) لو ٢٤ : ٤٩ .

(١٨) مر ١٣ : ١٠، ١١ .

(١٩) يو ١٦ : ١٣ ، ١٤ .

الفصل الرابع

الروح والسلطان

في كنائس القديس بولس

لم يكن الكارزون الأوائل يسعون إلى "تأسيس كنائس" بل إلى إعلان شخص المسيح، أولاً للجماعة لكي يوحدها هذا الإعلان ويجعل منها جماعة حية هي الكنيسة.[1]

وهذا يؤكده عدم اهتمام التاريخ الكنسي المبكر بتسجيل كيف نشأت مجموعات المسيحيين الأوائل في روما أو في الإسكندرية، وما هو الشكل الذي بدأت به، فلم يذكر القديس لوقا في سفر الأعمال ولا القديس بولس في رسائله شيئاً عن قصة تأسيس أي من الكنيستين، بالرغم من ذكر أنشطة القديسين بولس وبطرس ومرقس. إلا أن القديس بولس كان يوصل لأولاده في الإيمان ماذا يعني أن نعيش حياة الشركة المسيحية المتماسكة بالروح وفي المسيح. ومن هذه البداية يمكن أن تأتي بعد ذلك تفاصيل الحياة الداخلية والشكل الخارجي للجماعة.

شعب الله هو جسد المسيح

وعند القديس بولس – كما عند المسيحيين الأوائل، تُعتبر "الكنيسة" أو "الجماعة" أنها هي **أولاً شعب الله، إسرائيل الجديد، جماعة الله المقدَّسين والمختارين الذين خضعوا للمسيح القائم من بين الأموات باعتباره "الرب" أو "السيد"، والذي ينتظرون مجيئه الثاني المخوف المملوء مجداً.** وهذا الشعب لم يعد مكوناً من يهود فقط،

---

(١) راجع: A. Von Harnack, The Mission. عن:
Eccl. Authority of Christianity I, 1908, p 321, n.4

بل أساساً من كلا اليهود والأمم. إنه يشمل العالم أجمع. إن مفهوم العهد القديم عن شعب الله والذي يتبناه اليهود، ليس هو المفهوم الكامل والصحيح، فهذا المفهوم أصبح يشترك في مفهوم آخر جديد كل الجدة على اليهود وهذا المفهوم هو "**جسد المسيح**"،

فالانتساب إلى هذا الشعب الجديد والجسد المقدس يكون ليس بالولادة الجسدانية من إبراهيم بل بالولادة الروحية من الروح القدس،

وعلامة هذا الانتساب ليس بالختان في الجسد بل بالمعمودية ختان القلب بالروح،

والبر ليس بحفظ الناموس بل بقبول نعمة الروح القدس "ناموس روح الحياة في المسيح."

والمسيحيون لم يكونوا يعيشون كمن "**ينتظرون سيدهم متى يرجع**" فحسب، بل كانوا **يعيشون في حضوره الشخصي وسطهم**، أي في تجسده في "**أعضاء**" كثيرين يحكمهم المسيح "بالروح". فالمسيحيون حينما اتحدوا بالمسيح سيدهم في سر المعمودية، أصبحوا ينتمون الآن إلى العالم السماوي. فهم من الخارج يظهرون أنهم "في الجسد"، لكنهم يختبرون عملية التحول "إلى الحياة في الروح" والتي ستكتمل في الدهر الآتي. فهم في الحقيقة يعيشون "في المسيح"، الذي أصبح مالكاً على كل كيانهم، والذي يجب، بل يتحتم، أن يتحكم في كل حركاتهم وسكناتهم.

والكنيسة هي الحياة في المسيح

هذا المجال المسيحي الروحي هو مجال اتخاذ القرار الشخصي. فبالإيمان بالمسيح المصلوب القائم من الأموات يمكن للإنسان أن يدخل في الشركة مع المسيح بالروح القدس، ولكن بشرط جحد الخطية والعالم، والمحبة بالخدمة المتبادلة بين الأعضاء في الجسد الواحد. بهذا يمكن لهذه الحياة بالروح أن تتحقق وتصل إلى كمالها فيهم.

وفي رسائل القديس بولس يتضح مضمون وسمات هذه الحياة وهذا الروح: فهي تتضمن رفض أن تقوم العلاقة بين الله والإنسان على أساس "**الناموس**" والتأكيد على **إنجيل الغفران**. وبهذا المعنى الكرازي فإن الإيمان بالمسيح يثمر البنوة لله والحرية والتقديس أمام الله. والتعبير عن كل ذلك يظهر في الأثرة ونقاوة القلب والألفة والمحبة

نحو جميع الناس.

وبهذه السمات فإن جماعة الله تختلف جذرياً عن العالم المحيط بها: فهي تحمل حياة هي جديدة في نوعها.

† وكل ما هو مضاد للطبيعة الروحية للكنيسة فهو مضاد للحياة التي اقتنتها هذه الجماعة في المسيح، وإذا استمرت الجماعة في سلوكها المضاد لهذه الطبيعة الروحية فهي تقع في خطر الجحود والنكران والخيانة للمسيح بل وتحطيم وجودها الروحي نفسه.

وفي نفس الوقت فالحياة الجديدة ليست مطلباً جديداً مثل المطالب التي وضعها الناموس اليهودي القديم أمام الناس على أنها "بر" يجب على الناس أن ينفذوها، ولكن هذه الحياة هي نعمة منسكبة على الجماعة العائشة "في المسيح"، وهي تتحقق باعتبارها عطية النعمة بالروح القدس. إنها التربة التي غُرست فيها الجماعة، ولابد أن تظل الجماعة مغروسة في هذه التربة ولا تنفصل عنها حتى تنمو بل وتبقى.

بدون الروح القدس لا يصير أحد مسيحياً

هذا ينطبق على الجماعة ككلٍ، وعلى كل فرد بمفرده. فكل المسيحيين نالوا الروح، وهكذا أصبحوا "روحيين" رجالاً ونساءً. وعند القديس بولس، بدون الروح لا يصير أحد مسيحياً ولا توجد أي حياة روحية، ومن الجهة الأخرى فهو لا يعتبر الوحدة في الروح أنها تتضمن "التساوي" ولكنه يؤكد على أن الوحدة في الروح المعطاة للكل تصير ذات فاعلية حقاً في "التعددية" أي تعدد المواهب المنسكبة على أشخاص متعددين. ولكن قبل المواهب، الإعتراف قولاً وعملاً بيسوع أنه رب (١كو ١٢:١-٣).

عمل الروح يتم من خلال المواهب:

والقديس بولس يعرف أن عمل الروح ليس له شكل محدد، أو عام، أو متبادل بلا تمييز، ولكن واحدٌ ينال هذه الموهبة، والآخر تلك. وحياة الكنيسة توجد فقط حيث يكون هناك تفاعل مستمر بين الطاقات الروحية المتنوعة التي تكمل إحداها الأخرى، والتي تعلن بهذه الطريقة ملء وتناسق روح المسيح (رو ١٢:٣، ١ كو ١٢:٤).

والقديس بولس لا يستمد مفاهيمه هذه من أية نظريات سابقة عليه، لكن وراء اللغة التي يستخدمها يقف اختباره الحي الواضح لعمله الكرازي. فمن الواضح أن كرازته حينما كانت مؤثرة وذات فاعلية، أثمرت بين المتجددين غيرة شديدة، أسفرت عن تلك "**المواهب**" المتنوعة المدهشة. فنسمع عن حالات التنبؤ، والإعلانات، وآيات الشفاء وإخراج الأرواح، و "أعمال القوات" والمعجزات، وظواهر التجديد النفسي. و لم يتخذ القديس بولس موقف المتشكك أو غير المصدِّق تجاه هذه المواهب، بل إنه قبِلَها بفرح كمواهب من روح المسيح.

الروح القدس قوة للمحبة والشركة بين المؤمنين

لكن روح المسيح سبق وأظهر نفسه كقوة للتقديس والمحبة وسط الجماعة، وهذه هي العلامات التي لا تخطئ لحضور الروح. فالحياة الجديدة هي بالتحديد، ليست مسألة مجرد انبهار وتمتع بخبرات دينية "فردية" بل بتجميع الكل معاً في وحدة ومحبة وشركة "جسد المسيح" غير المنقسم (١كو ١٢ – ١٤).

وعلى هذا الأساس يقدم القديس بولس مبدأ أن الروح القدس هو العنصر المنظم للجماعة المسيحية. وقد اختلط الأمر وما زال يختلط على البعض بظنهم أنه في وجود الروح القدس كمنظم للجماعة المسيحية لا حاجة لأي نظام ثابت أو قوانين وتعليمات وجدود تميز بين ما هو مقدس وخير عن ما هو غير مقدس وشر.

حتمية القانون والحدود داخل مجتمع الروح القدس:

حقاً إن رسائل القديس بولس لم تزخر بهذا النوع من الكتابات ، لكن هذا يرجع إلى طبيعة الرسائل والغرض منها. لكن التنظيم الكنسي بقوانينه كان في طور الإنشاء داخل الدوائر الكنسية. وقد نتج عن الخلط هذا أن ظن البعض أن القانون ضد المحبة وضد حرية الروح، لكن المعادلة هنا مضللة لأن المحبة- كما حددها المسيح والقديس بولس – تكميل (وليس إلغاء) الناموس، أي وصول أحكام الناموس إلى غايتها، وهذا هو معنى **كمال الناموس**.

فالمحبة تفجر طاقات وشكليات الناموس لتجعل المؤمن أكثر قوة وإمكانية لتنفيذ ليس

فقط حدود الناموس بل ما يفوق هذه الحدود: "ومن سخّرك ميلاً، أمشِ معه أثنين" ، "ومن طلب ثوبك أعطه الرداء أيضا"، "أحبوا أعداءكم"، "إن جاع عدوكَ فأطعمه وإن عطش فاسقه".

ناموس الروح بدل ناموس موسى

وهذا يرجع إلى أن الجماعة المسيحية ليست مجرد كيان اجتماعي محكوم بقوانين حجرية كناموس العهد القديم المسمى ناموس موسى، لكنها كيان روحي يحكمه ناموس الروح (رو ٨:٢). وأول إفراز للروح هو المحبة ، فالمحبة هي القوة المنظمة والموحدة داخل الكنيسة، والتي تخلق من ذاتها شكل النظام والناموس الذي يعلو ويسمو ويتفوق على النواميس الطبيعية والبشرية.

وبهذا لا تتعارض حرية الروح مع الناموس الجديد: ناموس الروح وناموس المسيح، لأن هذه الحرية الجديدة هي إيجابية في جوهرها، بناءة في معناها. فالمسيحيون لا يُرضون كل واحد نفسه (رو ١٥:١)، ولا يجاهدون نحو "الأمور العالية" (رو ١٢:١٦)، ولا يطلبون ماهو لأنفسهم ومنفعتهم الخاصة بل ما هو لمنفعة القريب وكل الجماعة (رو ١٢:١٥، ١ كو ١٢:٢٦، ١٣:٦) وكل واحد يحمل أثقال الآخرين (غلا ٦:٢). ونتيجة كل ذلك "السلام" و "البنيان" والنمو للجماعة كلها.

المحبة والشركة هي حدود حرية الروح

وكل هذه الأنماط من السلوك نابعة من حقيقة لاهوتية روحية حدثت في نفوس المؤمنين. وهي أن المؤمنين قد ماتوا، بسر المعمودية، عن الطبيعة البشرية العتيقة بكل أنماط سلوكها الفردي والجماعي (٢ كو ٥: ١٥- ١٧): «إذاً إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً». إن الانحلال الكامل للإنسان العتيق سيتم بعد الموت. أما التعبير عن هذه الحياة الجديدة فهو يتم في المحبة. والمحبة ليست مجرد "فضيلة" كما أنها أبعد ما يكون عن توضيع الذات ولا تثبيت الذات، ومن يفهمها غير ذلك فهو مُعرَّض للخداع، ويخدع نفسه (غلا٦:٣) «لأنه إن ظن أحد أنه شئ وهو ليس شيئاً فإنه يغش نفسه».

حينما تضعف المحبة،

تظهر الخصومات والخلافات ويعمل القانون

على أن الصعوبات التي يواجهها المسيحي في جهاده هذا معروفة لدى القديس بولس. فقد يكون لدى البعض سلوك معاكس للخليقة الجديدة التي في المسيح يسوع (كما في غلاطية ٥:١٥): «فإذا كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم بعضاً...»، وكما في الإصحاحات الأربعة الأولى من رسالة كورنثوس عن الخلافات بين أعضاء الكنيسة. «لأني أُخبرت عنكم...أن بينكم خصومات...» (١ كو ١:١١).

فهذه الانحرافات كانت فرصة للقديس بولس أن يدعو المؤمنين للرجوع إلى سواء السبيل للحياة المسيحية.

وهذا ينطبق أيضاً على الذين يظنون في أنفسهم أنهم كاملون. فالمسيحيون واقفون في ساحة الجهاد ولن يوجدوا على مدى هذه الحياة ولا في أية مرحلة من حياتهم وكأنهم قد بلغوا الهدف. فلابد أن ينموا "**وأن يزدادوا**" وأن **يجاهدوا في الروح** من أجل تحقيق أكمل وأغنى لبركات المسيح لهم (فيلبي ٣:١٢-١٦): «ليس أني قد نلت أو صرت كاملاً، ولكني أسعى لعلي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع. أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت. ولكنى أفعل شيئاً واحداً، إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع. فليفتكر هذا جميع الكاملين منا . وإن افتكرتم شيئاً بخلافه، فا لله سيعلن لكم هذا أيضاً. وأما ما قد أدركناه، فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه ونفتكر هذا عينه».

من أجل كل هذا أصبحت هناك حاجة شديدة في الجماعة المسيحية إلى **القانون**، وإلى **السلطان الروحي** الذي يحفظ الجماعة المسيحية في هذا القانون، من أجل استمرار ومداومة التحذير والتشجيع والتذكير. ولهذا سكب الروح القدس على الكنيسة مواهبه ونعمه المتنوعة. ولكن كيف أُنيط بأصحاب هذه المواهب السلطان الروحي لحفظ الجماعة المسيحية تحت "**قانون**" الخليقة الجديدة؟

مواهب الروح هدفها بنيان الكنيسة جسد المسيح:

هنا نركز على موهبتين من مواهب الروح القدس هما **"النبوة"** و **"التعليم"** اللتين سكبهما الروح في الكنيسة من أجل تعضيد وبنيان الحياة الروحية للجماعة المسيحية، بينما كانت سائر المواهب الأخرى ذات دور أقل أو بلا دور نهائياً لتحقيق هذا الهدف: أي تعضيد وبنيان الحياة الروحية للجماعة، لذلك كانت هذه المواهب الأخرى دائماً تأخذ الموضع المتأخر في قائمة مواهب الروح (اقرأ هذه القائمة في الموضعين اللتين ذُكرتا فيهما المواهب ١ كو ٣: ١٢، ٢٦؛ ١ كو ١٢ :٣٠ وما بعدها).

كل شئ للبنيان:

أولاً: ١ كو ١٤ :٣ "وأما من يتنبأ فيكلِّم الناس **ببنيان** ووعظ وتعزية"

:١٢ "هكذا أنتم أيضاً إذا أنكم غيورون للمواهب الروحية اطلبوا **لأجل بنيان الكنيسة** أن تزدادوا"

:٢٦ "ومتى اجتمعتم فكل واحد منكم له مزمور، له تعليم، له لسان، له إعلان، له ترجمة. **فليكن كل شئ للبنيان**".

أفضلية المحبة على المواهب الأخرى

١٢ :٣٠ «ألعل للجميع مواهب شفاء، ألعل الجميع يتكلمون، ألعل الجميع يترجمون ولكن جدُّوا للمواهب الحسنى، وأنا أريكم طريقاً أفضل (وهو طريق موهبة المحبة كما يظهر في الآيات اللاحقة في الإصحاح ١٣ كله)»

ما هي موهبة النبوة؟

وموهبة النبوة هي تقديم كلمات الإنجيل وإستعلان الوحي الإلهي عن المسيح بلا تزويق أو قيود. ويصلي المؤمن كل يوم في الساعة الثالثة من النهار (صلاة الساعة الثالثة) طالباً أن ينال روح النبوة التي حثّ القديس بولس المؤمنين على طلبها (١ كو ١٤:١).

وما هي موهبة التعليم؟

أما موهبة التعليم فهي تسليم وشرح التقليد عن المسيح مع التـأكيد في أذهـان النـاس على وصايا وتعاليم الإيمـان، وفـوق الكـل تفسـير العهـد القديـم بحسـب مفهـوم العهـد الجديد. وكانت أنشطة المعلم المسيحي مشـابهة للمعلـم اليهـودي في مجـامع اليهـود في الشتات (أي خارج فلسطين). فمهمة التعليم هي تسليم المؤمنين ما تسلمه المعلـم، كمـا قال بولس الرسول "تسلمتُ من الرب ما سلمتكم" (١ كو ١١:٢٣)

من هم الأنبياء في العهد الجديد:

والأنبياء في العهد الجديد هم أشخاص مرموقون مختارون مـن الله ومعروفـون للنـاس بهذه الصفة. وهم يشغلون أرفع المواضع في الجماعة المسيحية. وموهبة النبوة هي الموهبة الروحية التي يجب أن يجدَّ المؤمنون لنوالها أكـثر مـن أيـة موهبـة أخـرى وذلـك لمنفعتهـا الشديدة للكنيسة (١ كو ١٢:٣١، ١٤:٩، اتس ٥:١٩).

– وقد كان حاملو موهبة النبوة **موقَّرين أكثر من المعلمين**. فروح المسيح هـو الـذي يتكلم مباشرة للشعب من خلال الأنبياء؛ أما عمل المعلم، فهو بالرغم من أنه يعتمد على موهبة روحية خاصة فعلاً، إلا أنه يعتمد أكثر على التقليد وإلى حد كبير علـى نصـوص مكتوبة. ولعل السبب الذي دفع بولس إلى هذا التفضيل هو أن بولس نفسه كـان يعلـم ويبشر كنبي أكثر منه كمعلم.

ولكن النبي كان ملزماً أن يكون **وعظـه وتعليمـه مطـابقَين للإيمـان الرسـولي**، كمـا حدد ذلك القديس بولس: "أنبـوة فبالنسـبة (أي بحسـب أو متـفـقـاً مـع) الإيمـان" (رو ١٢:٦، راجع ١بط ٤:١١ "إن كان يتكلم أحد فكأقوال الله"). وهذا يعنى أنـه ممنـوع على النبي أن يحجب أو يضيف أي تعليم من عندياته! فهو يقف على أرضية "الإيمـان" الذي تسلمه من الرسول والرسول من الرب وهو سلمه للمؤمنين.

ولهذا أيضاً يجب أن يكون النبي **في شـركة مـع بـاقي الأنبيـاء** الذيـن ينـالون سـلطاناً بالسوية بعضهم مع البعض، ويتحد بالروح معهم ومع كـل الكنيسـة. فـإذا ألـزم الإلهـام أحدهم لكى يتنبأ، فعلى الأنبياء الآخرين أن يفسحوا له المجال لإلقـاء نبوتـه، لأن الـروح الذين فيهم جميعاً هو نفس روح الله الذي يلهمه ويلهمهم، "والله ليس إله تشويش بـل

إله سلام" (١ كو ١٤: ٣٣).

ولهذا السبب أصبحت:

موهبة التمييز بين الحق والباطل ضرورية في الكنيسة:

فالأمر ليس متروكاً للنبي كمسألة شخصية، والأنبياء لا يناقضون بعضهم بعضاً، بل بالأحرى يكملون ويعاونون بعضهم البعض . ولكن ليس على طريقة الديمقراطية كأن الحق الإلهي هو حق بحسب رغبة الأكثرية. ولكن هناك موهبة ملازمة وفاحصة لباقي المواهب، تلك هي موهبة **"التمييز"** أو **"امتحان الأرواح"**، ويحملها أشخاص موهوبون قادرون أن يمارسوا فحص الأرواح وتعاليم الأنبياء في الكنيسة (١ كو ١٢: ١٠) "لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله" (١كو ٢: ١٠).

وهذا لا يعني أن مسئولية فحص وتمييز ما يحدث في الكنيسة أو من الأنبياء والمعلمين قاصر على فئة معينة، بل إن صحة اعتراف الإيمان بالمسيح هو **مسئولية كل المسيحيين**، وهو الاعتراف الذي يمكن أن يُعترف به فقط "بالروح" وهذا هو المقياس الذي على كل مسيحي أن يختبر به سلامة الإيمان (١ كو ١٢: ٣).

كل المسيحيين مسئولون عن سلامة الإيمان:

والقديس بولس يدعو المسيحيين بدون استثناء ودون التركيز على فئة خاصة إلى السهر على امتحان الأرواح "**امتحنوا كل شئ وتمسكوا بالحسن**" (١ تس ٥: ٢١). ويقابلها نفس الدعوة بنفس الكلمات في رسالة يوحنا الأولى ٤: ١ "أيها الأحباء **لا تصدقوا كل روح بل امتحنوا الأرواح** هل هي من الله لأن **أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم**". ونلاحظ أن أمر وتوجيه القديس بولس والقديس يوحنا بامتحان الأرواح **موجَّه إلى الكل** دون تحديد فئة معينة كأنه أوكل إليها وحدها الاهتمام بخير الكنيسة الروحي.

وأقوال الأنبياء (الإكليروس) خاضعة لحكم الجماعة الواعية المستنيرة:

ومن هنا يظهر أن وظيفة الأنبياء بالرغم من أنها ذات أهمية خاصة لكل الجماعة، إلا

أنهم كأعضاء في جسد المسيح فإن سلطانهم الذي يمارسونه ليس أمراً مقطوعاً به لا يقبل المساءلة والمراجعة، بل كل ما يقولونه ويفعلونه **خاضع للحكم** في كل مناسبة ممكنة للتأكد من استمرار أصالته: "وأما الأنبياء فليتكلم اثنان أو ثلاثة[٢] **وليحكم الآخرون**" (١ كو ١٤:٢٩).

ولكن ليست الصورة هنا كأنها بلا نظام أو ترتيب. ذلك لأن الحكم على شهادات الأنبياء لا يجب أن يكون نابعاً عن غرور أو كبرياء أو دينونة من جانب الكنيسة/الشعب بل إن هذا يحدث فقط في حالات خاصة حينما يتبين أن النبي لا ينطق بالشهادة الصحيحة أو التعليم الصحيح. بل إن وصية الطاعة للمدبرين والمرشدين هي في مقدمة الوصايا التي كان القديس بولس يحرص على تقديمها للكنيسة. **فالطاعة والمحبة** هما مفترضتان مسبقاً بين أعضاء الكنيسة كوضع طبيعي، باعتبارهما من ثمار الروح:

† "أطيعوا مرشدكم وأخضعوا لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حسابا لكي يفعلوا ذلك بفرح لا آنين لأن هذا غير نافع لهم" (عب ١٣:١٧).

† "ارعوا رعية الله التي بينكم نظاراً – لاعن اضطرار بل بالاختيار، ولا لربح قبيح بل بنشاط، لا كمن يسود على الأنصبة؛ بل صائرين أمثلة للرعية" (١ بط ٥:٢-٣)

† "ثم نسألكم أيها الأخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم في الرب وينذرونكم وأن تعتبروهم كثيراً جداً في المحبة من أجل عملهم. سالموا بعضكم بعضاً" (١ تس ٥:١٢، ١٣)

وحامل السلطان يحترم حرية الروح لدى المؤمنين:

ومن جهة أخرى فحامل السلطان يحيا بين الجماعة المسيحية حياة الاتضاع فقط، بينما يقابل ذلك من جانب كل عضو الخضوع المتبادل وتلقائية الطاعة من جانب الجماعة.

---

(٢) تعبير "إثنان أو ثلاثة" يُستخدم في الكتاب المقدس للتعبير عن أن شرعية حكم الجماعة أعلى وأصح من حكم الفرد . وصلاة الجماعة تأخذ تأكيداً بالاستجابة من الله كوعد إلهي نافذ (إنجيل متى ١٨:٢٠). (راجع عن احترام شهادة الجماعة سفر التثنية ١٩:١٥ ، إنجيل متى ١٨:١٦ ، ٢كو ١٣:١ ، ٢كو ٢:١٠ – عن احترام الرسول لمسامحة الجماعة للعضو المحروم وحله الحرم بناءً على مسامحة الجماعة ، اتي ٥:١٩ ، عب ١٠:٢٨. وعن استجابة صلاة الجماعة إنجيل متى ١٨:٢٠)

والملاحظ أن **التخلي عن الضغط والإكراه**، والاعتماد على حرية الأعضاء في التعاون الطوعي، ودوام التوصية بالمعايشة والوحدة، والإصرار على الطبيعة الروحية لكل ممارسة من جانب القيادة وحاملي السلطان الروحي كانت موجودة في كنيسة الرسل. وهذا واضح في رسالتي بطرس. ورسائل القديس بولس أظهرت الأساس الروحي لكل هذا، والذي يقوم على ممارسة المسيحي اختبار الموت عن العالم. وفي هذا الإطار يحدث تفاعل حي بين مواهب الروح القدس (مواهب التدبير) والدرجات الإكليروسية. وهذا يظهر جداً في رسالة العبرانيين وفي رسالة برنابا وكتاب الديداخيه وهي من كتابات أواخر العصر الرسولي.

ففي الوقت الذي يحض فيه القديس بولس المسيحيين الجدد على الاجتهاد لاقتناء مواهب الروح القدس، يحذر الرعاة من "**إطفاء الروح**" (١ كو ١٤: ٤٠، ١ تس ٥: ١٩)، حينما يجنحون إلى الارتياح إلى سلطة الوظيفة وما تضفيه على صاحبها من الاحترام الزائد مما يزيد من احتمال وقوع الخادم في الخداع.

† "وليكن كل شئ بلياقة وحسن ترتيب" (١ كو ١٤: ٤٠).

† "لا تطفئوا الروح" (١ تس ٥: ١٩).

حدود القانون لا تتعارض مع حرية الروح

ونلاحظ أنه بعد استقرار الجماعة المسيحية الأولى، فبعد أن كان القديس بولس يلقبهم بألقاب: "الاخوة المقدَّسين" (عب ٣: ١) و "القديسين" (عب ٦: ١٠) ورسالة برنابا ٦: ١٦، ١٩: ١٠، الديداخيه ٤: ٢، ١٠: ٦) و "أبناء المحبة والسلام" (برنابا ٦: ١٦؛ ١٩: ١٠؛ الديداخيه ٤: ٢؛ ١٠: ٦)، و "شعب الله المختار من بين كل الأمم" (برنابا ٣: ٦، ٥: ٧، ٧: ٥، ١٣: ١٤، الديداخيه ٩: ٢) الذين كلمهم الله في هذه الأيام الأخيرة في ابنه (عب ١: ٢٠)، بعد هذا **بدأت بعض السلبيات تظهر في الشعب**، فالارتداد والانعزال عن الجماعة، أصبحت أموراً خطيرة ملفتة للنظر (عب ٦: ٤-٨)، لذلك أصبح من الضروري حث المسيحيين على التزام الواجبات الدورية من حضور العبادة العامة (عب ١٠: ٢٥، برنابا ١٩: ١٠، الديداخيه ٤: ٢، ١٦: ٢)، حيث بُدئ في

تحديد نصوص الليتورجيات (كما في الديداخيه ٢:٤ - نص صلوات لليتورجية). بالإضافة إلى ذلك، فإن التعاليم الكاذبة أصبحت خطراً داهماً لابد من تحذير الجماعة منه ومن الانحراف عن الطريق التقليدي للخلاص بتعاليم جديدة (عب ٣:١٢، الديداخيه ١:٦، ١:١١).

ومن هنا بُدئ في أن يأخذ "**الأعضاء المدبرون**" مكانة هامة وسط الكنيسة، ليس فقط الأحياء منهم بل والذين رقدوا أيضاً، الذين كرزوا بكلمة الله في الأيام السالفة. (عب ٧:١٣):

+ "اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله. انظروا إلى نهاية سيرتهم فتمثلوا بإيمانهم".

الأعضاء المدبرون يجب أن يكونوا قدوة ومثالاً:

وفي الإصحاحات الأخيرة من رسالة العبرانيين نجد بجانب ذكر التحية العامة "لجميع القديسين" يقدم التحية الخاصة **للذين هم قدوة ومثال** (عب ٢٤:١٣) "سلموا على جميع مرشديكم وجميع القديسين". ويركز هذا الإصحاح على مسئولية هؤلاء المرشدين عن النفوس الذين اؤتمنوا عليهم، والذين "يسهرون لأجل نفوسكم"، "وسوف يعطون حساباً" عن هذه الخدمة.

إن طبيعة سلطان هؤلاء المرشدين تنبع من مسئوليتهم هذه ومن مساءلتهم التي ستتم في يوم ما. فعلى المؤمنين أن "**يحتملوا كلمة الوعظ**" (عب ٢٢:١٣) والمسيحيون يجب أن "**يعتبروا**" و "**يتذكروا**" العمل الروحي الذين قام به هؤلاء المرشدون للجسد كله (اذكروا مرشديكم) حتى يمكن لهؤلاء المرشدين أن يؤدوا خدماتهم بفرح وليس "بحزن" (لا آنين) لأن أداءهم خدمتهم وهم في حزن على عدم احتمال الناس كلمة الوعظ يسبب ضرراً للكنيسة كلها (عب ١٧:١٣).

ظهور إمكانية التمييز بين اليمين واليسار:

والديداخيه تضع التأكيدات على هذه السمة الروحية الجديدة للحياة الكنسية. فالكنيسة تقتنى "**الإمكانية للتمييز بين اليمين واليسار**" (تعبير عن التمييز بين الجيد

والردىء وبين الصحيح والخطأ)، وكذلك قدرتها علـى امتحـان الأرواح. وهـي تمتحـن حاملي رتبة الأنبياء، هذه الرتبة التي أصبحت تضم بعضاً من المتجولـين الذيـن يرتحلـون من مكان إلى مكان لمجرد البحث عن مصالحهم ومنافعهم المادية. لذلك فقد قام التـأكيد **على ضرورة التوافق بـين حيـاة الخـادم وتعليمـه** وانتفـاء الحسـد والتطرف مـن حيـاة الخدام. وهذا هو أضمن مقياس لاختبار النبى الحقيقى من ذلك المزيف (ديداخية ١١: ٣ وما بعده، وهرماس ١١.

فلم يعد الأمر المهم – كما في الأيام الأولى لكرازة القديس بولس – مجرد أن ينطق الإنسان بأن "يسوع رب"، ولكن أصبح المقياس الآن هو: "**طريقة الحياة والسلوك هـل هي بحسب أن يسوع رب وملك أم لا**" (الديداخيه ١١: ٨). ولكن ليـس معنـى هـذا أن الاحترام والتوقير للنبى بدأ يقل، بل بالعكس فـإن النبـى الـذي تُختبر حياتـه فتوجـد بحسب الروح، فإنه يكـون في مـأمن مـن أي نقـد ومسـاءلة. وكـان يُقبـل وهـو يتكلـم بالروح باعتباره الرب نفسه (ديداخية ١١: ٨). لقد كانت هناك محاولة لتحديـد المعايـير المقيِّدة للنبى، والمستندة على الأخـص علـى أقـوال الـرب في الإنجيـل (ديداخيـة ٤: ١٣، ١٥: ٤) لقد كان "التعليم" الذي يحدد شروط العضوية في الكنيسـة يتكـون أساساً مـن الشروط السلوكية الخلقية والطقسية (الديداخيه ٦: ١، ١١: ١).

الأساقفة والشمامسة أخذوا مكان الأنبياء:

ثم بدأت الكنيسة تختار رجالاً سبق اختبارهم حتى صاروا مستحقين لرتبـة الأسـقفية أو الذياكونية، هـؤلاء أخـذوا عمـل الأنبيـاء والمعلمـين، أي تولـوا عمليـة قيـادة العبـادة الجمهورية. هؤلاء الأشخاص أوصت الديداخيه بإعطائهم الكرامة الواجبة، وأمرت بعدم رفضهم والاعتراف بهم – جنباً إلى جنب مع الأنبياء والمعلمين (الديداخيه ١٥: ١–٢).

وبدأت توجَّه للكنيسة كلها الدعوة لالتزام السلام والتناغم والحكم العادل (ديداخيـة ٤: ٣)، وللتوجيه نحو التوبة (رسالة برنابا ١٩: ١٢، الديداخيه ٥: ٣).

فإذا ما أتينا إلى رسالة بطـرس الأولى، نجـد أنهـا موجهـة نحـو المختـارين المتغربـين في الشتات (وهم المؤمنون في آسيا الصغرى) (١ بط ١: ١). ويدعو الرسول فيها الكنـائس المهددة باضطهاد وشيك إلى الالتزام الجاد بالمسيح: "راعي نفوسكم وأسـقفها" (١ بـط

٢٥:٢). **فولاء المسيحي الأول والمُلزم هو لشخص المسيح وليس لأشخاص الرسل أو الأساقفة والقسوس.** وهنا نجد الوصف التقليدى للذات الكنسية المسيحية وكما سبق أن وصفها بولس الرسول: فالكنيسة تشكل "**الجنس المختار ، الكهنوت الملوكى ، الأمة المقدسة**" "**الذين دعاهم الله من الظلمة إلى نوره العجيب**" (١ بط ٢:٩). ومرة أخرى نرى الكنيسة كجماعة أخوة (١ بط ٢:١٧، ٥:٩)، ممتلئة من المواهب المتنوعة في الروح الوديع الهادئ (١ بط ٣:٤، ٣:٨)، في خضوع الطاعة للرؤساء المدنيين (١ بط ٢:١٣). وبهذا يحدث التناسق والتناغم حتى يتمجد الله بربنا يسوع المسيح.

† "ليكن كل واحد بحسب ما أخذ موهبة يخدم بها بعضكم بعضاً كوكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة" (١ بط ٤:١٠).

† "إن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله، لكى يتمجد الله في كل شئ بيسوع المسيح الذي له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين" (١ بط ٤:١١).

الحذر من التسلط على الرعية:

ولئلا تتحول العلاقة العضوية بين حاملي المواهب بعضهم بالبعض أي بين حاملي مواهب التدبير والتعليم وبين الكنيسة إلى علاقة خضوع من جانب الرعية وتسلط من جانب الرعاة، أكد الرسول بطرس بشدة على أن "الرعاة" يجب أن يحذروا من ممارسة الضغط "**الاضطرار**" أو "**الغضب**" وطبعاً "**البخل**"، على نسق العلاقة بين الشعوب والحكومات في النظم السياسية الدكتاتورية، وذلك حتى تتبعهم الرعية طوعاً وبفرح.

البَابُ الثَّانِي

الكنيسة
في
تعليم آباء الكنيسة

مُقَدِّمَة

في هذين الفصلين:

١. **دعوة الكنيسة في العالم**، الوجه الكهنوتي والوجه النبوي (الكرازي) لها، بحسب تعليم القديس إيرينئوس "أبو التقليد الكنسي"

٢. **الكنيسة حاملة الإيمان الحقيقي**، مقتطفات من رسائل وكتابات القديس البابا أثناسيوس الرسولي.

نعرض لمعنى الكنيسة ورسالتها في تعليم الآباء القديسين. ويعلمنا القديس أثناسيوس الرسولي في الفصل الثاني عن دور الشعب ومركزه في الكنيسة كحامي للإيمان والتعليم الصحيح، وضرورة وجود موهبة الإفراز والتمييز بين الخطأ والصحيح لدى الشعب.

وقد أوفينا التعليم الآبائي عن الكنيسة في كتابنا الأول: ***"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"***، ص ١٥-٦٤. فللإستزادة يمكن الرجوع إليه.

الفصل الأول

دعوة الكنيسة في العالم

الوجه الكهنوتي والوجه النبوي (الكرازي) لها
بحسب تعليم القديس إيرينئوس "أبو التقليد الكنسي"

١ – وضع الكنيسة في العالم: العمل الكهنوتي

الكنيسة في تعليم القديس إيرينئوس هي إسرائيل الجديد، إسرائيل الحقيقي، شعب الله الجديد الحامل الكهنوت والنبوة اللذين للعهد الجديد. فبسبب أن اليهود قد ضلوا إذ رفضوا أو صلبوا ابن الله،

[سُرَّ الله أن يهب ميراثهم للأمم الجهلاء]،

[وهكذا شاءت مسرة الله أن يأخذ لنفسه كنيسة **تتقدس بالشركة مع ابنه**].

وإذا رجعنا إلي كلمات الوحي الإلهي عن شعب الله، نجد أن طريقة الله في مخاطبة العالم كانت بإعداده شعباً خاصاً لنفسه. وقد أوضح إيرينيئوس أن كنيسة العهد الجديد قد ورثت هذه الرسالة من كنيسة العهد القديم:

[إن وعد الله الذي أعطاه لإبراهيم يبقي ثابتاً "لنسلك أُعطي هذه الأرض".
فنسله هو الكنيسة التي نالت التبني لله بواسطة الرب يسوع... ويوضح بولس

الرسول في رسالته إلي الغلاطيين أن كل من آمن بالمسيح ينال الوعد المعطَى لإبراهيم].

وبهذه الصفة فقد ورث الشعب المسيحي المؤمن وظيفة شعب إسرائيل القديم بكلٍّ من وجهها الكهنوتي ووجهها النبوي من جهة إنارة العالم. وها هو إيرينئوس يقول عن المسيحيين أنهم نسل إبراهيم الذي قال عنه الله أنه «كمثل نجوم السماء»، وهم كمثل نجوم السماء ليس في الكثرة فحسب بل **وفي إنارة العالم أيضاً**:

[إنه مزمع أن يحقق الوعد الذي أعطاه "لإبراهيم" أنه سيجعل نسله مثل نجوم السماء (تك ١٥: ٥). والآن ها هو يسوع يؤسس فينا الإيمان على مثال إيمان إبراهيم، كما يشهد بولس أيضاً قائلاً إننا أولاد إبراهيم بسبب مشابهة إيماننا ووعد الميراث (رو ١٤: ١٢، غلا ٤: ٢٨). لقد أعد الله بالمسيح أنواراً في العالم، أعني أولئك الذين يؤمنون من بين الأمم، كما يقول "أنتم نور العالم" (متى ٥: ١٤)، فهؤلاء هم نجوم السماء].

المسيحيون شعب ذبائحي:

إن الوجه الكهنوتي لرسالة شعب الله **تستدعي تقديم الذبائح**. والمسيحيون شعب ذبائحي أي يباشر تقديم الذبائح عن نفسه وعن العالم. ولكن **ذبائح العهد الجديد تختلف عن ذبائح اليهود التي يرفضها الرب.**

يقول القديس إيرينئوس:

[لقد أسس الرب الذبيحة الجديدة في العهد الجديد بحسب إعلان ملاخي النبي في ١: ١١ «لأنه من مشرق الشمس إلي مغربها اسمي عظيم في الأمم **وفي كل مكان تُقدَّم وتُقرَّب لاسمي تقدمة طاهرة،** لأن اسمي عظيم في الأمم قال رب الجنود».

إن يوحنا يعلن في الرؤيا: «**البخور هو صلوات القديسين**»[1] (رؤ ٥: ٨). وبولس يحثنا في (رومية ١٢: ١) «**أن تقربوا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية** عند الله عبادتكم العقلية. وأيضاً فلنُقرِّب **به** (أي بالمسيح) **ذبيحة شكر** لله كل حين وهي ثمر الشفاه المعترفة لاسمه» (عب ١٣: ١٥). هذه الذبائح ليست بحسب الناموس، الصك الذي خرقه المسيح من الوسط (كو ٢: ١٤)، بل هي ذبائح بحسب الروح لأنه ينبغي أن نعبد الله «بالروح والحق» (يو ٤: ٢٤)].

سر تقدمة الإفخارستيا، قمة الذبائح:

[إن ما تكلم به ملاخي النبي أحد الأنبياء الإثني عشر (١: ١٠، ١١)، يشير بوضوح أن الشعب القديم (اليهود) سيكف عن تقديم قرابين لله، وأنه في كل مكان سوف تُقدَّم له ذبيحة طاهرة، ولاسمه سوف يتمجد بين الأمم].

[إن الله لم يعُدْ يطلب ذبائح ومحرقات منهم، بل الإيمان والطاعة والبر من أجل خلاصهم. كما يقول الله لهم معلناً إرادته في هوشع النبي «فإني أريد رحمة لا ذبيحة. ومعرفة الله أكثر من المحرقات» (هو ٦: ٦). والرب في العهد الجديد يحثهم على نفس الأمر حينما قال في (مت ١٢: ٧): «لو كنتم تعلمون ما هو إني أريد رحمة لا ذبيحة لما حكمتم على من لا ذنب له»].

•[لقد أعطي المسيح لتلاميذه توجيهاته أن يقدموا لله البكور، بكور الأشياء المخلوقة. لذلك أخذ هو من هذه الأشياء المخلوقة: أي الخبز، ورفع تشكرات وقال: «هذا هو جسدي» (متى ٢٦: ٢٦). والكأس أيضاً التي تحوي فيها شيئاً

---

(١) إن تقدمة البخور التي هي صلوات القديسين، وتقدمة الأجساد الحية بالصوم، وتقدمة الشكر ثمر الشفاه المعترفة لاسمه، هي عُدة الكنيسة المجتمعة معاً لرفع قرابين الإفخارستيا قمة الذبائح كلها كما سنوضح في الفقرة التالية.

مقتطعاً من هذه الخليقة التي نحن منها (أي عصير الكرمة) اعترف بأنها هي دمه. **ولقد استلمت الكنيسة من الرسل هذه الذبيحة الجديدة التي للعهد الجديد**، وهي في كل أنحاء العالم تقدمها لله لمن وهب لنا هذا الطعام لقوام حياتنا ووجودنا، فتُقدم باكورة عطاياه في العهد الجديد (باكورة الحنطة وعصير الكرمة)... تقدمهما وهي تبارك الله وتقدم الشكر له من أجل أنه أمر الأرض أن تخرج هذه الثمار لطعامنا. وحينما نكمل الذبيحة نستدعي الروح القدس حتى يُظهر هذه الذبيحة: الخبز جسد المسيح والكأس دم المسيح فينال المتناولون من هذه المرموزات (أي التي كان مرموزاً اليها وصارت الآن حقيقة) مغفرة الخطايا والحياة الأبدية... وهكذا أيضاً نقدس الخليقة].

إن الفرق الجوهري بين ذبائح الشعب القديم وذبائح الشعب الجديد يكمن في عدة حقائق أيضاً:

الحقيقة الأولي: أن قرابين العهد الجديد تقدَّم لله (بواسطة ابنه يسوع المسيح) فيقبلها في ذبيحة ابنه لأنها هي الذبيحة الوحيدة الكاملة التي سبق أن قبلها الآب من أجل افتدائنا.

والحقيقة الثانية: أنها لم تعد تُقدَّم على مذبح «من هذه الخليقة» بل على مذبح «السماويات عينها»:

[إن مشيئته أن نقدم قرباننا أمام المذبح كثيراً وبدون توقف. **والمذبح هو في السماء**[٢] «لأنه ينبغي أن نوجه صلواتنا وقرابيننا تجاه هذا المكان»، والهيكل هو هناك كما يقول يوحنا «وانفتح هيكل الله في السماء» (رؤ ١١: ١٩)،

---

(٢) هنا يستوحي إيرينئوس نداء الكاهن (في القداس الإلهي) للشعب "ارفعوا إلي فوق قلوبكم"، فترد الكنيسة كلها "هي عند الرب"، وكذلك تعبير "المذبح الناطق السمائي"، وفي قوانين القديس أثناسيوس ال ١٠٧ المختصة بالمذبح والكنيسة يقول إن [المذبح المنصوب قدام الرب في السموات هو الروح القدس ينطق ويتكلم وهو يعرف الذي يخدمه].

وخيمة الاجتماع أيضاً «هوذا مسكن الله مع الناس وسيسكن الله معهم ويكونون له شعباً والله نفسه يكون معهم إلهاً لهم» (رؤ ٢١: ٣)].

ومما تجدر ملاحظته في تعليم القديس إيرينيئوس أن الإفخارستيا هي برهان على الحق في عدة عقائد. فالإفخارستيا تخبر عن صفة الخلق عند الله الخالق الأعظم، وعن تجسد الكلمة، وعن قيامة الأجساد، وعن وحدة العهدين القديم والجديد، وعن عمل المسيح الخلاصي للعالم، وعن الشركة مع الثالوث الأقدس، وعن خلاص النفس والجسد معاً.. الخ. إن كل هذه العقائد هي مُجملة في الحق الإلهي المختص بالخلاص. والإفخارستيا باعتبارها الملتقي الأساسي لحياة الكنيسة، فهي مركز العبادة والشركة بين الإنسان وبين قريبه وبين الإنسان وبين الله، بينما لاهوتياً هي بحد ذاتها كرازة نبوية من خلال الاحتفال، تحقيقاً لقول الرب نفسه: «لأنكم في كل مرة تأكلون من هذا الخبز وتشربون من هذه الكأس تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي وتذكرونني إلي أن أجيء» (١ كو ٢: ٢٦) و (صلوات التأسيس في القداس الإلهي).

فالإفخارستيا تنضح على العالم رسالة الكنيسة النبوية: رسالة الكرازة بالحق الإلهي من جهة خلاص وتجديد العالم. وهذا هو:

٢ – الوجه النبوي لدعوة الكنيسة: الكرازة بالحق

موهبة الاستنارة المعطاة للمسيحيين

في اكتشاف المسيح " الكنز المخفي " والكرازة به

يقول القديس إيرينئوس:

[بالرغم من أن إبراهيم شخص واحد إلا أنه كان يرمز في شخصه للعهدين. فما زرعه البعض حصده البعض الآخر كما هو مكتوب «وفي هذا يصدق القول أن واحداً يزرع وآخر يحصد» (يو ٤: ٢٢). فرؤساء الآباء في العهد

القديم زرعوا الكلمة المختصة بالمسيح، ولكن الكنيسة حصدت أي نالت الثمر. لذلك فمن يقرأ الأسفار بانتباه، فسوف يجد فيها وصفاً عن المسيح ونبوات عن الدعوة الجديدة. **لأن المسيح هو الكنز المخفي في الحقل** (لأن الحقل هو العالم – متى ٣: ٣٨)، أي هو الكنز المخفي في الأسفار من حيث أن الأسفار أشارت إليه بالرموز والأمثال. ومن ثم فلم يكن ممكناً إدراك الطبيعة البشرية قبل أن تتحقق هذه الرموز والأمثال التي سبق إعلانها عن مجيء المسيح. لذلك قيل لدانيال: «اغلق على الأقوال واختم على الكتاب إلى وقت الانقضاء. إن كثيرين يتصفحونه ويزداد العلم» (دانيال ١٢: ٤،٧). وإرميا يقول أيضاً: «في آخر الأيام تفهمون» (إر ٢٣: ٢٠). لأن كل نبوة هي، قبل تحقيقها، تتضمن إشارات وغوامض. ولكن حينما يحل الوقت ويأتي الاستعلان تصير النبوات واضحة وتنكشف غوامضها. **ولهذا السبب فإن الناموس حينما يُتلى على اليهود في الوقت الحاضر فهو بمثابة أسطورة لأنه ليس لديهم كشف للأمور المتصلة بمجيء ابن الله في الجسد، ولكن حينما يُتلى على المسيحيين، فهو كنز مخفي حقاً في حقل ولكن مُستضاء بصليب المسيح ومُستوضح ليخصب فهم الناس، مُظهراً حكمة الله**، وموضحاً عهوده المتواصلة مع الإنسان، ومتنبئاً سلفاً بملكوت المسيح، وكارزاً بالرجاء في ميراث أورشليم المقدسة، ومعلناً مسبقاً أن الإنسان الذي يحب الله سوف يبلغ إلي امتياز رؤية الله وسماع كلمته، ثم من سماعه لوصاياه يتمجد إلي الحد الذي لا يستطيع الآخرون أن ينظروا مجد طهارته كما قيل بدانيال: «ويضيء الفاهمون كضياء الجَلَد (جلد السماء)، والذين ردوا كثيرين إلي البر كالكواكب إلي أبد الدهور» (دا ١٢: ٣).]

[وهكذا إذن تَخاطب الرب مع تلاميذه بعد قيامته من الأموات مثبتاً لهم من

الكتب نفسها «أن المسيح كان ينبغي أن يتألم، ويدخل إلى مجده، وينبغي أن يُكرز باسمه بالتوبة ولمغفرة الخطايا في جميع الأمم» (لو ٢٤: ٢٦ و ٤٧، أع ١: ٣)].

[أما تلميذ الرب فسوف يتكمل ويرجع ويصير «مثل رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء» – متى ١٣: ٥٢].

إذن، فرسالة المسيحيين – تلاميذ الرب – هي كشف المسيح الكنز المخفي في الأسفار النبوية والكرازة به لجميع الأمم، بموجب موهبة استضاءة معرفتهم وفهمهم لصليب المسيح. وهذا هو المضمون العام "للكرازة بالحق" كما يسميها القديس إيرينيئوس.

الكنيسة كارزة بالحق للعالم:

يقول القديس إيرينيئوس:

[الكنيسة على تشتتها في كل العالم وحتى إلى أقاصي الأرض، استلمت من الرسل وتلاميذهم هذا الإيمان، إلا أنها وكأنها بيت واحد ليس إلا، وهي تصون هذا الإيمان بعناية. إنها تؤمن ببنود الإيمان هذه وكأن لها نفساً واحدة وقلباً واحداً لا غير. وهي تعلنه وتعلمه وتسلمه للأجيال في تناغم كامل وكأنها فم واحد فحسب. لأنه بالرغم من أن لغات العالم غير متشابهة إلا أن فحوى التقليد واحد ونفس الشيء... وكما أن الشمس المخلوقة من الله واحدة وذات الشيء في العالم كله، هكذا أيضاً الكرازة بالحق تشرق في كل مكان وتنير على كل الناس الراغبين في أن يُقبلوا إلى معرفة الحق].

الكنيسة مستودع الحق:

[إيماننا المسلَّم من الكنيسة، نحن نحفظه، وهو دائماً بروح الله يجدد شبابها، وكأنه وديعة ثمينة في إناء فاخر، وهذه الوديعة تكون سبباً في تجديد شباب الإناء الذي يحتويها.

لأن عطية الله هذه أي الكرازة بالحق قد استُودعت للكنيسة، كمثل نسمة الحياة التي استُودعت للإنسان المخلوق الأول حتى تحيا كل أعضاء الإنسان التي تتلقى هذه النسمة. هكذا أيضاً واسطة الشركة مع المسيح قد تغلغلت في كل كيان الإنسان، أعني بها **الروح القدس، الذي هو عربون عدم الفساد، ووسيلة تثبيت إيماننا، وسلم صعودنا إلي الله**].

الأسقف والقسوس مؤتمنون على الحق في الكنيسة:

[إنه مكتوب "لأن الله وضع أولاً في الكنيسة رسلاً، أنبياء، معلمين.." وباقي المواهب التي من خلالها يعمل الروح، الذي كل من ليس شريكاً فيه - أي لا يلتحق بالكنيسة - يحرم نفسه من الحياة من جراء أفكاره الملتوية وسلوكه الشاذ. **لأنه حيث تكون الكنيسة فهناك روح الله، وحيث روح الله فهناك تكون الكنيسة وكل نوع من النعمة، ولكن الروح هو الحق.** لذلك فأولئك الذين لا يشتركون فيه فلن يتغذوا بالحياة من ثديي الأم. ولن يتمتعوا بهذا الينبوع الصافي الذي ينحدر من جسد المسيح].

"طاعة الحق" هي ضمان وحدة الكنيسة على مدى الأجيال:

إن ضمان وحدة الكنيسة عند إيرينيئوس يكمن في **طاعة الحق** بطاعة المؤمنين للقسوس والأسقف باعتبار هؤلاء **مؤتمنين وناطقين** بالحق.

[إنه واجب أن يطاع القسوس الذين في الكنيسة - هؤلاء الذين نالوا الخلافة

من الرسل، الذين مع الأساقفة قد نالوا **"موهبة الحق"** " Charisma Veritatis " وذلك بحسب مسرة الآب الصالحة].

[من يرغب في أن يستوضح الحق، فليتأمل بوضوح تقليد الرسل المعلن في كافة أنحاء العالم، لأنه إن كان الرسل قد عرفوا الأسرار الخفيات، إلا أنهم سلموها بالتالي لأولئك الذين ائتمنوهم على الكنائس. وقد كانت رغبتهم هي أن هؤلاء الرجال يكونون كاملين وبلا لوم في أي شيء، لأنهم كانوا سيتركونهم كخلفاء من بعدهم، مستودعين في أيديهم تدبير الكنيسة، حتى إذا ما قاموا بمهمتهم بأمانة يصيرون سبب ابتهاج عظيم للكنيسة].

تحذير لمدبري الكنيسة مهما علت رتبتهم من التساهل في الحق:

[ليس لأي واحد من المدبرين في الكنيسة، مهما علت موهبته المعطاة له، أن يوجد في موقف التساهل، وليس له أن يعلم تعاليم مختلفة لتلك (المسلّمة من الرسل)، **لأنه ليس أحد أعظم من المعلم**، ومن ناحية أخري فإن من هو غير كفء في قوة الشرح ليس له أن يهاجم التقليد... ولا الذي هو قدير في التفسير مسموح له أن يضيف عليه].

موقف المؤمنين من الكهنة المخالفين:

[أولئك الذين بحسب اعتقاد الكثيرين هم قسوس، ولكنهم يخدمون شهواتهم الخاصة، ولا يعلون مخافة الله في قلوبهم، ويسلكون باستخفاف تجاه الآخرين بسبب انتفاخهم لجلوسهم في المتكأ الأول. من مثل هؤلاء يجب أن نتحفظ. ولنلتصق بأولئك الذين يتمسكون بتعليم الرسل والذين مع درجة الكهنوت يقدمون كلاماً صحيحاً وسلوكاً بلا لوم بقصد تثبيت وتقويم الآخرين].

إذن، فشرط الطاعة للمؤتمنين على الحق في الكنيسة يكمن في التزام هؤلاء بتقديم

الكلام الصحيح والسلوك بلا لوم من أجل تثبيت وتقويم الآخرين. أما النوع الآخر من الكهنة فقد أوضح إيرينيئوس سماتهم وموقف المؤمنين منهم، مؤكداً على حقيقة هامة أن درجة الكهنوت يلزمها - لكي تكون جديرة بطاعة صاحبها - تقديم الكلام الصحيح والسلوك بلا لوم والتواضع الذي يظهر في عدم الاستخفاف بالآخرين بحجة جلوسهم في المتكأ الأول دون الآخرين.

وحدة الكنيسة، يهددها دائماً التعالي على التقليد:

لذلك فإن ما يهدد وحدة الكنيسة دائماً هو اعتقاد بعض الأشخاص أنهم أكثر حكمة من واضعي تقليد الكنيسة.

[حينما نحيلهم "أي المخالفين" إلي ذلك التقليد الذي يستمد أصله من الرسل والمحفوظ عن طريق الخلافة الكهنوتية في الكنائس، يعترضون على التقليد قائلين أنهم أكثر حكمة حتى من الرسل أنفسهم، وأنهم إنما قد اكتشفوا الآن الحق غير المغشوش]!!

ويُرجع القديس إيرينيئوس انقسام الكنيسة الذي يسببه هؤلاء الأشخاص إلي أربعة عوامل شخصية في نفوسهم:

[أولئك الذين يسببون الانقسامات:

- هم متجردون من محبة الله،
- ويراعون مصلحتهم الشخصية الخاصة بدلاً من وحدة الكنيسة،
- ومن أجل أسباب تافهة يجزئون ويقسمون جسد المسيح العظيم الممجد،
- ويروجون للهرطقات[٣] التي هي التعاليم غير القائمة على تعليم الرسل وعقيدة الآباء].

(٣) راجع الباب الخامس من هذا الكتاب عن "الآباء والهرطقات"

الفصل الثاني

الكنيسة حاملة الإيمان الحقيقي

مقتطفات من رسائل وكتابات القديس البابا أثناسيوس الرسولي

الكنيسة هي عمود الحق وقاعدته (١ تي ٣: ١٥)، وهي حاملة الإيمان المسلَّم مرة للقديسين. هكذا عاشت واستمرت، وهكذا خدم آباؤها وأبناؤها أجيالهم وعبروا بعد أن سلموا الأمانة والوديعة كما هي.

في فصح عام ٣٥٦ م. وجَّه البابا أثناسيوس الرسولي [البطريرك العشرون]، رسالة إلي أساقفة الكنيسة في مصر وليبيا من منفاه بصحراء ليبيا بعد أن نفاه سيرانوس الوالي ليفرض بطريركاً آريوسي المعتقد.

وفي هذه الرسالة يحذر ويوجه، وفي تحذيره وتوجيهه تتذكر مرة أخري الكنيسة علي صورتها الحقيقية كما ينبغي أن تكون، حاملة الإيمان وحافظة للتقليد وحارسة للتعليم الصحيح. والكنيسة في عُرف القديس أثناسيوس الرسولي هي **كل مسيحي مخلص وكل تلميذ حقيقي للإنجيل**.

موهبة تمييز الأرواح معطاة لكل مؤمن:

يقول القديس أثناسيوس الرسولي:

[المسيحي المخلص والتلميذ الحقيقي للإنجيل، بسبب ما عنده من نعمة يميز بها الروحيات. ولكونه بني بيت إيمانه علي صخرة، لذلك فهو يقف في صمود وأمان دائمَين ضد خداعهم. أما الإنسان الساذج، كما قلت من قبل، أي الذي

لم يتأسس تماماً في المعرفة، مثل هذا الإنسان الذي ينظر فقط للكلمات التي تقال دون التعمق في معانيها، فلابد أن يُجتذب بعيداً بسبب غوايتهم.

لذلك، فمن النافع والصالح لنا أن **نصلي حتى ننال موهبة تمييز الأرواح**، حتى يعرف كل واحد مَنْ هو الذي لا يقبله، ومَنْ الذي يقبله كصديق وعلى نفس الإيمان].

هذه الموهبة هي التي على هداها وقف شعب الكنيسة القبطية ضد هرطقات الآريوسيين وتلاعبهم بالألفاظ وابتكارهم الأفكار المستجدة التي لم تستلمها الكنيسة من الآباء، الأمر الذي أدى إلي البطش بهم واضطهادهم وطردهم من كنائسهم ووظائفهم في الكنيسة كما ورد في تاريخ هذه الفترة الحاسمة من حياة الكنيسة القبطية. ولكن الإيمان بالرغم من كل هذا حُفظ والتقليد الرسولي ظل يُسلّم للكنيسة من جيل إلي جيل طاهراً نقياً من أي انحراف أو خطأ.

تجربة قابلها شعب حفظ الإيمان فطُرد من كنيسته :

لم يكن البابا أثناسيوس الرسولي يكف عن تعزية جماهير المؤمنين التي تُطرد بسبب إيمانها. وقد حدث أن طرد الآريوسيون شعب إحدى كنائس الإسكندرية بسبب استقامة إيمانهم، فلم يعودوا يستطيعون الدخول إلي موضع الصلاة ليؤدوا عبادتهم وتسابيحهم فكتب يعزيهم **مفضلاً الإيمان علي المكان**، فقال لهم :

[حقاً أنتم محزونون لأنكم طُردتم من أماكنكم. إنهم يتمسكون بالأماكن وحدها أما أنتم فتتمسكون بالإيمان الرسولي. حقاً، هم داخل الأماكن، ولكنهم خارج الإيمان الحقيقي، بينما أنتم خارج الأماكن أما الإيمان فداخلكم. فلنتبصر أيهما أعظم : المكان أم الإيمان؟ واضح أنه الإيمان الحقيقي. من الذي فَقَدَ أكثر من الآخر أو من اقتنى أعظم من الآخر؟ الذي تمسك بالمكان أم الذي تمسك بالإيمان ؟ حقاً جيد هو المكان حينما يُكرز فيه بالإيمان الرسولي، ومقدس هو المكان إن كان القدوس يسكن هناك... فمباركون أنتم، يا من بالإيمان أنتم داخل الكنيسة، تسكنون علي أساسات الإيمان، وعندكم اكتفاء

فلم يهتز مستوى إيمانكم العالي].

الأساقفة هم ناقلو التقليد للشعب والمحافظون عليه ضد أي تجديد :

ومن جهة أخري فالبابا أثناسيوس الرسولي وهو يوجه رسالته إلي أساقفة الكنيسة يلقبهم: ["حاملي آنية الرب " (أش ٥٢ : ١١)، الذين يحمون ويصونون تعاليم الكنيسة] و [أنتم يا من تحفظون في يدكم الاعتراف الذي تحدد بواسطة الآباء في نيقية، وتدافعون بكل غيرة وثقة في الرب].

ثم يوصيهم بعد ذلك من جهة رعيتهم :

[كونوا أمثلة للأخوة في كل مكان، وأظهروا لهم أن الجهاد موضوع أمامنا الآن لحفظ إيمان الآباء المجتمعين في نيقية الذي سجلوه كتابة. ولا تقبلوا أولئك الذين يحاولون أن يجددوا عليه].

[كونوا غيورين علي الرب، تمسكوا، كل واحد، بالإيمان الذي استلمناه دفاعاً عن الحق ضد الهراطقة، وأن خداعات العدو متنوعة. لأن برهان الشهيد قائم لا في رفضه حرق البخور أمام الأوثان، بل إن رفض إنكار الإيمان أيضاً شهادة رائعة علي الضمير النقي. وليس فقط الذين تحولوا إلي الأوثان هم المدانون بأنهم مخالفون، بل أيضاً أولئك الذين خانوا الحق... لذلك فلنتبصر كلنا أن أمامنا أن نختار إما أن ننكر الإيمان أو نرفضه... فليكن حرصنا الشديد وقصدنا أن نحرس ما استلمناه... ولنترك كل ابتكار وتجديد، ولنُعلِّم شعبنا ألا يبالوا بـ «الأرواح المضلة» (١ تي ٤ : ١)].

تحذير ممن يتكلمون بلغة الأرثوذكس وهم هراطقة :

وحينما يحذر القديس البابا أثناسيوس الرسولي أساقفته وشعبه من الهراطقة، فهو يعرف أن هؤلاء الأخيرين يتسترون أحياناً وراء آيات الكتاب المقدس لكي يخدعوا البسطاء، لذلك فهو يلمِّح إلي هذه المحاولة فيقول :

[قد يقتبسون آيات من الكتاب المقدس، فلا تقبلوا كتابتهم، وقد يتكلمون بلغة

الأرثوذكس فلا تنصتوا إلي ما يقولون، لأنهم لا يتكلمون بذهن مستقيم بل يلبسون هذه اللغة كمثل ثياب الحملان، بينما هم في قلوبهم يفكرون مثل آريوس، على طريقة الشيطان الذي هو أبو كل الهرطقات، لأنه هو أيضاً استعمل كلمات الكتاب المقدس لكنه أُخرِس من قِبَل مخلصنا. لأنه إن كان يعني حقاً ما يقوله لما سقط من السماء. لكنه وقد سقط بسبب كبريائه فهو يتحايل مُتصنِّعاً في حديثه، وكثيراً ما يسعى في خبث إلى تضليل الناس بمكر الأمم ومغالطاته].

الكنيسة هي الأم الفرحة بأولادها بسبب إيمانهم :

إن الكنيسة في نظر القديس أثناسيوس الرسولي هي «أم الأولاد الفرحة» (مز ١١٣) التي تحفظ بيتها فرحة «لأن أولادها خلصوا بالإيمان في المسيح».

وإن كمال الكنيسة النهائي لن يكون للكنيسة التي علي الأرض بل للكنيسة في السماء. إن ملكوت الله (متي ٦ : ٣٣) يشرحه القديس أثناسيوس بأنه [التمتع بخيرات المستقبل، التي هي التأمل في الله ومعرفته بقدر ما يمكن لنفس الإنسان أن تحتمله]. وفي تفسيره لمدينة الله الوارد ذكرها في مز ٨٧ : ١ - ٣، يعتبرها الكنيسة الممجدة [بسكنى الابن الوحيد فيها].

من أجل هذا يدعو القديس البابا أثناسيوس الرسولي شعبه وأساقفته أن يكونوا مستعدين لحفظ الإيمان حتى الموت، حتى الدم... ليظفروا بعضوية الكنيسة الكاملة الممجدة في السماء.

[هذا هو ما يعطشون إليه، وهم يداومون حتى اليوم الرغبة في سفك دمي. ولكني لا أبالي بهذه الأمور، لأني عارف ومقتنع بأن الذين يتألمون سينالون الجزاء من مخلصنا. وأنتم أيضاً إن كنتم تتألمون كما تألم الآباء وتُظهرون أنفسكم أمثلة للشعب، وتطيحون بمكائد الأشرار المخالفة فسوف يمكنكم أن تمجدوا وتقولوا: «حفظنا الإيمان» (٢ تي ٤ : ٧)، وأن تنالوا «إكليل الحياة» الذي وعد به الرب كل الذين يحبونه (يعقوب ١ : ١٢). وليمنحني الله أنا أيضاً معكم أن أرث هذه المواعيد التي سبق ومُنحت ليس لبولس وحده بل أيضاً لكل الذين يحبون ظهور ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح].

الباب الثالث

السلطان الروحي
في
علم اللاهوت الأرثوذكسي

مُقَدِّمَة

الكنيسة القبطية كنيسة أرثوذكسية لها ذات إيمان الكنيسة الجامعة الرسولية كنيسة الله الأرثوذكسية (والتي تصلي من أجل سلامتها في أوشية السلامة في صلوات الليتورجية). ولاهوتها متوافق مع لاهوت الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة. ولا يصح أن يتعارض معها إلا في الموضوعات الخلافية التاريخية المعروفة مثل "طبيعة المسيح" وغيرها وهي موضوعات تم الاتفاق على معظمها فعلاً.

وفي هذا الباب نقدم موضوعين لإثنين من كبار اللاهوتيين في الكنيسة الأرثوذكسية يبحثان موضوع "**السلطة** " و "**السلطان**" كما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية وكما يجب أن تمارسه عملياً في حياتها اليومية.

الموضوع الأول: **السلطة في العقيدة المسيحية.**

الموضوع الثاني: **السلطة العليا في الكنيسة.**

وكلا الموضوعين يحددان معنى ومضمون السلطان الروحي في الكنيسة الأرثوذكسية بالأسلوب العلمي المنظم والذي يفرق في الوقت نفسه بين مفهوم الكنيسة الأرثوذكسية وبين مفهوم كلٍ من الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والطوائف البروتستانتية واللذين هما الإثنان مرفوضين في الكنيسة الأرثوذكسية ويجب الحذر منهما في كنيستنا القبطية الأرثوذكسية.

الفصل الأول

السلطة في العقيدة المسيحية [1]

[الكنيسة ليست سلطة، كما أن الله ليس سلطة والمسيح ليس سلطة، هذا إذا كان مفهوم السلطة أنها قوة خارجية مفروضة علينا. الكنيسة ليست سلطة، كما قلت، بل هى الحق، وفي نفس الوقت هي الحياة الروحية الباطنية للمسيحي طالما أن الله والمسيح والكنيسة يثبتون في داخله حياة أكثر حقيقية من القلب الذى ينبض بين جنباته والدم الذى يتدفق في عروقه، ولكنهم يحيون فيه طالما هو يحيا الحياة الرحبة للحب والوحدة وهذه هى حياة الكنيسة.]

قول لعالم لاهوتي روسي من شعب الكنيسة الروسية الأرثوذكسية خومياكوف عاش في القرن التاسع عشر.

هذا النص كتبه "خومياكوف"، وهو لاهوتي ومن شعب الكنيسة في القرن التاسع عشر، وتأثيره ما زال مستمراً ولم يخبو من وسط اللاهوتيين الأرثوذكس المعاصرين، وهو يُعتبر مقدمة فقط لتحديداته الشاملة عن الفروق الكثيرة بين الأرثوذكسية - من جهة - وبين المسيحية الغربية من الجهة الأخرى، عن طبيعة الخلاف حول **مفهوم "السلطة"** في الكنيسة. فيرى خومياكوف أنه في الغرب **"أصبحت السلطة قوة خارجية مفروضة" "ومعرفة الحقائق الدينية اقتُطعت وفُصلت عن الحياة الروحية"**، وأن الكنيسة (الغربية) هى التي تفرض هذه الحقائق على العقل البشرى وحده كواسطة **"ضرورية"** أو نافعة للخلاص (بحسب تحديدات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وبدونها يهلك الذي لا يعتنق

---

(١) للعالم اللاهوتي الأرثوذكسي جان مايندورف عميد كلية فلاديمير اللاهوتية الأرثوذكسية بنيويورك:
John Meyendorf, *Historical Relativism and Authority in christian Dogma*, St. Vladimir's Seminary Quarterly, Vol. 11, 2, 1967, pp. 73-86 والترجمة بتصرف طفيف وما هو خارج عن النص داخل قوسين [ ].

هذه المبادئ)! وحينما أتت حركة الإصلاح (البروتستانتي) استبدلت سلطة الكنيسة الخارجية بسلطة "الكتاب المقدس" وحده. ويقول خومياكوف إن كلا الاتجاهين يحملان نفس الخطأ من وجهة نظر الكنيسة الأرثوذكسية. [لذلك فممارسة السلطة بأي من الاتجاهين مرفوض في الكنيسة الأرثوذكسية].

وأهم ما نخرج به من هذا التقييم الجدلي هو أن **مشكلة السلطة** لها تاريخ طويل، وعلى الأخص في العلاقات بين الشرق والغرب، وهذه المشكلة تدور ليس فقط بالرد على السؤال: **مَنْ أو ما الذى يملك السلطة؟** [هل البابا الروماني أم الكتاب المقدس] بل وأيضا بتحديد **المفهوم الصحيح للسلطة وعلى الأخص في الأمور التي تختص بالإيمان المسيحي**. وسوف نحاول أن نحتفظ في ذهننا بهذا السؤال التمهيدي أثناء مناقشتنا للسلطة في هذه المقالة.

١. سلطان الله من داخل الكنيسة

إن السلطان المطلق لله هو أحد أهم المبادئ الأساسية للعهد القديم، وأن استعلان مشيئته هو في حد ذاته تعبير عن رحمته. ولكن هذا السلطان يمكن أن يُفهم فقط "بخوف ورعدة" (تك ١٨:٢٧، خروج ٣ :٦، أش ٦:٤-٥؛ أيوب ٢٤:٢-٣).

سلطان الله في العهد القديم : من خارج الجماعة

وهكذا نفهم العهد الذى قطعه الله مع شعبه في سيناء باعتباره مبادرة إلهية من جانب الله فقط. وأنبياء الله كانوا يذكّرون إسرائيل دوماً بحق الله في فرض شروطه. ومن بين أهم الموضوعات في كرازة الأنبياء، هو رفض الفكرة القائلة بأن يهوه في حاجة إلى إسرائيل، وأن العهد الإلهي مع إسرائيل يشبه عقود الاتفاق ذات الطابع الثنائي. فهذا العهد أو الميثاق من جانب واحد - عبَّرت عنه الترجمة السبعينية للعهد القديم باللغة اليونانية بكلمة "**ذياثيكي**" (أي "العهد أو الميثاق أو الإرادة") كترجمة للكلمة العبرية "بريت"، وذلك بدلاً من التعبير اليوناني "**سينثيكي**" الذي يصف العهد أو المواثيق الثنائية الأطراف. فبتقديم إسرائيل الطاعة من جانب واحد لوصايا الله، يكون قد أوفى شروطه في هذا الميثاق أو العهد أو الاتفاق، وحينئذ ينال حماية الله وقيادته لهم حسب الوعد

القائل: «قد واعدت الرب اليوم أن يكون لك إلهاً وأن تسلك في طريقه وتحفظ فرائضه ووصاياه وأحكامه وتسمع لصوته، وواعدك الرب اليوم أن تكون له شعباً خاصاً كما قال لك وتحفظ جميع وصاياه» (تث ٢٦:١٧، ١٨).

إن طريقة العهد القديم في إبرام "العهد" تعكس معالم سلطة الله، أنها - بحسب ما كان سائداً آنذاك - سلطة خارجية، مطلقة وواجبة المخافة والرعدة من جانب الشعب. ونحن نعلم أن بولس الرسول يبدأ من هذه الفكرة ليوضح في رسالته إلى روميه مضمون "الكرازة" المسيحية حينما يقول: «فإذاً، هو يرحم من يشاء ويُقسي قلب مَنْ يشاء... مَنْ أنت أيها الإنسان الذى تجاوب الله» (رو ٩:١٨،٢٠).

سلطان الله في العهد الجديد : من داخل الجسد

لكن العهد الجديد يتضمن أيضاً إعلان ميثاق جديد يغير بطريقة جذرية من ممارسة الله لسلطانه على البشر. فمن بين أكثر الاختلافات وضوحاً بين العهدين، ما أشار إليه عالِم الكتاب المقدس دوض "**C. H. Dodd**"، أنه إذا كان العهد القديم يتضمن "قصة عن جماعة" والتفسير يأتي من خلال النظرة الشخصية، فالعهد الجديد لم يعد يتضمن قصة عن جماعة بعد بل أساساً عن "**شخص**". وهذا الشخص هو **المسيا** الذى يأخذ على عاتقه تحديد مصير إسرائيل ويصير جماعة نيابة عن كل البشرية، إنه قصة عن عهد الله الجديد، زد على ذلك أنه إذا كان موسى، وهو يجمع إسرائيل عند سفح سيناء، يرش عليه دم ثور باعتباره "**دم العهد**" (خروج ٢٤:٨)؛ فإن العهد الجديد لربنا يسوع المسيح يكمن "**في دمه**" (١كو ١١:٢٥، لو٢٢:٢٠)، أو بحسب الإنجيل للقديس متى والقديس مرقس، فإن دم المسيح يصير هو "**دم العهد**" (متى ٢٦:٢٨، مر ١٤:٢٤).

وإن كان العهد الجديد - كما يقول العالم دوض "**C. H. Dodd**" - يتحدث عن شعب الله "بطريقة ثانوية" فذلك لأن إسرائيل في العهد الجديد صار هو "جسد" المسيا؛ وهكذا فقدت إسرائيل استقلاليتها وذاتيتها، بمعنى أنها كفّت و لم تعد أن تكون "طرفاً" في الميثاق مع الله. إن مفهوم بولس الرسول عن الكنيسة "**كجسد المسيح**" هو في حقيقته تجسيد للصورة التي رسمها إشعياء عن "العبد المتألم". **فالمسيا** عند بولس هو حقاً **يسوع** ، لكنه هو أيضا "**كل إسرائيل الجديد في المسيح**" تماماً كما يرسم إشعياء صورة

مزدوجة للمسيا كشخص وأيضا لإسرائيل كشعب.

[إن الكنيسة ليست هيئة أو منظمة أو كياناً بشرياً أو شعباً أو إكليروساً يتسلط على الشعب، بل الكنيسة هى ببساطة :

[المسيح متجسداً البشرية الجديدة المؤمنة به]

فحينما نتكلم عن الكنيسة فينبغي أن نتأنى ونمعن النظر في هذه الصورة الإلهية البشرية، **لذلك فمَنْ يستطيع أن يدَّعي أن له السلطان على الكنيسة؟ أي على "المسيح متجسداً البشرية الجديدة المؤمنة به" ؟ من يجرؤ؟ ومن له الوجه أن يدَّعى ذلك؟ المسيح الرأس هو وحده الذى له السلطان والسلطة في الكنيسة وعلى الكنيسة بكل مَنْ فيها وبكل مسمياتهم: إكليروساً وشعباً، رعاة ورعية، آباء وأبناء، رؤساء ومرؤوسين**. أما الرعاة والإكليروس فهم خدام إنجيل المسيح وخدام كهنوت المسيح وخدام خلاص المسيح وخدام حضور المسيح وسط شعبه.

ومن هذا المنطلق وحده يجب أن نفحص أية قضية وندير أي مناقشة أو حوار حول أي شأن من شئون الكنيسة وعلى الأخص **قضية السلطة في الكنيسة، ووصية الطاعة للآباء والرؤساء في الكنيسة، ومسألة الالتزام أو التمرد أو التحايل على قوانين الكنيسة**. المسيح المتجسد البشرية هو هو الكنيسة، ولا سلطان على جسد المسيح إلا للمسيح وحده، والكل واقفون تحت سلطان ألوهيته وملوكيته، وربوبيته للكنيسة، جسده، وملتزمون بطاعة وصاياه ومشيئته وقانون جسده الكنيسة.]

المحبة بحرية هي أساس السلطة في العهد الجديد

إلا أن العهد الجديد يتضمن أيضا وصية الله. إنها **"الوصية الجديدة"** للمحبة (يو ١٣: ٣٤). إنه مطلب مختلف جذرياً عن ناموس موسى، لأنه يمثل علاقة شخصية ومتبادلة بين الله والإنسان: «الذى عنده وصاياي ويحفظها فهو الذى يحبني، والذي يحبني يحبه أبى، وأنا أحبه وأُظهر له ذاتي» (يو١٤: ٢١). ويتفق القديس بولس والقديس يوحنا في فهمهما لرسالة العهد الجديد في أنه في المسيح يسوع تحدث المواجهة والتلاقي

المباشرين بين الله والإنسان، مواجهة وتلاق صارتا ممكنة التحقيق للكثيرين من خلال سر قيامة المسيح وحضور الروح القدس، ومواجهة وتلاق تتساميان على وتحل محل وتشرح المقولات القانونية الخارجية عن "**الوصية – الطاعة – الأمانة**" للناموس.

هذه الموضوعات الأساسية والمعروفة لدى كل دارسي ومدرسي العهد الجديد ذات أهمية حاسمة قاطعة مانعة لفهم السلطة في كنيسة الله المسيحية – [والأرثوذكسية بوجه خاص]، لأن الله لم يعد يتكلم إلى الجماعة وهو خارج عنها، لكنه حاضر من خلال الروح القدس **في وسط الجماعة**، والجماعة ذاتها هى مجمع "**القديسين**" مجمع "**الأبناء**" بالتبني، مجمع "**الأشخاص المحبين عن حرية**"، إذ قد «نالوا ختم الروح» (أفسس ١:١٣) وهم «المتعلمون من الروح القدس» (٢كو ٢:١٣). ويقول القديس بولس: «الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح في قلوبنا» (٢كو ١:٢٢). فالكنيسة هى «الجسد»، إنها حقيقة المسيح نفسه.

السلطان الممنوح للكنيسة هو لمغفرة الخطايا أولاً ويُمارَس من خلال الكنيسة

إن "**السلطان**" الملكي الذى للمسيا يسوع يؤكده العهد الجديد، إنه **سلطان مغفرة الخطايا** على الأخص (مر٢: ١٠). إنه أحد أوضح العلامات للاهوت المسيح. هذا السلطان الذى هو نفسه سلطان الله، مُعطِى الناموس في العهد القديم، يتضمن تنفيذ "وصاياه" (متى ٢٨: ٢٠). لكن السمة العامة للوصايا قد تغيرت وصارت **تمارَس من داخل الإنسان أولاً بسبب سكنى الروح القدس فيه** ، كما يتضح جلياً من العظة على الجبل أن «كل الناموس والأنبياء» (متى ٥:١٧) تأسسوا على وصية المحبة: «وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلاً: يا معلم أية وصية هى العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى والعظمى، والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» (مت ٢٢:٣٥-٤٠). وهكذا فقدت وصايا الناموس وإنذارات الأنبياء سمتها القانونية الخارجية وامتلأت من قوة «محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطَى لنا» (رو ٥:٥).

وما يتبع ذلك أن السلطة الخاصة التي قلدها الرب يسوع لبعض (ثم لكل) تلاميذه أي للإثني عشر أو السبعين رسولاً **تكون سلطة فقط من داخل الكنيسة وليس فوقاً منها أو خارجاً عنها.**

ومن هذا المفهوم، فإن مفسري كلمات المسيح عن سلطان الحِل والربط في إنجيلي يوحنا ومتى لم يعودوا يتناقشون ويختلفون حول قضية تحديد هوية الذين وُجِّهت إليهم هذه الآيات، هل إلى الكنيسة مجتمعة أم إلى مجموعة ضيقة من التلاميذ. فالأمر واضح من هذه الآيات:

«ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تُغفر له ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت» (يو ٢٠:٢٢و ٢٣).

«وإن لم يسمع منهم فقُلْ **للكنيسة**. وإن لم يسمع من الكنيسة فلْيَكن عندك كالوثني والعشار. الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء. وأقول لكم أيضاً **إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قِبَل أبي الذى في السموات. لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة بإسمى فهناك أكون في وسطهم»** (متى ١٨:١٧-٢٠).

فالسلطان معطًى وممنوح إلى الكنيسة مجتمعة. وواضح أن البشيرين لم يكونوا يحسون بأن هناك أية مشكلة من هذا القبيل على الإطلاق. **فاتحاد المسيح والكنيسة يجعل من المستحيل قيام أي سلطة بشرية على الكنيسة من فوقها أو خارجاً عنها؛** بل لقد أصبح من الضروري وجود بنيان الكنيسة المؤسس على الأسرار الكنسية الذى أدى إلى تعميم الرئاسة الأسقفية [من خلال اجتماع شعب الكنيسة معاً وفي نفس الموضع والاتفاق معاً، كما قال المسيح.]

الاستثناء الوحيد: كان سلطان الرسل أثناء حياتهم:

إلا أنه كان هناك استثناءٌ واحدٌ في التاريخ حيث كانت هناك سلطة بشرية وقفت - بمعنى خاص جداً - فوق الكنيسة وخارجاً عنها - وكانت هى شرط الوجود الأساسي للكنيسة: تلك هى سلطة تلاميذ المسيح الإثنى عشر الذين كانوا **"شهود عيان"** لقيامة المسيح والذين اختارهم وائتمنهم المسيح على تبليغ هذه الشهادة العينية للكنيسة

ليؤسسوها على **حقيقة قيامة المسيح من بين الأموات.**

† «لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض» (أعمال ١:٨)

† «وهاأنا أرسل إليكم موعد أبى فأقيموا في مدينة أورشليم إلى أن تُلبَسوا قوة من الأعالي» (لو ٢٤:٤٩).

† «فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى ارتفع فيه عنا، يصير واحد منهم شاهدا معنا بقيامته» (أع١:٢١-٢٢).

فلا يمكن أن تقوم كنيسة بدون إيمان بقيامة المسيح.« فكيف يَدْعُون بمن لم يؤمنوا به. وكيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به. وكيف يسمعون بلا كارز. وكيف يكرزون إن لم يُرسَلوا (أي إن لم يكونوا من الرسل)» (رو ١٠:١٤).

لذلك فما دام الإيمان المسيحى يقوم على حقيقة تاريخية حدثت في الزمن – ألا وهى قيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات – فلا مناص من أن تعتمد على شهادة "**الرسل**"، وهو امتياز فريد وغير ممكن نقله لآخرين وقاصر على الذين رأوا بعيونهم المسيح قد قام (أي التلاميذ الإثني عشر). وانتخاب متياس ليحل محل يهوذا يُظهر جليا أن عضوية بجمع الإثنى عشر يتحتم أن تكون لمن هو «**شاهد بقيامة المسيح**» (أع ١:٢٢).

شهادة وقيادة الروح القدس يوم الخمسين:

ولكن الكنيسة أُقيمت وتثبتت يوم الخمسين (أع ١:٢١). ثم تأسست على كلٍّ من: سلطان «**الشهادة لقيامة الرب**»، وأيضاً على **قيادة الروح القدس.** وكلا هاتين السلطتين ترتبط الواحدة بالأخرى، فلا يمكن تصوُّر أن اقتناء الروح القدس يتعارض مع شهادة الرسل، أو أن شهادة الرسل تصل للكنيسة خارجاً عن إطار عمل الروح القدس في الكنيسة.

هذا التلاحم بين السلطانين الأساسيين لتأسيس الكنيسة: أي **السلطان الشخصي**

للرسل من خلال شهادتهم بالروح القدس لقيامة المسيح، **وسلطان الروح القدس القائد للكنيسة،** أعطى الإمكانية لاستمرار الكنيسة وامتدادها حتى بعد انتقال الرسل أصحاب الشهادة الفريدة من نوعها، وأوجد استمرارية سلطان الشهادة بقيامة المسيح بعد عصر الرسل، حيث أصبحت الاستمرارية تكمن **لا في الشهادة الشخصية**، إذ كان قد رقد الرسل الشهود العيان للقيامة، بل أصبحت تكمن في **سلطان الروح القدس داخل الكنيسة الذي أصبح البديل للشهادة العيانية للرسل.**

الروح القدس في الكنيسة المجتمعة أصبح هو البديل للحضور الشخصي للرسل:

فمن الملاحظ أن غياب واحد من الإثني عشر (وهو يعقوب الرسول): «هيرودس الملك قتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف» (أع ١٢:٢) لم يتبعه انتخاب تلميذ آخر بديل كما حدث بعد موت يهوذا. فإن يهوذا الخائن كان لابد له من بديل، لكن يعقوب الشهيد لا. وبعد موت يعقوب لم يعد مجمع الرسل قائماً تاريخياً. وهكذا توقفت أية عضوية جديدة فيه. وبدأت مهمة الكنيسة في حفظ الرسالة الرسولية في نقاوتها الأصيلة، وفي استمرار الإرسالية وخدمة الرعاية بدون الرسل، وهذه المهمة أصبحت ممكنة ليس فقط بسبب اختيار خلفاء للرسل بل بسبب الطابع السرائري المشترك بين كنيسة أورشليم التي نالت الروح القدس يوم الخمسين، وبين أية كنيسة تجتمع في أي موضع آخر باسم المسيح.

إن عقيدة التعاقب الرسولي أو التسلسل الرسولي كما يقدمها لنا القديس إيرينئوس (أسقف ليون في القرن الثاني) أصبحت هي نفسها إيماننا بـ "**التقليد الرسولي**" أي الكرازة الحقة بتعليم الرسل، والتي لا تُحفظ بعمل سحري أي بمجرد وضع الأيادي على رأس شخص المرشح للأسقفية، بل من خلال **استمرار طبيعة ووظيفة الأسقف في كل كنيسة.** والقديس إيرينئوس وهو يشرح طقس "**وضع الأيادي**" المعتبر منذ أوائل عصر المسيحية أنه **علامة حلول مواهب الروح القدس،** يصور الأسقفية باعتبارها تعبّر عن "**طبيعة الكنيسة**" وليس كسلطة أو سلطان مفروض على الكنيسة. فهو يسمى موهبة الأسقفية أو التعاقب الرسولي بأنها "**موهبة الحق**" (ضد الهرطقات ٤: ٤٠: ٢)، إنها **ليست عصمة شخصية لكنها التعبير عن حقيقة أن في الكنيسة كل شئ يحدث من**

خلال احتفال الإفخارستيا حيث يرأسه الأسقف كصورة للرب وكمعبّر عن مشيئة الله. ولذلك نعود ونكرر كلام القديس إيرينئوس:

«[**كل من يريد أن يرى الحق، فليتأمل في تقليد الرسل المعلن في كل أنحاء العالم داخل كل كنيسة**][٢].

والاستمرار بين السلطة في الكنيسة أثناء حياة الرسل والسلطة في الكنيسة في العصور اللاحقة قائم على أساس **طبيعة الكنيسة كمجتمع سرائري يلتف ويلتئم حول سر الإفخارستيا**: فبسبب طبيعة الكنيسة في العهد الجديد، فإن أساس **العلاقة بين الله وشعبه هو في حضور الله وسط شعبه** وفي العالم؛ وهذا لا يمكن أن يُفهم على أساس قانوني بل الروح القدس يحول اجتماع المؤمنين وتناولهم من سر الإفخارستيا إلى جسد المسيح. ومن داخل جسد المسيح هذا يتكلم الله للناس، بل هو يجعل المؤمنين يعلنون مشيئته «*نحن عاملان مع الله*» (١كو٣:٩). إنه حضور الله وسط الكنيسة الذى يسميه الإنجيل"روح" والقديس بولس يسميه أحياناً «سر». [فلا سلطة خارجية تقتحم سر حضور الله وسط شعبه، لأن الله يتكلم من داخل الكنيسة بالسلام إلى شعبه.]

[ولذلك يُرسم الكهنة والأساقفة في احتفال الإفخارستيا يوم الأحد، لأنه المناسبة التي يُشهَد فيها لموت الرب وقيامته من خلال ممارسة سر الإفخارستيا. فهو السر الذي يُستعلن فيه الرب القائم من بين الأموات والذي جعل موته علامة حياة]

أساس البنيان الرئاسي الكهنوتي في الكنيسة

إن أسرار الكنيسة – وعلى الأخص سر الإفخارستيا- تتطلب أن تكون الكنيسة ذات بنيان رئاسي ونظام كهنوتي. والعكس أيضاً فإن أساس هذا البنيان الرئاسي له أساس لاهوتي في الأسرار ذاتها؛ أي في الحقيقة الدامغة عن الكنيسة في موضع ما أنها جماعة سرائرية أي **مؤسسة ومجتمعة على الأسرار**؛ ويسميها القديس إغناطيوس من هذه الوجهة "**الكنيسة الجامعة**". ولكن ليس هناك أي أساس لاهوتي لسلطة خارجية

(٢) **Advers. Haer. III., 3, 1**

عليا مفروضة على الجماعات السرائرية في أي موضع المعتبَرة أنها جسد المسيح بكل ملئه.

٢. السلطة والتقليد الكنسي

الروح القدس من خلال الكنيسة المجتمعة، هو أساس السلطة:

إن حقيقة استمرارية الكنيسة في الروح القدس، ابتداء من يوم الخمسين وإلى الأجيال اللاحقة، تعطينا فهماً صحيحاً للتقليد الكنسي وسلطانه في الكنيسة، فما لابد أن نعرفه أن التلاميذ فهموا من هو يسوع ليس فقط من الرب يسوع المسيح إبان وجوده معهم على الأرض، بل وأيضا وبالأكثر من خلال الروح القدس «الذى يرشدكم إلى جميع الحق» (يو١٦: ١٣).

ومن هذا الفهم الكامل قاد الروح القدس الإنجيليين ليكتبوا تسجيلاتهم عن المسيح والتي فاقت على كونها مجرد "ذكريات" أو "مذكرات" كما سماها بابياس (أحد الكتّاب المسيحيين في القرن الأول الميلادي)، بل صارت تقديماً حياً عن كل ما تكلم به الرب لتلاميذه. وهذا هو التقليد الكنسي في بداية تكوينه.

بمفهومنا المسيحي هذا عن "التقليد" أصبح للكنيسة بعد الرسل حرية مسئولة لتمييز مشيئة الله – وذلك من خلال الروح القدس الذى أصبح هو "**الضمان**" الوحيد للحق وللأمانة الكاملة لشهادة الرسل المقولة والمكتوبة عن حياة رب المجد وأقواله.

وكلا هذين الاتجاهين، أي تمييز مشيئة الله والأمانة لشهادة الرسل عن حياة الرب وأقواله، كانتا تتطلبان قبولاً كاملاً لإيمان الكنيسة الأولى، وهو الالتزام الذى تحمله الكنيسة على مدى الأجيال.

وكمثَل لهذا، أننا إذا فحصنا كيف استقر اختيار الكنيسة (من بين اختيارات عدة)، على تقديم بشارة الإنجيل للأمم، ثم على رفض هرطقة الغنوسية، فإننا نجد أن الكنيسة لم تستند على سلطان غير سلطان الروح القدس لتختار اختيارها الصائب في هاتين المشكلتين العويصتين. ومن هنا جاء قرار مجمع أورشليم للكنيسة الأولى مسنوداً بهذه العبارة «**لقد رأى الروح القدس ونحن**» (أع ١٥: ٢٨).

إلا أن قيادة الروح القدس لا تتسق أبدا مع "**الفردية**" ولا مع "**العاطفة**" ولا مع

"حكم الفرد". لكن طبيعة الكنيسة المؤسسة على **الاجتماع الإفخارستي للكنيسة جسد المسيح هي التي في إطارها يمكن أن تتحقق قيادة الروح القدس للكنيسة** ولكهنتها الذين يمثل كل واحد منهم وسط إيبارشيته شخص الرب نفسه. وهو مسئول عن التعليم الصحيح كما عن الرعاية والتوجيه للجماعة.

ولكن لأن وظيفة الأسقف أو الكاهن مستمدة، ليس من اختيار شخصي مغلق من جانب المسيح تجاه هذا الشخص بطريقة فردية، بل من عمل الروح القدس بواسطة اختيار الكنيسة كلها؛ لذلك فالأسقف لا يمكن أن يتمتع بأية عصمة شخصية، فتعاليمه وأفكاره وآراؤه يجب أن تُراجَع وتُقَارن دائماً مع تعاليم وأفكار وآراء شركائه في كل موضع، [وطبعاً مع طغمة المثقفين والعلماء والمفكرين اللاهوتيين وسط الشعب]. لذلك فالإجماع على الحق هو علامة جازمة ذات سلطة أكثر من الرأي المنفرد للأسقف الفرد. كما أن الإجماع من كنائس المسكونة هو أعلى سلطة في أمور الإيمان.

والمجامع هي التي تُستعلَن فيها مشيئة الروح القدس:

وهنا نعود إلى إظهار أن المفهوم الأرثوذكسي عن الكنيسة هو أساس قيام المؤسسة التي تضبط الحياة في الكنيسة المسيحية ألا وهى: **المجامع**. والملاحظات الآتية عن طبيعة المجامع تُظهر لنا بعض النقاط الهامة عن السلطة والسلطان الروحي في الكنيسة.

١. المجمع يُعبِّر عن مشيئة الله:

المجامع كانت تجمعات الأساقفة المدعوين ليواجهوا مشاكل معينة في حياة الكنيسة ورسامة أساقفة جدد في الكراسي الشاغرة، ومناقشة بعض القضايا التعليمية الطقسية والمختصة بالنظام في الكنيسة، ولكنها لم تكن مؤسسات دائمة أو ذات سلطة مفروضة فوق الكنيسة.

والوظيفة الأساسية للمجامع في الكنيسة الأرثوذكسية تختلف عن مفاهيم "المجمعيين " في القرن الرابع عشر لدى الغرب، الذين فهموا المجمع كمجلس حاكم يخلف ويحل محل البابا الروماني. ففكرة المجمع الأصلية أنه يأخذ وظيفة **"الشهادة"** أي الاتفاق على قضية معينة يعبِّر فيها عن مشيئة الله، و تقبلها الكنيسة وتختبرها على ضوء الشهادات "السابقة" أي الأسفار المقدسة ، والتقليد والمجامع السابقة.

٢. المجمع يحكمه قانون الأغلبية ولكن بشرط:

المجامع كان يحكمها قانون الأغلبية في القضايا الكبرى، والأقلية كان لابد أن توافق على القرار. هذا من الناحية النظرية فقط.

٣. بشرط التزام الأغلبية جانب الحق الكنسي:

ولكن غياب الضمانات القانونية لتأمين "حقوق الأقلية" في القرارات المجمعية لم يكن يعنى أن الأغلبية معصومة عن الخطأ لأنها أغلبية، فالتاريخ يعرف بمجامع عديدة رفضتها الكنيسة فيما بعد واعتبرتها مزيفة وصدَّقت على وجهة نظر الأقلية فيها والتي سبق أن أُدينت، أو حتى على رأي شهود للحق منعزلين. وأمامنا مثل القديس أثناسيوس ومجمع صور الذى أدانه. فالقرار المجمعي يتطلب **"القبول"** من الكنيسة كلها ليكون معتبراً أنه التعبير عن الحق والتقليد الكنسي. هذا **"القبول"** لم يكن على هيئة استفتاء شعبي أو بطريقة الديموقراطية الشعبية ضد أصوات الإكليروس. لكن هذا **القبول** أو **عدم القبول** كان يتم بطريقة تلقائية تستعلن فيها **الحرية المسيحية** حيث لا يمكن لأي سلطة أن تسحق حرية الإنسان في اعتقاده أو عدم اعتقاده. **فأي** قرار مجمعي كان يحمل في طياته **"مخاطرة إيمان"**. ولم يكن مقبولاً أن تسحق هذه المخاطرة في الآخرين. فمجمع خلقيدونية المعتبر مسكونياً لدى معظم الكنائس في العالم لم يُقبَل من الأقلية وهى الكنائس الشرقية. وهكذا احتمل كُلٌّ من الجانبين الخلقيدونيين واللاخلقيدونيين مخاطرة الانقسام باسم الحق كما يراه كل جانب. وهكذا فإن «**قبول**» المجمع لا يجب أن يُفهم بالمعطيات القانونية، **بل هو يعنى أن السلطة العليا في الكنيسة هى في يد الروح القدس نفسه.**

٤. حتى التأييد الحكومي لقرارات مجمعية خاطئة لا يفيد:

ثم إن التحالف مع الدولة الرومانية كان يتضمن تعاوناً بين الدولة التي يحكمها القانون وبين الكنيسة التي بنيانها الداخلي لا يقوم على التشريع بل على **الأسرار**. وقد حاولت الدولة دائماً أن تجبر الكنيسة لأن تعبِّر عن نفسها بالمصطلحات القانونية التي تفهمها السلطة الرومانية السياسية. وتدريجياً، بدأت العوامل القانونية البحتة تتسرب، سواء إلى إجراءات أو إلى قرارات المجامع. إلا أنه في معظم أمور الإيمان الأساسية لم

ينجح الأباطرة في إجبار الكنيسة الأولى على التعبير عن نفسها بالدقة والانتظام القانونيين اللذين كانا يمارسان في مجلس الشيوخ الروماني.

على أنه في نظر الدولة كان منتظراً أن تحقق المجامع المسكونية بدقة هذه الوظيفة أي أن تزود الإمبراطور بصيغة واضحة للإيمان تأخذ قوة قانونية وملزمة بموجب تصديق إمبراطوري. ولكن في واقع الأمر فإن وعى الكنيسة لم يستوعب تماماً هذا الإجراء. فبعض المجامع رُفضت بالرغم من تصديق الإمبراطور. وكانت عمليات رفض قرارات بعض المجامع بسبب عدم اتساقها مع الحق الكنسي المعلن في التقليد تعنى **أن الروح القدس يظل هو السلطة العليا المعترف بها في تاريخ الكنيسة.**

٥. عمل الروح القدس يظهر في قبول الكنيسة لقرارات المجمع:

ولكن عمل الروح القدس في تثبيت قرارات المجامع كان يظهر جلياً في **قبول** المجامع التي اعترف بها أنها "**مسكونية**". ولكن أي مجمع مسكوني لم يكن يدَّعي بأنه يعلن "**عقيدة جديدة**" بل على العكس فإن كل مجمع كان يؤكد أن قراراته لا تختلف عن تلك السابقة عليه (راجع مثلا قانون ٧ من مجمع أفسس سنة ٤٣١م).

كل هذا يشير إلى أن **السلطة في الكنيسة لا هى تكبت الحرية ولا هي تلغيها بل هى تلجأ إليها**، إذ تؤكد دائماً على إقامة الله للعهد الجديد مع الإنسان وبإعلان أن الله حقاً حاضر دوماً في الكنيسة، أي حضور الحق الإلهي من خلال المشاركة الحقة من جانب المؤمنين في استجلاء وإعلاء وإعلان الحق الإلهي.

لا طاعة عمياء في الكنيسة الأرثوذكسية:

لهذا فإن مبدأ السلطة في الكنيسة المسيحية - كنيسة العهد الجديد - يستبعد تماما ما يسمى بالطاعة العمياء، ويفترض **وجود المشاركة المسئولة من الكل في حياة جسد المسيح.**

وهذا يتحقق بسبب الطبيعة السرائرية لجسد المسيح، حيث تتنوع المواهب والخدمات، وأولاها موهبة الأسقفية على الأخص، فهي المسئولة عن تكميل الاستمرار والتلاحم التاريخي مع إنجيل المسيح (وهذا ما يسمى بالتقليد)؛ وكذلك تكميل وتحقيق الشركة بين

كل أعضاء الكنيسة مما يحتم المسئولية الجماعية عن هذا الاستمرار والتلاحم في كنيسة واحدة ذات إيمان واحد ومعمودية واحدة.

٣. البعد الإنساني في الحرية في الكنيسة

أن نكون قد «دُعينا للحرية» (غلا ٥:١٣) فهذا في نظر القديس بولس أعظم امتياز للمسيحيين. وهذه الدعوة تتضمن أن «ينقاد الإنسان بالروح» (غلا ٥:١٨). فالروح القدس والحرية لا يتعارضان، بل يفترض وجودهما معاً. وهذا الرأي مرتبط بالتعليم الآبائي القائل بالتلازم بين الروح القدس والحرية في نعمة "المشاركة" في الحياة الإلهية التي سبق وأوضحناها أنها لازمة ضرورية للمبدأ المسيحي عن السلطة.

والقديس إيرينئوس ينظر إلى الإنسان كجسد ونفس **والروح القدس**[٣] هذه النظرة التي قد تبدو غريبة على الأسماع – وكأنها تذكّر البعض بفلسفة الإغريق القديمة عن "وحدة الوجود" التي تنادى بوحدة الطبيعة والإله – ولكن التعليم المسيحي يُظهر مفهوماً قوياً عن الإنسان يخلو من الاعتقاد الجامد بالطبيعة الطاهرة للإنسان. فالإنسان خلق لكي يشارك في حياة الله، وهذا ما يجعل الإنسان يختلف عن الحيوانات. وهذا يظهر في قصة سفر التكوين عن خلقة الإنسان الأول آدم «على صورة الله». والتعليم الآبائي عن الثيئوسيس (أو التأليه أو التقديس) يتضمن أنه لا طبيعة الله ولا طبيعة الإنسان منغلقة على نفسها.

[ذلك لأن المخلوقات غير العاقلة حينما تخضع لسلطان وحدود الطبيعة يكون خضوعها لطبيعة مغلقة، أي خضوع تسيطر عليه قوة وقوانين الطبيعة؛ أما الخليقة العاقلة وهي الإنسان فهي تخضع لحدود وقوانين الطبيعة بحرية لكي تسمو وترفع الطبيعة البشرية إلى مستوى الرؤيا التي يراها الشخص]

فإن كان الله يُرى دائماً أنه في تسامٍ كامل عن الخليقة وأن طبيعته مختلفة تماماً ولا تمت إلى طبيعة المخلوقات بصلة، إلا أنه استعلن موصلاً للإنسان – وعن حرية كاملة –

---

(٣) Adv. haer. 5: 9: 1

حياته الإلهية. والإنسان بدوره خُلق ليكون مُستقبلاً لهذه الحياة الإلهية والتي بدونها لا يكون الإنسان إنساناً بالحقيقة. فإذا سعى الإنسانَ لأن يكون كائناً "مستقلاً" وينكفئ على الحياة الدنيوية، فإنه يفقد – ليس فقط "النعمة" بل ووجوده الحقيقي كإنسان. والخطيئة الأصلية لم تتمخض فقط عن عقاب خارجي للإنسان، أي تجرده من النعمة الفائقة، بل أسفرت عن فساد الطبيعة البشرية، إذ فقد الإنسان مصيره وغاية وجوده، [وبذلك خضع لقوانين الطبيعة الإنسانية وصار مُستعبَداً لها وهذا هو أحد جوانب الفساد]

هذه المفاهيم في غاية الأهمية وأساسية لفهم موضوع **الحرية والسلطة في الكنيسة.** فالحرية، عند القديس غريغوريوس النيصي (كما يتضح من كتابه ***"خلقة الإنسان"*** ١٦)، هي العنصر الأساسي لخلقة الإنسان على مثال الله في الحرية، أي أن لا يكون الإنسان مُسيَّراً، وهذا هو أهم أساس في الصفات الإلهية والتي يقتنيها الإنسان "بالمشاركة". لكن تمرده على الله جرَّده من هذه الحرية وجعله عبداً للجسد، وعبداً للجبرية أي للقضاء والقدر [أي ما آلت إليه طبيعة الإنسان بالخطية فصارت مستَعبَدة للضرورات لا تملك التفوُّق عليها]. وهكذا أصبح الإنسان جزءاً من هذا العالم خاضعاً للنواميس الكونية وعلى الأخص للفساد والفناء والموت والخطية.

ثم أتي التجسد. وكانت غاية التجسد استرجاع الإنسان في كرامته الأولى، أي أن يجعله حراً مرة أخرى. والفرق الحقيقي بين **"الإنسان في المسيح"** وبين **"آدم العتيق"** هو أن الأول " **حرٌّ** ". وهذه الحرية تأتى إليه لا من عملية تحرير قانونية تتركه مرة أخرى في وجود مستقل عن الله فيُستعبَد مرة أُخرى للطبيعة البشرية، بل بمشاركة في كرامة خالقه، بحياة جديدة لا تقف فيها الحرية كحرية في حد ذاتها، بل كنتيجة للمعرفة الكاملة، والرؤيا الكاملة، والاختبار الكامل لمحبة الله وللحق الإلهي وللجمال الإلهي «وتعرفون الحق والحق يحرركم» (يو ٨:٣٢).

فمبدأ السلطة في الكنيسة يمكن فهمه في إطار تلك التضادة التي يضعها القديس بولس بين "الإنسان الأول" وبين "آدم الأخير" الذي هو رب المجد (١كو ١٥:٤٥). فالسلطة مثلها مثل الناموس مطلوبة فقط طالما يعيش الإنسان في "اللحم والدم".

وتتصاعد المشكلة جداً بسؤال حول الكنيسة: هل الكنيسة هى مجتمع الإنسان الساقط من النعمة الذى **يستبدل الله بالنظام والطاعة لسلطة بشرية**، وكأن هذه السلطة ستمنعه من الانحدار إلى غوايات العالم؛ أم أن **الكنيسة هى المكان الذى يختبر فيه، على الأقل جزئياً، «حرية مجد أولاد الله» (رو ٨:٢١) بتأمله واستيعابه شخصياً وحقاً في الحق الإلهي وبمشاركته في هذا الحق، وبهذا يكون شاهداً للملكوت أمام العالم وهو في العالم؟**

إننا نأخذ الاختيار الثاني حيث تكون الكنيسة حقاً "**ليست سلطة**" كما أكد على ذلك خومياكوف في بدء المقال، [بل "**فردوساً**" و "**سماءً**" أرضية.]

٤. السلطة والتاريخ

دور الكنيسة، إذن، ليس أن تفرض على ذهن الإنسان ما تراه أنه هو الحق، **بل أن تجعله يحيا وينمو في الروح** حتى هو نفسه يمكنه أن يرى بنفسه ويختبر الحق. ومن هنا أتت قوانين الإيمان التي أصدرتها المجامع المقدسة بأقل قدر من التحديدات الإيجابية وبأكثر قدر من التحديدات السلبية Negative [مثل "مولود **غير** مخلوق" "**غير** الزمني" و "**غير** المفحوص" و "**غير** المدرك" "**غير** المحدود" الخ.] وكان قصد هذه التحديدات هو إدانة الهرطقة والاعتقادات الخاطئة. وإن أية محاولة لتحديد الحق الإلهي بالمصطلحات الإيجابية المحددة لن تنجح، لأن هذا يعنى: إما أن العقل استطاع أن يستوعب ويحيط بالله غير المحدود وهذا ما لم يحدث؛ وإما أن الإنسان يوضع في موقف المسيَّر حيث يطالَب بتصور الله بتحديدات لفظية محددة ويكون في هذه الحالة أسيراً لهذه التحديدات عن الله غير المحدود. وهذا ما أتى التجسد ليحرر الإنسان من ضيق المفهومات التي سادت في العهد القديم عن الله. ولكن كرازة الرسل التي سلموها للكنيسة منذ القدم أصبح لابد من **التأمل فيها وشرحها في كل جيل**، ولكن دون استحداث عقائد جديدة أو تعاليم جديدة.

وتاريخ الكنيسة يُظهر لنا أن الكنيسة كانت تستخدم **بإفراز وتمييز** شديدين المصطلحات اللغوية السائدة في العصر لتشرح معنى الإيمان الرسولي والكرازة الرسولية الأولى مثل كلمة "**هوموؤوسيوس**" (أي مساوٍ للآب في الجوهر – أو من نفس جوهر

الآب) التي وإن لم ترد في الإنجيل ولذلك لم يتقبلها كل اللاهوتيين أولاً - إلا أنها في النهاية سادت وصارت هى المنقذ الأخير للكنيسة من هرطقة آريوس.

إذن، فالسلطة في الكنيسة أمر نسبى بمعنى أن الكنيسة تنظر إلى التعبيرات المستعملة في العالم كمثل نظرتها إلى "العتيق" بالنسبة إلى "الجديد" وإلى "آدم" "بالنسبة" إلى "المسيح" وإلى "الجسد" بالنسبة إلى "الروح القدس". فالكنيسة التاريخية الكنيسة السائرة تجد أنه لا مفر من استخدام مصطلحات العالم الذى لم يتجدد بعد. ولكن ما يجعل الكنيسة أن تكون حقاً هى كنيسة الله أنها ليست مجبرة على استخدام هذه المصطلحات **إلا إذا كان الفداء يعمل في داخلها**، فإرساليتها هي أن تجعل الناس **يروا ما وراء هذه المصطلحات الخاصة بالعالم الطبيعي**، حتى وهى تستخدمها، وأن يحيوا في الله، في الحرية، وعلى الأقل في الحق المطلق ولو جزئياً.

إن هدف الكنيسة هو تجلّي الإنسان بدخوله إلى الملكوت وليس بقاءه سجين الحدود العقلانية، هدفها تحرير الإنسان من عبوديته للكون، هذا التحرير الذى شهد له القبر الفارغ، أي قيامة المسيح من بين الأموات.

خطأ النظرة الغربية للسلطة في الكنيسة

إن نظرة الكنيسة الغربية في القرون الوسطى إلى السلطة في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية أنها سلطة معصومة من الخطأ وأن هذه السلطة هى التي ستحمى وتضمن استمرارية الكنيسة وتحفظ قوتها، هذه النظرة مأخوذة من مفهوم أغسطينوس عن الإنسان أنه بالطبيعة خاطئ ومعرض للسقوط وبناء عليه فإنه يرى أن تأسيس الله لسلطة غاشمة معصومة عن الخطأ هو عمل من أعمال محبة الله للإنسان ليحفظه من نفسه ومن أخطائه. [وبهذه النظرة تكون عصمة الكهنوت من الخطأ سعياً بشرياً مستمداً من الخوف من الخطأ وليس صفة مطلقة والتي لا يحوزها إلا الله والمسيح «من منكم يبكّتني على خطية» (يوحنا ٨:٤٦) والروح القدس «ومتى جاء ذاك (الروح القدس) يبكت العالم على خطية» (يوحنا ١٦:٨)].

ثم أتى رد الفعل تجاه هذه النظرة من حركات الإصلاح البروتستانتية التي بدأت بما يسمى حركة الاعتماد على الكتاب المقدس فقط دون التقليد المقدس، ثم أتت الحركة

الخمسينية الـتي تُغلّـب الحيـاة الفردية على الحيـاة الكنسـية، ثـم أتـت الحركـة العلمانيـة Secularism التي أنكرت العامل الإلهي في الحيـاة عموماً. وهكـذا اسـتبدل البروتسـتانت البابا بالكتاب المقدس وأصبحت السلطة غائبة تماماً عن الكنيسة.

مفهوم ومضمون السلطة في الكنيسة الأرثوذكسية مستمد من حضور المسيح وسط الكنيسة بالروح القدس:

أما الأرثوذكسية فهي ترى أنه **ليست السلطة هى التي تجعل الكنيسة هـى الكنيسـة لكن الروح القدس وحده العامل في الكنيسة كجسد المسـيح، محققـاً حضور المسـيح سرائرياً وسط النـاس وفي النـاس.** أمـا السـلطة متمثلـة في الأسـاقفة والمجـامع والكتـاب المقدس والتقليد فما هى **إلا تعبيرات عن هذا الحضور الإلهي للمسيح.** لذلـك فالسـلطة ليست بديلاً عن غاية الحياة في المسيح التي هي اختبار الحياة في ملكـوت الله الـذى أتـى بقوة والذي سيأتي في نهاية الدهور.

هذا الفكر ليس خيالياً ولا تأملياً، بل هو حقيقة، لأن مكان الاختبـار الشـخصي هـو **شركة القديسين التي تكوّن الكنيسة** والتي تتضمن **الانفتاح بعضنا على البعض والمحبـة وإنكار الذات**، وهذا هو الإطار الذي يُبنى عليه التنظيم الكنسي السرائري للكهنوت.

إن السلطان الروحي لا يكون **بفرض معرفة عقلية** على الإنسان المسيحي **فأمام** السؤال: "**كيف أعرف ؟**" يأتي الرد المسيحى الصحيح:

"تعال وانظر"

الفصل الثاني

السلطة العليا في الكنيسة [1]

١. الكنيسة هي ملكوت الله ، حيث تتحقق مشيئة الله

بالرغم من أن الله له السلطة المطلقة على كل العالم المخلوق، إلا أنه خلق كل الكائنات الروحانية أحراراً، وبهذا منع أية إمكانية لتسيير الإرادة البشرية رغماً عنها. إلا أن الطاعة لمشيئة الله هي شرط حتمي لكمالنا وسعادتنا. والله في صلاحه وقدرته على كل شئ وحكمته هو الكائن الوحيد القادر على أن يوصلنا ويقودنا إلى الكمال. وإنه لأمر طبيعي أن نثق في القيادة الإلهية لنفوسنا وأن نثق في أن الله يهتم بخيرنا أكثر مما نهتم نحن أنفسنا بأنفسنا. إن مخافة الله فضيلة. وفي معناها السامي هي الخوف من أن نغضب مَنْ نحبه ونمجده فوق الكل. أما في معناها الشعبي الأدنى فهي الخوف من العقاب، ولا اعتراض على هذا المعنى من حيث أن الله سيكون هو ديَّاننا الأعظم.

لقد أعلن الله مشيئته للبشر. ولابد أن نقبل هذا الإعلان حتى ولو لم نفهمه. ولا يمكن أن يوجد برهان على صدق طاعتنا لله أفضل من تقديم وبذل أنفسنا من أجله.

حقا نحن أحرار أن نرفض مشيئة الله – تعالى، ولكن يا للأسف فكثيراً ما نستخدم هذه الحرية استخداماً خاطئاً، ولكن الذين يُخرجون أنفسهم خارج دائرة سلطان الله يصبحون أعداءً له، ولا يمكن أن يتمتعوا ببركاته الإلهية.

يعلمنا الوحي الإلهي أن الإنسان الأول آدم عصي الله. وكنتيجة لعصيانه عانى الجنس

---

(١) للعالم اللاهوتي الأرثوذكسي سيرج فيرهوفسكي أستاذ علم اللاهوت العقيدي، دكتوراه في اللاهوت، بكلية فلاديمير اللاهوتية الأرثوذكسية بنيويورك: Serge Verhovsky , *The Highest Aythority in the Church,* St. Vladimir's Seminary Quarterly, Vol. 4, 2-3, 1960, pp. 76-84 والترجمة بتصرف طفيف وما هو خارج عن النص داخل قوسين [ ].

البشرى كله من الخطية والجهل والألم والموت. لكن الجنس البشرى بالرغم من فساده إلا أنه استمر في الوجود في هذا العالم ولم تتخلَّ العناية الإلهية عنه. إلا أن العالم لم يكن ممكناً خلاصه لأن وجوده كان غير منفصل عن الشر.

ولقد كان ضرورياً تجديد العالم وإعادة خلقته. وكان بكر الخليقة الجديدة هو الرب يسوع المسيح، ابن الله المتجسد، وابن الإنسان. ولقد أصبح هو الأساس للكنيسة التي هي"ملكوت الله آتياً بقوة". وفي هذا الملكوت تتحقق دائماً مشيئة الله.

الأخطاء والخطايا في الكنيسة لا تمتُّ إلى طبيعة الكنيسة

ولكننا تعودنا أن نرى الخطايا بل والجرائم أحياناً تُرتكب في مجال الكنيسة. وهذا خطأ فادح وخطير. ولكن ما هو مضاد لمشيئة الله، لا يمتُّ إلى طبيعة الكنيسة بأي صلة. والمخطئون يمكن أن يظلوا أعضاء الكنيسة إن لم يتمسكوا بأخطائهم وخطاياهم، لكن غير التائبين من هؤلاء (وهم الخطاة والهراطقة) يُعزلون من الكنيسة – إما جهاراً بواسطة الحرم الكنسي، وإما سراً من الله نفسه إن لم تحرمهم الكنيسة.

إن خطايانا وأخطاءنا لا تمتُّ بصلة إلى طبيعة الكنيسة أبداً، التي هي بالضرورة مقدسة ومعصومة. وقد يبدو هذا لنا تضاداً لأننا دائماً نرى خطايا وأخطاءً في المجتمع المسيحي. لكن هذا المجتمع ليس بالضرورة متوافقاً تماماً مع طبيعة الكنيسة. ففي ضوء مَثل المسيح المذكور في (متى ١٣: ٢٤-٣٠) وهو مثل الزوان الذي ظهر بين الحنطة في الحقل، فإن الكنيسة على الأرض لا يمكن أن تُقسَّم بخط رأسي أي بين أبرار وأشرار، بل هي تُقسَّم بخط أفقي يقسم كل عضو فيها على الأرض إمَّا إلى "خليقة جديدة تحيا في المسيح" أو "خليقة عتيقة لم تتجدد بعد بنعمة الله".

إن صانعي الشر والهراطقة بين المسيحيين يغامرون بخلاصهم. وخطيتهم تكمن في أنهم أساءوا استعمال عطية الخلاص التي نالوها من الكنيسة. قد يحاولون إفساد الكنيسة لكنهم لن يستطيعوا، لأن الله القادر على كل شئ يملك عليها ويحرسها. وكلما نخطئ أو نخطأ أكثر، كلما يزداد انفصالنا عن الكنيسة.

في الكنيسة يتم اتحاد الله بالبشر:

لقد خُلقت الكنيسة بيد الله. إنها اتحاد البشر مع الله في المسيح، ونحن نتحد بالمسيح بواسطة الروح القدس، وفي المسيح نتحد بالله نفسه. وهذه الوحدة بين الله والإنسان هي جوهر الكنيسة. ففي الكنيسة، وفي الكنيسة فقط، نسمو على طبيعتنا ونشترك في وجود الكائن المطلق. وبحسب تقليد الآباء، فإن هذا الاشتراك يسمَّى بـ "الثيئوسيس Theosis" أو التأليه أو الشركة في الطبيعة الإلهية، وهو غاية الحياة المسيحية. والمقصود بهذه التعبيرات اشتراكنا في الحياة الأبدية أي نوالنا نعمة الاشتراك في حياة الآب التي أُعلنت في الرب يسوع المسيح.

إن وجودنا- بحسب طبيعته - غير ثابت، إذا كنا نستمده من خارجنا، وهو دائماً في خطر التوقف. فنحن محدودون وقابلون للتغيُّر من كل الأوجه. ولكننا في الله نجد كياننا غير المتغير، أو ملء الوجود، أو غاية الوجود. ونحن - بالطبيعة - نعيش في صراع وانقسام وتشويش مستمر، وأما في الله، فنحن نشترك في الوحدة والتناغم المطلقين.

إن الله ليس فقط مثلاً أعلى يرتسم في أذهاننا، إنه الحق الكامل. يعمل في العالم وفي حياتنا ويستعلن نفسه لنا. هذا الحق الإلهي هو شخصي تماماً. الله هو الثالوث الأقدس. وكل أقنوم إلهي هو حرٌّ وواعٍ. والله في ملء حريته يحقق بطريقة أبدية الخير الكامل. وفي صميم وعيه هو الحكمة الكاملة. إن حياة الثالوث الأقدس تعلن سلطانها الكلي القدرة وقداستها المطلقة. وجوهر حياة الثالوث هو المحبة والمعرفة، اللتان هما مصدر خلقة العالم.

حقيقة وحتمية طاعتنا لله وللمسيح، شرط وجودنا ككنيسة:

والتأليه - أي شركتنا في الطبيعة الإلهية - هو اتحادنا - بالنعمة - وعلى قدر محدوديتنا - بالثالوث القدوس. وبالحرية الإلهية، نُعتَق من شر هذا العالم وقيوده، ونعيش مشاركين الكمالات الإلهية. فتصير حكمة الله هي حكمتنا، ومحبة الله تلهم وتشعل كل أنشطتنا الروحية والأرضية. المسيح هو "طريقنا". ونحن نعيش فيه وهو يسكن فينا. حياته فينا هي نعمة الروح القدس. ومن خلال الروح القدس وفي المسيح يسوع، نصير أبناء الله الآب، حيث تصير مشيئته هي مشيئتنا. وهكذا نبلغ ما يسمَّى "التأليه" بكل ما

تتضمنه هذه الكلمة من معانٍ ومفاعيل وحدود شرحها آباء الكنيسة.

وأن نقبل الحياة الإلهية لتكون فينا، وأن نُخضع نفوسنا بالتمام لهذه الحياة الإلهية، فهذا يمثل أسمى شكل **للطاعة المسيحية لله**، وإن لم نقتني في أنفسنا روح الله، فحينئذ إما نكون مثل عبيدٍ له، إذ نطيعه في سلوكنا الخارجي فقط، وإما نتمرد عليه وعلى وصاياه بخطايانا. طاعة العبيد لا تكفي، وحتى في العهد القديم لم تكن تكفي، فما بالك في العهد الجديد، الذي فيه صرنا أبناءً وليس عبيداً. فإن لم تكن مشيئة الله هي مشيئتنا وحقه الإلهي هو حقنا، حينئذ لا نكون أعضاءً كاملين في الكنيسة جسده المقدس.

نحن نعلم أن الله هو ملكنا، والمسيح هو رأس الكنيسة، وأننا لابد أن نعبده ونمجده. إلا أن الغالبية العظمى من المسيحيين غالباً ما تتغافل عن هذه الحقيقة: **أن الطاعة الحقيقية لملكنا وإلهنا السماوي هي فقط "الحياة"**، الحياة المسيحية الحقيقية الوحيدة.

كثيراً ما نهوِّن من **الطاعة المسيحية** بالتزامنا بأبسط القواعد الرئيسية السلوكية والروحية التي تأمرنا بها الكنيسة. ونكون حينئذ في موقف المتصرف بحسب هوانا ونغطي على عدم طاعتنا لله بتقوى مزيفة. ونظن أن حياتنا في الكنيسة هي مظهر المسيحية فقط. فإن الكنيسة هي ملكوت الله، ولا توجد كنيسة حيث يتغافل الناس فيها عن مشيئة الله. إن حضور النعمة مع الإيمان المسيحي الحقيقي والمحبة الطاهرة، هي أدق المقاييس لوجود الكنيسة حقاً كما يقول القديس إيرينئوس: [**حيث الروح القدس فهناك الكنيسة، وحيث تكون الكنيسة فهناك الروح القدس! وهذا هو الحق**].

وحاملو السلطان في الكنيسة يجب أن يكونوا في حالة طاعة لله:

ومنذ العصور المسيحية الأولى والمسيحيون مهتمون بمشكلة **السلطة في الكنيسة** وبحاملي هذه السلطة: الرسل والأساقفة والمجامع الخ. والمشكلة الحقيقية ما إذا كان المجتمع المسيحي والرتب الكهنوتية هم في حالة طاعة لله وتحيا في المسيح. إن التنظيم الكنسي يمكن أن يكون كاملاً وموفياً بالغرض الذي وُضع من أجله، وناجحاً في البلوغ إلى هدفه وهو «أن يأتي بكل إنسان كاملاً في المسيح» (كولوسي ١:٢٨)، ولكن إن كانت حياته ونشاطه غير مستوحاة من روح الله فلا يمكن أن يسمَّى حتى مسيحياً.

٢. كيف يسوس الله الكنيسة؟

يسوس الله الكنيسة:

أولاً: بقوة قدرته وضبطه كل شيء، وعلى الأخص بعمل نعمته التي بدونها لا يمكن لشيء أن يوجد في الكنيسة.

ثانياً: من خلال الحق الذي اسُتعلن للكنيسة بالرب يسوع المسيح والأنبياء والرسل وآباء الكنيسة.

ثالثا: من خلال كل مؤسسات الكنيسة.

أولاً: من خلال العناية الإلهية:

إن أعضاء الكنيسة – من الإكليروس أو من الشعب اللاؤس، حينما يتبعون مشيئتهم الخاصة وأفكارهم الذاتية يخونون إيمانهم والكنيسة. أما الذين هم أمناء لتعليم وقوانين الكنيسة فإنهم يؤسسون أفعالهم وأنشطتهم على التعاليم الإلهية. إلا أنهم قد يصادفون صعوبات حينما يفسرون هذا التعليم أو يطبقون هذه القوانين على حالات خاصة. ولكن الفهم والتفسير الصحيحين للحق الإلهي والتطبيق الحكيم للقوانين والنواميس الأخلاقية هما موهبة معطاة فقط لمن استناروا وانقادوا من الروح القدس. وبدون استمرار عمل سلطان الله لا يمكن للكنيسة أن يكون لها الحكمة العالية ولا القدرة على التصرف بالروح القدس.

والعناية الإلهية تعمل في الكنيسة بطريقتين:

طريقة يمكن أن نسميها **الخارجية**،

والأخرى ونسميها **الباطنية**، أو السرية **Mystical**.

١) *العناية الخارجية:*

فالله لا يتحكم في إرادتنا، لكنه يمكن أن يشجع أو يوقف أعمال البشر. فكما أن نجاح وإنجازات الأفراد أو المجتمع تعتمد على الله، هكذا تعمل حياة الكنيسة التي يمكن

أن يسمح الله أن تزدهر أو أن تنهدم، بالرغم من أن الله لا يعمل بطريقة تعسفية، بل بحسب سلوكنا نحن. فهو يكافئ، ويؤدب، أو يجتاز بنا في تجارب ضرورية لكمالنا. وهو يعتني عناية خاصة بكنيسته وبشعبه. يكفي أن نتذكر العظة على الجبل وكلمات بولس الرسول أن «كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله» (رو ٨:٢٨). أو «إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كبنين» (عب ١٢:٧)، والله ينقّينا من أجل منفعتنا «لكي نشترك في قداسته» (عب ١٢:١٠). والمسيحيون الذين لهم إيمان حقيقي ورغبة صادقة لخدمة وعبادة الله لن يتخلى عنهم الله أبداً.

وحين نعلم من التاريخ أن كنائس بأكملها قد بادت نهائياً (مثل كنائس شمال أفريقيا وبيزنطة) فيجب أن نعترف بأن الله قد سمح بذلك ربما **لأنه انتظر ثماراً من هذه الكنائس ولم يجد.**

٢) *عمل الله الباطني السري* Mystical:

أما عمل الله الباطني في رعايتنا، فهو عمل النعمة، فكل ما ينتمي حقاً للكنيسة ولطبيعتها ولحياتها فهو ثمرة المشاركة بين النعمة الإلهية وبين الإرادة الصالحة للبشر. الله يقدس كل ما هو طاهر، وينير معلمي الكنيسة الحقيقيين الأمناء، ويقدس قادة الكنيسة بنعمته. كثيراً ما نعتقد أن المعمودية وبعض التعليم الديني المسيحي كافيان لجعل الإنسان مسيحياً طيباً، أو أن الرسامة الكهنوتية إذا نالها مَنْ عنده بعض أساسيات التعليم المسيحي وبعض مواهب القيادة تجعل من الشخص كاهناً صالحاً. لكن نعمة المعمودية أو الكهنوت تصير فعالة فقط في حالة ما إذا كانت تعمل فينا باستمرار وتنمو فينا بدون توقف. وحتى في حالة وجود إنسان ضعيف فهو قد يصير أسقفاً ممتازاً إن كان يعيش في النعمة حقاً، أما إذا أهمل الإكليروس الاعتماد على النعمة وظنوا أن عملهم محض عمل بشرى فاعتمدوا على ذواتهم وقوتهم ومهارتهم، فهم يؤدون بالكنيسة إلى الفساد والهرطقة لا محالة.

ويسوس الله الكنيسة أيضاً:

ثانياً: من خلال الحق الإلهي:

الكنيسة تنال معرفة الحق من الروح القدس. ونحن نؤمن أنه ليس فقط الأنبياء والرسل، بل وأيضاً المجامع والآباء كانوا ملهمين من الله. وكل ما هو حقاً من التقليد المقدس فهو نتيجة للاستنارة الإلهية التي نالتها الكنيسة. والله هو الذي يمنح الحق، وهو أيضا الذي يعطى القوة لفهم هذا الحق وتفسيره. هذه الاستنارة الإلهية هي العلامة المستمرة على القيادة الإلهية. وكل خدمة في الكنيسة هي قائمة على نعمة خاصة، وهذه النعمة هي التي تتحكم وتلهم كل نشاط الخادم.

إن عمل النعمة الإلهية هو دائماً حر. الله يعطي نعمته في الوقت وبالكيفية التي يريدها. لكنه يعمل وهو يرى مسبقاً ردَّ فعلنا واستجابتنا لفعله. ونحن نتقبل النعمة على قدر مشيئتنا الصالحة واستعدادنا لطاعة الله. فإن شئنا رفضنا هذه النعمة، وإن شئنا قبلناها.

العناية الإلهية ليست فقط مصدر الإرشاد والإلهام بل هي سلطان يديننا ويحكمنا. وهذه الدينونة ليست دائماً واضحة في وجودنا الأرضي، ولكننا نعلم أن كل المسيحيين والكنائس في العالم حالاً أو مستقبلاً سيقفون أمام كرسي دينونة الله. وكنتيجة لذلك، فعصيان الله يؤدي إلى كارثة، ليس فقط هنا على الأرض، بل بعد نهاية العالم. الله يمكنه أن يتسامح مع إساءة استخدام مشيئته، لكنه في النهاية ينقي كنيسته من كل شر ومن كل الأشرار، ولكنه يأتي بالمخلصين إلى الطاعة. فأن يخلص الإنسان، فهذا يعني أن يقبل بحرية مشيئة الله في كل أشكالها وتعبيراتها.

٣. سلطان الله الآب والابن والروح القدس في الكنيسة

الله هو الثالوث الأقدس، فإن كان الإنسان مطيعاً لله فهذا يعني أنه مطيع للآب والابن والروح القدس. ووحدة المشيئة الإلهية لا تنفي السمة الثالوثية لله، ولذلك فمن حقنا أن نسأل:

ما هو عمل سلطان كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة في الكنيسة؟

١. سلطان الآب في الكنيسة:

بحسب تعليم الإنجيل، فإن مصدر السلطان الإلهي، هو **الآب**. وقد قرر الإنجيل بوضوح أن الابن والروح القدس يعملان مشيئة الآب، وأن موضوع عمل كل من الأقنومين هو أن يأتي بالعالم إلى طاعة مطلقة للآب. لذلك يفضل آباء الكنيسة أن يطلقوا على الآب صفة "الملك". والقديس بولس يقول إن رأس المسيح هو الله الآب (١ كو ١١:٣)، وأن المسيح سيُخضع نفسه للآب بعد نهاية العالم (١ كو ١٥:٢٧). وينسب الإنجيل والتقليد إلى الآب صفة "الخالق". فإن كان الآب هو المصدر الأول الذي منه الابن يولد والروح القدس ينبثق، والذي منه وله كل الأشياء، **فإن مشيئته بلا شك هي التي تحكم وجود كل الكائنات**. ووحدة المشيئة الإلهية يجب شرحها بحقيقة أن ابن الله والروح القدس إذ لهما نفس الجوهر الإلهي الذي للآب ومساويان للآب في الجوهر، فهما بالتالي يقبلان مشيئة الآب على أنها مشيئتهما.

٢. *سلطان الابن في الكنيسة:*

ابن الله يتمم مشيئة الآب بقوة الروح القدس. وكما أنه أقنوم الكلمة وحكمة الآب فهو الحق والحكمة للعالم. وباعتباره المسيَّا المرسَل إلى العالم من الآب فهو المخلّص. وابن الله ليس هو فقط مُرسَلاً إلى العالم، بل إنه أولاً صار إنساناً، لذلك فسلطان المسيح ابن الله ذو صفة إلهية - بشرية.

إنه ابن الملك المالك مع أبيه على العالم، لكن ملوكيته من كل أوجهها هي ليست فقط إلهية بل إلهية - بشرية. ويسوع المسيح، باعتباره إلهاً- أي من نفس الجوهر الإلهي للآب، هو الملك الأزلي الأبدي، وقد أصبح رأس الكنيسة بتجسده. وإبان حياته على الأرض كان يخدم ويكرز ثم بذل نفسه على الصليب ونزل إلى الجحيم وقام وصعد إلى السموات.

إنه هو المؤسّس والأساس للكنيسة، وهو مساوٍ لنا في الجوهر البشرى، تماماً كما أنه مساوٍ للآب في الجوهر الإلهي. فطبيعة الكنيسة هي من طبيعة المسيح لأنها هي جسده، ويجب أن نفهم دائماً أن الطبيعة الحقيقية والحياة الحقيقية للكنيسة محكومة أساساً **بحياة وطبيعة المسيح نفسه**. فلكي نكون مطيعين للمسيح، باعتباره رأس الكنيسة، فلابد أن **نفعل - وبصورة محددة - ما هو متوافق مع روح وتعليم المسيح ومشيئته.**

الكنيسة يجب أن تعيش حياة المسيح حتى لو تألمت

وإن كان المسيح قد «اقتنى كنيسة الله بدمه» (أع ٢٠:٢٨)، فالكنيسة بإكليروسها وشعبها يجب أن تعيش في المسيح حتى ولو كان عليهم أن يعانوا ويتألموا من أجله. ويعلمنا الإنجيل المقدس أن يسوع المسيح في بشريته "تعب" ليصير رأساً للكنيسة. يقول أحد آباء الكنيسة إن الكنيسة قد "بُنيت على الصليب".

إن نزول المسيح إلى الجحيم وعتقه أبرار العهد القديم لهو أبلغ برهان على نصرة المسيح على الشيطان والشر. ونفس هذا السلطان أعطاه المسيح للكنيسة، لكننا نقدر فقط أن نمارسه حينما نقتني نفس روح القداسة ونفس المحبة للخطاة ونفس القوة الروحية التي كانت للمسيح.

قيامة المسيح أعطت الكنيسة سلطان إقامة نفوس البشر

القيامة هي انتصار الرب يسوع المسيح على الموت والفساد. الكنيسة أيضاً عندها السلطان لتقيم نفوس البشر في المسيح، وهذا السلطان هو بمثابة عربون للقيامة العامة في الحياة الأبدية.

وصعود المسيح أسس ملكوت السموات وفتح أبوابه للبشر

والمسيح بصعوده إلى السموات حاملاً بشريتنا، أسس ملكوت السموات وفتح أبوابه للبشر. لذلك فالكنيسة هي حقيقة سماوية وأرضية معاً. والذين سبقونا إلى السماء لا ينفصلون عن الكنيسة التي على الأرض، والذين يعيشون على الأرض يجب أن يعيشوا كما لو كانوا يشاركون فعلاً في ملكوت السماء.

الكنيسة تعمل عمل المسيح:

لقد قلنا إن ابن الله يملك مع الآب على العالم. والقديس بولس يُعلِّم أن المسيح سيُخضع كل البشرية لله. هكذا الكنيسة هي جامعة بطبيعتها ويجب أن تعمل عمل المسيح نفسه من أجل أن تُحضر كل إنسان كاملاً في المسيح ليخضع الكل للآب.

و «**الآب أعطى كل الدينونة للابن**» (يو ٥:٢٢)، والرب نفسه قال إن كلمته (أي الحق) هي التي تدين. فنحن ندان الآن حالا بناموس الله في المسيح. وطرق الشر هي

بالضرورة طرق الفساد. والعناية الإلهية لا يمكن أن تتركنا بلا تأديب. وبعد موتنا فسوف يديننا المسيح مباشرة وشخصياً. أما في يوم الدينونة الأخير فهو سوف يدين كل العالم، والكنيسة وكل خدامها.

الآب أعطى لابنه «كل سلطان ما في السموات وما على الأرض» (متى ٢٨:١٨). لذلك فمن المستحيل مضادة ملكوت الابن مع ملكوت الآب. الآب أعطى سلطانه وملكوته للابن.

٣. *سلطان الروح القدس في الكنيسة:*

الروح القدس هو ملك العالم باعتباره الله معطي الحياة. وهو الذي يعطى الوجود والحياة لكل الخليقة متمماً ومكمِّلاً مشيئة الآب والتعليم الأبدي للابن. وبحسب آباء الكنيسة، هو روح الملوكية أو قوة ملكوت الله. من خلاله يملك الثالوث على الكون. سلطانه على الكنيسة مطلق، من حيث أن الكنيسة لا يمكن أن تعيش بدون النعمة، والنعمة هي أصلا الروح القدس. وكل الحياة السرائرية للكنيسة هي عمل روح الله. إلا أن الروح القدس حينما يملك على الكنيسة لا يملك لنفسه: بل هو **يبْني الكنيسة جسد المسيح، ومن خلال سلطان نعمته يصير المسيحيون أبناء الآب.**

لذلك:

٤. الله هو السلطة الوحيدة في الكنيسة

سلطان الله في الكنيسة هو حقاً مطلق وحيوي وأساسي للكنيسة. وإذا شئنا الدقة، **فالله هو السلطة الوحيدة في الكنيسة** . إلا أننا يمكن أن نتكلم أيضا عن **سلطان الكنيسة نفسها**. فالرب يسوع المسيح قال «من لا يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار» (متى ١٨:١٧). وبهذا يصير واضحاً أن سلطان الكنيسة ليس بشرياً تماماً. إنه مستمد مباشرة وبالتحديد من الله. وأساساً لابد **أن يترافق** ويجب **أن يتوافق مع سلطان الله**. والكنيسة تقتنيه كوضع مقدس وإلهي، مؤسس على العقائد، والقوانين، والوصايا السلوكية الأدبية. هذه الثلاثة هي الأسس لسلطان الكنيسة وهي مقياسها ومعيارها الحقيقي الوحيد. ولكن – كما أوضحنا – تصير هذه المعايير قوة حية في حياة الكنيسة فقط بقدر ما تكون الكنيسة منقادة ومقودة وملهمة من الله مباشرة. **لذلك،**

فمن المستحيل أن نفصل سلطان الكنيسة وسلطتها عن سلطان الله. لذلك أيضاً، فالحكم باسم الله بدون الله أو ضد الله هو أبشع وأشنع الخطايا.

السلطان الموكل للبشر في الكنيسة هو من أجل وحدة المؤمنين:

وحينما نقول إن **السلطان موكل أولاً إلى الكنيسة وليس إلى أي جزء منها أو لأي مجموعة من أعضائها**، فنحن نعبِّر عن عقيدة أرثوذكسية مهمة. فالمفهوم الأرثوذكسي للكنيسة يؤكد أن الكنيسة ليست مكونة **من أجزاء منفصلة**، وكأنها تأسست هكذا منفصلة بواسطة الله. فالكنيسة هي جسدٌ كلٌّ واحد. **وحتى الرب يسوع المسيح كرأس لجسده هو داخل ضمن الكنيسة كعضو فيها [ولكنه العضو الذي له موضع الرئاسة وحق المجد والكرامة، وهو المرجع الأول والأخير فيها]**. لذلك فسلطان الكنيسة ليس هو سلطان الكهنوت كأنه رئاسة منفردة منفصلة عن بقية الجسد. فالسلطان المطلق والحكم المطلق هو معقود من بعد الله دائماً لوحدة كل المؤمنين المسيحيين مع رأسهم الإلهي، والكنيسة ككل لها كل الحق، بل عليها كل الواجب أن لا تمتثل، بل وتعتبر محروماً، أي خادم في الكنيسة إن اتضح أنه غير أمين لمشيئة الله.

الشعب الأرثوذكسي في مناسبات عدة استخدم هذا الامتياز في صراعه وجهاده ضد الهرطقات. فجسم الكنيسة كله هو حامل وحامي التعليم الأرثوذكسي. إن التعليم بـ "الكهنوت الملوكي" لكنيسة الله يعنى أن كل الأعضاء في الكنيسة يشاركون في كل وظائفها وأنشطتها.

ويسوس الله الكنيسة أيضاً:

ثالثاً: من خلال ترتيبات رتب الكنيسة:

فلأنه ليس كل المسيحيين لهم نفس الدعوة أي التخصص في الخدمة، ولا هم يشاركون بالمساواة في أنشطة الكنيسة. فالكنيسة لها أولا القيادة المنظمة المؤسسة من الله نفسه. هذه القيادة لها الحق وعليها الواجب أن تدبر وتعلم الشعب روحياً وأن تمارس الخدمات الكنيسة والأسرار لهم. وهذه الرئاسة الكنسية هي المسئولة مسئولية تامة أمام الله من أجل حياة الكنيسة، وعليها أن تقوم بتنفيذ مشيئة الله تجاه كنيسته.

لكن هذه المشيئة الإلهيـة تحـدد وتُلزم رتـب ومهـام الكهنـوت في الكنيسـة. فحقـوق الرئاسات الكنسية ليست بلا حدود أو بـلا قيـود. فهـذه الحقـوق محـددة ومشـروحة في القانون الكنسي والأسفار المقدسة والتقليد الكنسي المقدس. والرئاسات الكهنوتية وهي تقوم بقيادة الكنسية وتمثلها، يجب أن تكون هي نفسها خاضعة لله وللكنيسة.

الباب الرابع

التقليد القانوني الكنسي

في اختيار وإقامة

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مُقدِّمة

باديء ذي بدء، علينا أن نتقدم لنفحص كتب التاريخ والتقليد الكنسيين، لنتعرف على مباديء اختيار وإقامة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، المعتبر أعلى رأس في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وذلك حفاظاً على تواصل التقليد الكنسي في كنيستنا المحبوبة الذي حافظ عليه الآباء والأجداد على مدى العشرين قرناً المنصرمة بل واستشهد الآلاف من أجل عدم التفريط فيه.

وتسمي الكتب التاريخية الكنسية القديمة هذه الرتبة بأنها:

[الرياسة المسيحية، والمملكة العلوية، والخدمة الروحانية، والدرجة الفاضلة الرسولية][1]

ولأهمية بل ولخطورة هذا المنصب الروحاني في الكنيسة وأثره على حياة الكنيسة، بل والمجتمع المصري كله، رأينا أن نساهم في إلقاء الضوء على التقاليد الأصيلة الصحيحة في اختيار وإقامة شاغل هذا المنصب، واضعين نُصب أعيننا فقط روح الكنيسة الرسولية الأرثوذكسية وطبيعتها الروحية، كما سبق أن عرضناها في كتابنا الأول[2]. ولأننا، نحن وكل الأجيال الصاعدة، نريد أن تظل الكنيسة القبطية مناراً للحق وحافظة للتقليد المسيحي وقدوة ومثالاً لكل كنائس المسكونة في الأمانة للتعليم الصحيح والحياة الكنسية المقدسة. إن شخصية البابا الإسكندري هي الحارسة والملهمة لكل حق وفضيلة وكل ما

(١) مخطوطة *تاريخ البطاركة*، رقم (١) تاريخ بالمتحف القبطي، ورقة ٢١٩ظ، المطبوع باسم تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، سنة ١٩٦٨، جمعية الآثار القبطية، المجلد ٣، الجزء٢، ص٩٩.

(٢) *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*، أبريل ١٩٩٧

هو جليل في الكنيسة والوطن العزيز بل والعالم أجمع! إننا نريد أن يتحقق دائماً في كل بابا يأتي على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ما كُتب مثلاً عن البابا يؤنس السادس البابا الـ ٧٤ (١١٨٩-١٢١٥م) بعد نياحته:

[**ولما علم السيد المسيح أن هذا الأب يحبه، سلّم له خرافه ليرعاهم. فرعاهم بطهارة قلبه، وبرفق يديه ساسهم وهداهم؛ واهتدت البيعة في أيامه، وصلح حال الشعب، ودامت السلامة**][3]

بل ولا نريد أن يُقال عنه بعد نياحته ما قيل في البابا ثيئودوسيوس الثاني البطريرك ال٧٩ (١٢٩٤-١٣٠٠م) من أنه "لم تكن قلوب الجماعة مؤتلفة مع هذا البطريرك، حيث كان ارتقاؤه للرئاسة من غير اختيارهم"، وكذلك "أقام الشعب مدة لم يذكروا اسمه بل كانوا يذكرون اسم الذي قبله، وذُكر أنه أخذ البطريركية بما يُخالف الناموس والشريعة"[4].

لهذا السبب نحن نقدم هذا البحث المتواضع معتمدين على نعمة الله مسترشدين برسوم الآباء والقوانين الكنسية المعتمدة، لتوضيح هذا «الناموس والشريعة» المختصين بهذا الموضوع الهام، وذلك شهادة منا عن الكنيسة وتقليدها، وتسليماً بأمانة للأجيال الصاعدة ما يحويه هذا التقليد، ومعاونة لكل مسئول سيكون له دور ونصيب في التجهيز أو في إتمام هذا الحدث التاريخي النادر الذي لا تشهده الأجيال إلا كل دورة من الزمن.

خطة البحث

سنقسم هذا البحث إلى ٣ أقسام كما يلي:

١. **ما هو الوضع القانوني الكنسي للبابا الإسكندري؟** وما هي المهام المنوط به

---

(٣) مخطوطة *تاريخ البطاركة*، نفس المرجع، ص١٠٠.

(٤) القس منسّى يوحنا، *تاريخ الكنيسة القبطية*، الطبعة الثانية ١٩٧٩، ص٤٨٨.

القيام بها؟ وأدوات العمل التي تساعده على ذلك، أي المؤسسات الكنسية التي يؤدي مهامه من خلالها.

٢. **ما هي الكفاءات والشروط المطلوبة في المرشح** لهذه الخدمة الرسولية بناءً على هذا الوضع القانوني الكنسي والمهام الموكولة إليه؟

٣. **الخطوط العريضة لعملية اختيار المرشَّحين والناخبين وعملية الانتخاب ذاتها، وللائحة انتخاب جديدة**، وذلك على ضوء التوضيحات السابقة.

مراجع البحث

١. **مجموعات القوانين الكنسية** المعترف بها في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وتشمل قوانين الرسل وقوانين المجامع المسكونية الثلاثة والمجامع المكانية، وقوانين آباء الكنيسة الجامعة، والمجموع الصفوي لابن العسال.

٢. **كتب الصلوات الليتورجية** وعلى الأخص كتاب رسامات البطاركة والأساقفة.

٣. أقدم مرجع تاريخي كنسي بالعربية وهو ***تاريخ البطاركة*** لساويرس ابن المقفع.

٤. **الكتب والمنشورات المؤلفة حديثاً** عن تاريخ الكنيسة القبطية وأهمها:

- ***تاريخ الكنيسة القبطية*** للقس منسَّى يوحنا،
- ***قصة الكنيسة القبطية*** بأجزائه الثمانية، للمتنيحة الأستاذة إيريس حبيب المصري.
- كتب ومقالات بحثت بطريقة علمية موضوع انتخاب البابا البطريرك، مثل مقالات المتنيح الدكتور منير شكري، وقد جُمعت في كتاب *قراءات في **تاريخ الكنيسة المصرية***، إصدار جمعية مار مينا العجايبي، سنة ١٩٩٣. وكذلك ***مجلة مدارس الأحد*** على مدى خمسين عاماً، ثم أخيراً كتاب ***التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة***، أبريل ١٩٩٧.
- بيانات صدرت من نيافة قائم مقام البطريرك وبعض الآباء الأساقفة ومن مجلس

ملي الإسكندرية ومن لجـان كنـائس الإسـكندرية والجمعيـات القبطيـة بالإسـكندرية بشأن انتخاب أسقفهم عام ١٩٧١.

الفصل الأول

الوضع القانوني الكنسي

لبابا الإسكندرية

والمهام الموكولة إليه

البابا بطريرك الإسكندرية في وضعه القانوني الكنسي هو أولاً: «**أسقف المدينة العظمى الإسكندرية**»، إذ يأخذ هذه الصفة ويتقلد هذه الدرجة من خلال رسامته، وقسمته، ووضع أيادي الأساقفة عليه، والصلوات التي تُتلى عليه أثناء رسامته، والتقليد الذي يُتلى على الكنيسة المجتمعة وعلى مسامعه، بعد رسامته. وكل واحدة من هذه الإجراءات لها فاعليتها وآثارها الروحية على المرسوم بابا وبطريركاً، وليست بمجرد طقوس وشعائر يمكن تحريفها أو اختزالها أو عدم استيفائها كلها أو بعضها. وهذه هي التسمية التي يتسمى بها بابا الإسكندرية في صلوات القسمة والأساقفة واضعون عليه الأيادي (وهذه أخطر لحظة في صلوات الرسامة):

[قد تشرطن[1] فلان (أي وُضعت عليه الأيادي) في كنيسة الله المقدسة **رئيس أساقفة في كنيسة الله المقدسة التي بمدينة الإسكندرية العظمى**.][2]

---

(١) " تشرطن " كلمة مستعربة من اليونانية **Cheirotonia** أي وُضِعت عليه الأيادي. راجع المعنى الروحي والطقسي لأهم طقس في رسامة البابا البطريرك في كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"* للمؤلف، ص ٨١ و ٨٦

(٢) عن صلوات رسامة بابا الإسكندرية الواردة بالمخطوطة الخاصة بالرسامات المسماة: *الإفخولوجيون* وهي مطبوعة في روما وترجع في

(بقية الحاشية أسفل الصفحة التالية)

وبدون هذا الإجراء - أي وضع الأيادي - لا يُسمَّى المنتخب بابا وبطريرك ورئيس أساقفة مدينة الإسكندرية، بل يبقى كما هو في درجته الكنسية السابقة على الرسامة (إذا جاز أن تُسمى «رسامة» بدون القسمة ووضع الأيادي).

المهام المترتبة على هذا الإجراء:

هذا الوضع القانوني الليتورجي الكنسي يلقي على البابا الجديد أول مهمة، وهي أنه:

أولاً: راعي وأسقف "إيبارشية المدينة العظمى الإسكندرية"

وكما يُذكر دائماً في كتب التقليد الكنسي، فإن البابا البطريرك هو **"أسقف مدينة كرسيه"**، وهي مدينة الكرسي الرسولي أي المدينة التي كرز فيها أولاً الرسول الإنجيلي الطاهر مار مرقس، وأقام فيها أول كنيسة في بوكاليا ورسم عليها أول أسقف مكاني هو أنبا أنيانوس، وهي المدينة التي استشهد فيها يوم ٣٠ برمودة الموافق ٦ مايو عام ٦١م. ومن ذلك الوقت وأساقفة مدينة الإسكندرية يتعاقبون الرياسة الروحية على كرسي مدينة الإسكندرية الرسولي بلا انقطاع.

وإن رسامة أسقف على إيبارشية مدينة الإسكندرية تعني أول ما تعني أن الأسقف الجديد مسئول عن رعاية نفوس أهليها وتدبيرهم روحياً ليتمموا ويكملوا خلاصهم، وذلك بكل الوسائل والطرق والتدابير التي على كل أسقف أن يرعى بها شعبه في إيبارشيته، وذلك من خلال مجمع قسوس الإسكندرية (أقدم مجمع كنسي في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية)، ومجلس الشمامسة، ومجلس أراخنة الشعب (المسمَّى الآن المجلس الملي).

(بقية الحاشية من الصفحة السابقة)

زمن نساختها إلى عام ١٣١٢. وهذا المقطع يقوله كبير الأساقفة أثناء أخطر لحظة في رسامة البابا البطريرك وهي لحظة وضع الأيادي على رأس أسقف الإسكندرية الجديد وتسميته بابا للكنيسة. راجع نص صلوات الرسامة في كتاب "*التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*" للمؤلف، ص ٢٩٣-٢٩٨.

وبسبب المركز المميز لأسقف الإسكندرية ومسئولياته الخاصة بوضعه ووجوده في العاصمة المدنية فقد جرى التقليد أن يُعيِّن البابا إيغومانساً كوكيل له ينوب عنه أثناء غيابه عن مدينة كرسيه. مع تحاشي تعيين أسقف في هذه الوكالة منعاً من اللبس بوجود أسقفين في إيبارشية واحدة.

وإن قيام بابا الإسكندرية بمهمته الأولى والأساسية كراعٍ وأسقف لشعب الإسكندرية يفترض أن يكون قد انتخبه أهلها برضا وقبول حرٍّ كي يكون هو راعيهم.

بل إن خدمة القداس الإلهي التي ستجري فيها طقوس الرسامة من المُفضَّل أن تتم في الكاتدرائية المرقسية بمدينة الإسكندرية على أن يتم التجليس وقراءة التقليد في مدينة القاهرة، وقد تمت بعض رسامات الآباء البطاركة هكذا بعد انتقال المقر البابوي إلى القاهرة منذ حبرية البابا خرستوذولوس (البابا ٦٦: ١٠٤٧-١٠٧٧) [٣].

ثانياً: هو رئيس أساقفة وبطريرك الكرازة المرقسية:

وذلك بحسب الوضع التقليدي القديم والذي **أقرّه وأعطاه صفة القانون المُلزم المجمع المسكوني الأول المنعقد في نيقية عام ٣٢٥م في قانونه السادس (والذي لا يمكن أن يُنقض إلاّ بقانون من مجمع مسكوني على نفس المستوى) بأن:**

[لأسقف الإسكندرية الرئاسة على كنائس مصر وليبيا والخمس المدن]

وبهذه الصفة فإن لبابا الإسكندرية مركز التقدم والأولية والرئاسة على أساقفة إيبارشيات الكرازة المرقسية. ولا يحق لأي أسقف أن يدَّعي أو يأخذ هذه الرئاسة لا بسعايته ولا بسعاية آخرين.

---

(٣) سجل الرحالة البريطاني ألفريد ج. بتلر وجود هذا التقليد (إتمام طقوس الرسامة بالإسكندرية) في كتابه المشهور: *الكنائس القبطية القديمة في مصر*، الجزء الثاني، عام ١٨٨٤. راجع الترجمة العربية للأستاذ إبراهيم سلامة، إصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص٢٣٧

ولأن الرئاسة في المسيحية هي أولاً «خدمة للكل» بحسب قول المسيح: «وأكبركم يكون خادماً لكم» (متى ٢٣:١١)، لذلك فإن بابا الإسكندرية يصبح هو خادم وحدة الكنيسة وتآلفها معاً حول شخص المسيح – له المجد – وهو العامل على تحقيق صلاة الرب يسوع المسيح للآب ليلة آلامه: «أيها الآب القدوس احفظهم في اسمك الذي أعطيتني **ليكونوا واحداً** كما نحن ... ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط (الرسل) بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بي بكلامهم، **ليكون الجميع واحداً** ... **ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا** ليؤمن العالم أنك أرسلتني ... **ليكونوا واحداً** كما أننا نحن واحد ... أنا فيهم وأنت فيَّ ليكونوا مكمَّلين إلى واحد ...» (يوحنا ١٧:١٣-٢٣). وسميت هذه الرئاسة منذ العصور الأولى للمسيحية بأنها "رئاسة بالمحبة"[٤].

إن مهمة تحقيق وحدة كنيسة المسيح عمل جدًّ صعب وشاق، ولا يقدر أن يقوم به إلا من نال سلطان الرئاسة، وموهبة الأبوَّة، ونعمة الرعاية، بالروح القدس المُفاض عليه بوضع الأيادي في صلوات تكريسه أسقفاً ورئيس أساقفة وبابا لمدينة الإسكندرية العظمى.

وبمقتضى هذه النعم والمواهب، فالبابا باسم المسيح يحتضن الجميع ويضم الجميع ويؤالفهم بعضهم بالبعض، ويستوعب الكل ويجمع الكل في محبة المسيح و «يستأسر كل فكر لطاعة المسيح» (٢كو ١٠:٥)، وهكذا يصير بحق خادم وحدة الكنيسة تحت رئاسة الرأس الواحد "يسوع المسيح" (رسالة أفسس ١:٢٢).

المعنى الكنسي لرئاسة أسقف الإسكندرية : شيوع روح الجمعية

رئاسة أسقف الإسكندرية على أساقفة الكرازة المرقسية هي في المفهوم الكنسي بمثابة

(٤) حسب وصف القديس إغناطيوس الأنطاكي لأسقف روما (مقدمة رسالته إلى رومية).

«**أولية**» و «**تقدم في الكرامة**» و «**رئاسة بالمحبة**» بين أساقفة **متساوين**. "**متساوين**" لأن خدمة الأسقفية التي يتقلدها بابا الإسكندرية هي نفسها خدمة الأسقفية التي يتقلدها باقي الأساقفة. فرتبة الأسقفية واحدة، ولا يوجد في النظام الكنسي الأرثوذكسي رتبة أعلى من رتبة الأسقف. لذلك فتسمية " أسقف الإسكندرية" أو " أسقف المدينة العظمى" أو " أسقف مدينة الكرسي الرسولي" باسم "البابا" و "البطريرك" والرئيس والمتقدم ، (بمقتضى الرسامة والقسمة ووضع الأيادي) ليست بأي حال "**ترقية**" أسقف ليصير بابا وبطريركاً. فهذا المفهوم غير موجود في ترتيب الكهنوت في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بل هو **وضع قانوني من واقع الحال** أو بحسب التعبير القانوني *per sese*.

معنى رئاسة أسقف الإسكندرية:

وبهذا المعنى فإن هذه الرئاسة إذا تُرجمت على أرض الواقع، فإنها تكون بحسب التعبير الكنسي المعروف رئاسة في إطار ما يسمَّى "**كينونيا Koinonia**" أو "**شركة**" و "**مشاركة**" في العمل والرأي والتدبير مع الأساقفة " **الشركاء في الخدمة الرسولية** " كما يوصف الأساقفة في المصطلحات الكنسية.

الفصل الثاني

التعبير العملي عن الكينونيا والشركة

أو

المؤسسات الكنسية

التي من خلالها يؤدي البابا مهامه

إن الشركة بين البابا البطريرك وبين شركائه في الخدمة الرسولية (التي تحدثنا عنها في آخر الفصل السابق) تعني المشاركة معاً في إصدار القرارات والقيام بالأعمال والتصرفات العامة أي التي تعمُّ وتهم الكل، والتي لا يكون لها صفة "المكانية" التي تخص خير الإيبارشية الروحي وحدها. وذلك **بحسب القانون الرسولي رقم ٢٥:**

[أساقفة كل إقليم لا يفعلوا شيئاً كبيراً إلاَّ برأي المقدَّم. وليصنع كل واحد أفعاله وحدها التي هي لخير كرسيه (أي التي تخص شئون كرسيه والمواضع التي تحت سلطانه)، ولكن الذي يُقام رأساً أي أولاً عليهم لا يفعل شيئاً بغير رأي الأساقفة كلهم. وهكذا يكون اتفاق واحد ويتمجد الله بالمسيح يسوع والروح القدس].

وأيضاً القانون الرسولي رقم ٣٤:

[أن لا يعمل الأساقفة شيئاً إلا بموافقة البابا، وهو لا يعمل شيئاً بدون موافقتهم

جميعاً، وهكذا إذ يسود الاتفاق يتمجد الله بالمسيح في الروح القدس]

والمقصود هنا أن القرارات والممارسات التي لها صفة العمومية وتختص بالكنيسة كلها يجب أن تكون برأي واتفاق الأساقفة مع البابا. وهذا الوضع هو تحقيق لروح المجمعية التي تتميز بها الكنيسة الأرثوذكسية، وهي التي تؤدي إلى تمجيد الله الثالوث الأقدس، كما يذكر القانونان الرسوليان. لأنه كما أن الثالوث الأقدس في وحدة ذاتية بالرغم من تعدد الأقانيم، هكذا الكنيسة على مثال الثالوث وإن تعدد فيها الأشخاص والصفات والأفكار إلاَّ أنها يجب أن تكون في وحدة الروح والمحبة والعمل الذاتي، وكما أن الثالوث في مساواة في الجوهر الإلهي هكذا الكنيسة بأعضائها الكثيرين في مساواة من جهة نعمة البنوة لله التي أفاضها الله في المسيح على البشرية بالروح القدس الممنوح في سرَّي المعمودية والميرون.

المجمع المقدس هو المؤسسة الكنسية الأساسية في معاونة البابا:

والذي يعبِّر عن هذه الروح المجمعية ويجسِّمها ويحافظ عليها هو مجمع الأساقفة الذي نظمت القوانين الرسولية والكنسية (أي قوانين المجامع المسكونية والمكانية وقوانين آباء الكنيسة الجامعة) أمر انعقاده بصفة دورية منتظمة وحددت اختصاصاته ليكون حصناً ومراقباً لحفظ الأمانة الأرثوذكسية وسلامة الممارسات الكنسية ليس من البابا فقط بل ومن الأساقفة وعموم رجال الإكليروس، ولدوام معاونة البابا في ممارسة خدمته الرئاسية كمركز وبؤرة تحقيق الوحدة والتآلف والاتفاق على تدبير الشئون العامة للكنيسة.

وقد حدد **القانون الخامس من مجمع نيقية المسكوني** (سنة ٣٢٥م) ضرورة انعقاد هذه المجامع مرتين في السنة على الأقل لتحقيق المصالحات ومراجعة أحكام الأساقفة بالحرمان في إيبارشياتهم التي أجروها على أفراد من الشعب أو الإكليروس وإصدار أحكام نهائية فيها، وإجراء الرسامات الأسقفية، وعموماً فحص الشئون العامة للكنيسة

مع البابا. وقد فصلنا هذه الاختصاصات وبروتوكولات انعقاد هذه المجامع وطريقة اتخاذ القرارات في كتابنا الأول "*التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة* "[1].

خطورة وحتمية قيام المجمع المقدس بممارسته مسئولياته المجمعية:[2]

ولكن هذا العمل الخطير المنوط به الأساقفة وهم على هيئة مجمع يفترض ممارسة الأساقفة والمطارنة مسئولياتهم المجمعية الخطيرة واستعدادهم للمجاهرة بالحق الكنسي دون تهيُّب من أحد أو انعزال أو سلبية، وهذا يفترض مُسبقاً أن يكون اختيار الأساقفة والمطارنة قد تم حسب الشروط الواجبة في الكتاب المقدس والقوانين الكنسية وبالإجراءات السليمة التي أوجبتها الطقوس الكنسية، ليكونوا قادرين، وعلى مستوى أن يؤدوا هذا العمل الحيوي في معاونة البابا في حفظ وصون ومراقبة سلامة الإيمان والطقس في الكنيسة دون خوف أو مجاملة على حساب الحق الكنسي، وإلا فسيتعطل دورهم الحيوي هذا، وستُصاب الكنيسة بالخلل والتلف، وتعم الخسارة على الجميع. وستعاني الأجيال المقبلة من قصور وتعطُّل العمل المجمعي في قيادة الكنيسة.

ويسند هذا القانون الرسولي الكنسي المختص بالمجامع الأسقفية قانونان هامان يوسعان حدود روح الشركة والمشاركة ويضبطان إيقاع روح المجمعية في الكنيسة، وهما:

قانون الشركة وقانون المشورة،

١.قانون الشركة:

[وأن لا يعمل الرئيس ولا المدبِّر في كنيسة الله شيئاً من الأعمال، ولا يتقلب (يتخبط) في أحكام الشعب (أي إصدار الأحكام الجزافية أو المتسرعة أو غير

---

(١) كتاب "*التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*" للمؤلف، أبريل ١٩٩٧؛ فصل *المجامع الكنسية المقدسة: من* ص ١٦١-١٨٠

(٢) بخصوص دور الأساقفة الحيوي في مناقشات المجمع المقدس راجع "بروتوكولات إقامة وانعقاد المجامع" في كتابنا السابق *التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة* (أبريل ١٩٩٧) ص ١٧١-١٨٠

العادلة على أفراد الشعب)، إلا بمشورة أصحابه الذين هم في الكنيسة قبله (أي أعضاء الإكليروس القدامى وذوي الحكمة والمشورة الحسنة)،

وأن يكونوا معه (عدم الانعزال عن قدامى الإكليروس وحكمائهم)،

وهم القائمون بالصلاة معه (أي أن الشركة معهم تكون في إطار الصلاة)،

وما يتفق عليه رأيه ورأيهم جميعاً فيما يقع فيه **رضا الله، وصلاح الشعب** (أي أن اتفاقهم يكون محكوماً بهذين الشرطين)، **وواجب الديانة** (أي واجبات وأصول التدبير الكنسي حسب التقليد الكنسي الصحيح)،

ولا يكون في حُكْمه **إساءة** لبعضهم (أي تحريم الإساءة للآخرين بكافة صورها، **العلنية** منها: كما في الصحف والمطبوعات والأحاديث العامة والخاصة وما شابهها، **وغير المباشرة** مثل المقاطعة والتجاهل والاستبعاد من مراكز الخدمة والتأثير)،

ولا خلاف لهم في **تجاوز الحق** إلى غيره (أي لا يختلفوا على ما يُقِرُّه الحق الكنسي).] – **القانون الرسولي رقم ٢٠**

٢.قانون المشورة:

[أن يشاور (الرئيسُ) في ما يحله ويربطه، العلماءَ الأبرارَ من كهنته وشعبه **الأراخنة والقريبين من السلطنة (أي من سلطات الحكم المدني)** على انفراد واجتماع. وبعد الاتفاق فيه، يعمل مكتوباً يذكر فيه السبب الداعي إليه ووجه الفائدة به، وحصول الموافقة من الكهنة **والأراخنة** عليه. وإن كان أمر كبير أو أمور كثيرة، فينبغي أن يجمع لأجله الأساقفة ووجوه الكهنة **والأراخنة ومَنْ عنده علم وورع**، وتؤخذ خطوطهم (أي توقيعاتهم) في المكتوب، وتُنقل منه

نسخ، وتُقرأ في جميع الكنائس، على الخاص والعام، في المدن والقرى.]

المجموع الصفوي لابن العسال ص ٤٢٣

وكيف يمكن ممارستهما بانتظام:

ومن هذين القانونين نستطيع أن نستوحي صورة مفصلة لقيام **مؤسسات دائمة متفرعة من** وبجانب مجمع الأساقفة لتعاون البابا على القيام بمهامه الرئاسية على أكمل وجه ودون تعثر أو خطأ. وهذه المؤسسات كما نتصورها هي هكذا:

١. المجمع الإكليريكي المقدس المصغّر الدائم الانعقاد:

ويضم بعض أكبر المطارنة سناً وأقدمهم رسامة، ويكونون من ذوي العلم والمشورة الحكيمة الحسنة. ويكون عددهم ما بين ٥-٧ مطارنة (وليس أساقفة). هؤلاء يكونون قريبين من البابا يستشيرهم ويتداول معهم حول الأمور العامة والقرارات الهامة فيها والتي ينوي البابا أو التي يجب أن يتخذها ويتصرف فيها. ويكون اختيارهم بالشركة بين البابا ومجمع الأساقفة، ويمكن أن يتجدد اختيارهم أو اختيار بعضهم أو غيرهم كل ٣ سنوات مثلاً. وهذا المجلس هو الذي ينوب عن البابا في تصريف أمور الكنيسة أثناء غيابه خارج البلاد أو في حالة أي طارئ آخر. هذا الوضع قائم في كل الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة حالياً، ومن يقرأ كتاب تاريخ البطاركة بابوات الكرسي الإسكندري يجد أن البابوات كانوا دائمي الصلة والمشورة مع نخبة الآباء المطارنة الذين سبقوه، بل إن مجمع الكنيسة (إكليروساً وأراخنة) في حبرية البابا كيرلس بن لقلق اتفقوا على تعيين مطرانين أحدهما مطران القاهرة أنبا بولس البوشي مسئولَين عن الشئون الإدارية في الكنيسة بعد تأزم الموقف بين الكنيسة والبابا (إيريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية*، الكتاب الثالث، ص ٢٢٣).

٢. مجلس أراخنة الشعب:

وهو ما يسمَّى الآن "**المجلس الملي**" والذي يجب أن يُعاد النظر في قانونه وتوسيع

اختصاصاته، والتي يجب أن تكون أكثر شمولاً وفاعلية مما هي عليه الآن. ويمكن لهذا المجلس (الذي نقترح تغيير اسمه إلى "**المجلس الكنسي الشعبي العام**") أن يقوم:

١. **بإدارة ومراجعة كافة الأعمال المالية** للبطريركية والكنائس والمراقبة الحسابية الفعّالة على إيرادات ومصروفات المقر البابوي (أو المطرانية أو الأسقفية) ومجالس الكنائس وكافة مؤسسات الكنيسة.

٢. **وهو الذي يتولى تحديد وصرف مرتبات ومكافآت رجال الإكليروس** (بموجب لوائح منظّمة لهذه الأمور)، مما يجعل البابا والأباء المطارنة والأساقفة متفرغين لخدمتهم الرعوية الروحية.

٣. **كما يقوم بالصرف على المشروعات التعليمية والاجتماعية والخيرية** المكملة لرسالة الكنيسة الروحية، وذلك من حصيلة الإيرادات والتبرعات التي تصل إلى الكنيسة من أبنائها أو من غيرهم.

٤. **كما يُنتدب البعض من أعضائه ليمثلوا الكنيسة وليكونوا حلقة الصلة مع أجهزة الدولة** في الأمور المدنية والسياسية التي لا يجوز ولا يصح لرجال الكنيسة التصدي لها أو الانغماس فيها.

٣. المجلس الأعلى للقضاء الكنسي والقانون والطقس:

ويتكون من أعضاء من الإكليروس العلماء في القانون الكنسي، ومن الأراخنة الذين شغلوا أو يشغلون مناصب عليا في السلك القضائي للدولة ويكونون متعمقين في العلوم القانونية الكنسية. ومهمة هذا المجلس يمكن تحديدها في:

١. **مراقبة ومتابعة تطبيق القانون الكنسي** في كافة مؤسسات الكنيسة وعلى كل المستويات وإعطاء المشورة في قرارات الحرمانات الكنسية قبل صدورها، وسلامة إجراءات المحاكمات الكنسية ومطابقتها لما نصت عليه القوانين الكنسية.

٢.**معاونـة مجمـع الأسـاقفة بالمشـورة** في الفصـل في طلبـات اسـتئناف قضايـا الحرمانـات الـتي أوقعهـا الأسـاقفة علـى الكهنـة أو أعضـاء مـن الشـعب في إيبارشياتهم.

٣.**كما يراقب ويعطي المشورة في سلامة إجراءات ترشيح وانتخاب الأسـاقفة الجدد** (وضمناً انتخابات البابا حين يكون هناك انتخابات البابا).

٤.**رصد أي انحراف عن القانون الكنسي وعـن طقـوس الكنيسـة**، ورصـد أي تعديـل أو تشـويه في كتـب الصلـوات الطقسـية للكنيسـة وعلـى الأخـص كتـب صلوات الرسامات والقداس الإلهي وإبلاغه للبابا وللمجمع المقدس.

٥.**كما يقوم بوضع لوائح التنظيـم الإداري الكنسـي** الـذي يلـزم وضعـه لكـل نواحي الحياة والنشاط والمؤسسات الكنسية في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

٦.**كمـا يعـاون في فحـص أحـوال الـزواج والطـلاق وكافـة شئون الأحـوال الشخصية التي يتقدم بها أفراد الشعب** الذين يطلبون حل مشاكلهم عـن طريـق الكنيسة أو التصرف في طلبات الزواج الثاني بحسـب قوانـين الكنيسـة والأصـول التقليديـة الـتي نعتقـد أنهـا لا تُراعـى الآن، أو تُمـارس بطريقـة خارجـة عـن اختصاصات الكنيسة، مما سبب متـاعب ومشـاكل جمـة للشـعب في هـذا الشـأن وورط رجال الدين في موضوعات أبعد ما تكون عن اختصاصهم.

ويجب أن يتمتع أعضاء هذا المجلس بما يليق بكفاءات أعضائه مـن **الاحـترام والتقديـر لآرائهم والحصانة العلمية**، على أساس أنهم يلتزمون بإبداء الرأي القانوني العلمي المجـرد مـن الهـوى والشـائبة والمجاملـة لأي مـن رجـال الإكليروس مـن البابـا إلى الأسـاقفة إلى القسوس إلى الشمامسة. على أن يرفعوا تقاريرهم إلى البابا والمجمع المقدس والمجلـس الملـي للنظر فيها والأخذ بها.

٤. المجلس الأعلى للتعليم اللاهوتي:

ويتحتم أن يكون أعضاؤه (سواء كانوا من الإكليروس أو من العلماء اللاهوتيين) حائزين على إجازات علمية عليا في العلوم اللاهوتية من جامعات أو كليات لاهوتية مُعترف بشهاداتها عالمياً وكنسياً. ويتولى هذا المجلس:

١. **الإشراف على الدراسة في المعاهد اللاهوتية الحالية** وتطويرها والرقي بالمستوى العلمي للتدريس بها إلى مستوى أفضل المعاهد والأكاديميات اللاهوتية الأرثوذكسية في الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، ومراقبة ما يُدرَّس فيها من مناهج حتى يكون متوافقاً مع المقاييس العلمية اللاهوتية المُعترف بها.

٢. **وهو الذي يقرر إرسال البعثات اللاهوتية** إلى الخارج واستدعاء أساتذة لاهوتيين زائرين من الداخل أو الخارج.

٣. وبالإضافة إلى هذه المهام الأكاديمية العلمية، فيكون للمجلس **حق وعليه واجب إبداء الرأي اللاهوتي وإعطاء المشورة العلمية اللاهوتية الحسنة** في القضايا التي تعرض للكنيسة. كما يقوم بإصدار الدراسات الأرثوذكسية اللازمة لمنفعة الشعب الروحية.

على أن يتوفر لأعضاء هذا المجلس ما لأعضاء المجلس الأعلى للقضاء الكنسي من الاحترام والتقدير والحصانة لآرائهم وأشخاصهم، على أساس أن يكونوا أولاً على مستوى العلماء اللاهوتيين، وأن يلتزموا جانب الحق اللاهوتي المطلق القائم على التقليد الكنسي القبطي الأرثوذكسي الصحيح.

* * *

إن أي تشريع كنسي يختص بانتخاب البابا البطريرك يجب أن يصاحبه تشريعات مصاحبة له لتنظيم الهيكل العضوي (العضوية الكنسية) والإداري التشريعي والقضائي

لمؤسسات الكنيسة التي تحيط بالبابا ما يجعله محفوظاً ومصوناً من الزلل في قراراته، بل ويُثري قراراته وممارساته بالمضمون الروحي السامي والشكل الكنسي الصحيح ما يجعل الكنيسة القبطية الأرثوذكسية القرن الواحد والعشرين هي حقاً كنيسة المسيح الوارثة لكل غنى وعظمة كنيسة الإسكندرية القديمة كنيسة الآباء وكنيسة التقليد الكنسي الصحيح. وبالتالي يحفظ الكنيسة كلها من أي انحراف عن طبيعتها الروحية ما يعرِّضها للخطر، بل وبالأكثر يوقعها تحت دينونة الله.

الفصل الثالث

الكفاءات والشروط المطلوبة

في

المرشح للبابوية

إن الحديث عن الكفاءات والشروط المطلوبة في المرشح للبابوية في الكنيسة القبطية، بالرغم من أنه أمر في منتهى الصعوبة، إلاّ أنه في الوقت نفسه واضح المعالم منتهى الوضوح في كتب التاريخ والتقليد الكنسيين. حيث أن تاريخ باباوات وبطاركة الكرسي الإسكندري بما فيه من مناطق واسعة مضيئة ونقاط قليلة مظلمة يستطيع أن يعطينا الصورة التقليدية الصحيحة لما يجب ولما لا يجب أن يكون عليه بابا الإسكندرية.

ماذا يعمل البابا وماذا لا يعمل؟

أولاً يجب أن نعرف ماذا لا يعمل البابا لأن البعض يظنون في البابا ما ليس في اختصاصه أن يعمله. وهنا نقتبس ما كتبه أحد الأراخنة والباحثين من رواد الخدمة في الكنيسة منذ خمسين عاماً هو الدكتور وليم الخولي عن «*البطريرك الذي نرجوه*» في توضيح الصورة الكنسية الصحيحة للبابا البطريرك. يكتب الدكتور وليم الخولي:

[البابا البطريرك هو الرئيس الروحي، فلا بد أن يعرف اختصاص هذه الرئاسة كي يؤدي واجب وظيفته مع التزام حدودها.

ليس أتباع المسيحية دولة، ولا يجوز أن يكون الرئيس الديني رئيس دولة داخل الدولة وإنما هو رأس المجتمع الروحي: يقود الإيمان ويجمع له معتنقين. فهو يرعى حياتهم باعتباره ممثل عقيدتهم وباعتبارهم معتنقي هذه العقيدة.

والحقيقة التي يجب أن يعلمها من يجلس على كرسي مار مرقس أنه **رئيس "المسيحية"** لا رئيس "المسيحيين" ولا هو «عمدة» الأقباط، ولا هو ملك أرضي يملك، وإنما هو وكيل الله، وهو ممثل المسيحية، وخادم الإيمان وحاميه، فهو راعٍ وهو أب، وهو رئيس للمسيحية، وللمسيحية فقط.

فليس البطريرك هو الشخص الذي يخضع له "رسمياً" عدة ملايين من المصريين وبضعة ملايين في غيرها من أنحاء الكرازة. وإنما هو الأب الذي يقوم على رأس أعوانه الكهنة (أعني الأساقفة والقسوس والشمامسة) بإعلان التعليم المسيحي في سائر بلاد الكرازة، وتعهُّد مَنْ يقبلون هذا التعليم في هذه البلاد، ومحاولة إنقاذ مَنْ يفتر منهم أو يخور.

وإن نحن فهمنا الأوضاع هكذا كما فهمها المسيحيون الأولون، وعرفنا أن الرئاسة ليست رئاسة قومية دنيوية، وإنما هي رئاسة عقيدة وإيمان ومبادئ، لعرفنا أنه لا يجوز أن يلي هذا المنصب الديني إلا من كان هو نفسه ديناً متجسداً، أي صورة صحيحة حية لهذا الدين، ومن كان هدفه الأول والأخير أن يأتي بكثيرين يتذوقون ما تذوقه هو أولاً من عذوبة الاستغراق في محبة المسيح. فلن يفيض على غيره من كان قلبه خاوياً مما يريد (أو يجب) أن يفيض به على الآخرين.][1]

وإذ ننفي عن مهام البابا البطريرك هذا الظنون والتصوُّرات الخاطئة بخصوص مهامه

---

(١) المقال الأول من سلسلة مقالات «البطريرك الذي نرجوه» نُشرت في مجلة مدارس الأحد عام ١٩٥٠، يناير ١٩٥٠، ص ٥،٦

واختصاصاته، نتقدم لكي نفحص:

الكفاءات والشروط الخاصة بالمهام الصحيحة لمنصبه

هي نفسها شروط الأسقف:

فأولاً: باعتباره أسقفاً للمدينة العظمى الإسكندرية،

تنطبق عليه شروط وكفاءات الأسقف، كما ورد ذلك في كافة الكتب الكنسية المختصة بذلك[٢]:

فالأسقف يجب أولاً أن يكون **إنساناً روحياً، أي ممتلئاً من الروح القدس** (أول شرط اشترطه الرسل في اختيار خدام الكنيسة - أعمال الرسل ٦:٣)، ويظهر هذا في حياته الروحية الباطنية وخبرته الحية في الشركة مع الله، والتي يحوطها ويصونها تمرس في النسك ومغالبة والانتصار علي شهوات النفس. وهذه الصفات، لا يمكن لمن هو حديث الإيمان أو في خبرة الحياة المسيحية والروحية أن ينال مداها العميق إلي الدرجة التي يستحق فيها أن يأخذ مكان الصدارة بين شعب الله وأن يقف كقدوة ومثل أعلى أمام جمهور المؤمنين والملائكة والعالم حسب قول الرسول: «فإني أرى أن الله أبرزنا نحن الرسل آخرين كأننا محكوم علينا بالموت، لأننا صرنا منظراً للعالم للملائكة والناس» (١كو٤:٩). وهذا لا يمكن أن يتم إلا بسيرة فاضلة وجهاد طويل الأمد وسنين طويلة في إماتة الذات والصبر والاحتمال للمشقات مما يمرس الإنسان في عمق الحياة المسيحية الفاضلة.

بالإضافة إلى ذلك، فلابد أن يكون الأسقف **ذا علم لاهوتي كنسي**: أي عارفاً بتقليد الكنيسة الصحيح، دارساً سير آبائها القديسين، متبحراً في أقوالهم وكتاباتهم، متفهماً ما تُبطنه كلماتهم وألفاظهم ومواقفهم من مناهج واتجاهات وعقائد مستقيمة

---

(٢) هذا الموضوع بُحث بالتفصيل في كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"*، أبريل ١٩٩٧، من ص ١٣٥- ١٥٠ ؛ ومن ٢٣٥ - ٢٤٠

الرأي، وأن يكون متوافقاً في تعليمه وإيمانه وعقيدته وقراراته وممارساته العملية مع إيمان وعقيدة وتعليم وتقليد وخبرة آباء الكنيسة الأرثوذكسية الجامعة في المسكونة بأسرها. ويجب أن يستزيد دائماً من علمه اللاهوتي ولا يرضى بقلة العلم كما تحتم بذلك القوانين الرسولية:

[أسقف راضٍ بقلة العلم أو يحقد ليس هو أسقفاً بل هو اسم كاذب عليه وليس هو من الله بل من قِبَل الناس] - **القانون ٥١ من من ال٧١ قانوناً**

ثم لابد أن يكون له **حنكته وحكمته في تدبير الأمور، ورزانته في التصرف والقول،** ما تصفه الدسقولية [**أن يكون قد هرب من حركات الطفولية وأباطيل الخارجين**]، أي أن لا يكون ما يزال يحمل صفات الطفولة من خفة الشباب وهزارهم ودلالهم وعدم جدية سلوكهم وعلى الأخص في أحاديثه مع الرجال والنساء، الأمور التي لا تليق بأعلى رأس وأرفع مرجع في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية المستقيمة الرأى، رائدة الحياة المسيحية الأصيلة والفكر والعلم اللاهوتي الصحيح والعيشة النسكية الصارمة، ما اشتهر به باباوات الإسكندرية على مدى الأزمان والأجيال.

ثم نأتي إلى **نوع شخصيته**. إذ يجب أن يكون **ذا شخصية تمارس المحبة المسيحية بالعمل والحق**، فيقبل ويحتضن الآخرين بالمحبة والتقدير والاحترام لأشخاصهم، باعتبارهم مخلوقين على صورة الله أولاً، وبحكم بنوَّتهم لله بالمعمودية ثانياً، وبصفة عضويتهم في جسد المسيح بسر المسحة المقدسة ثالثاً؛ وهذا يظهر في احترام آرائهم ومواهبهم، بحيث يستطيع أن يتعامل مع الأفراد والمجموعات ذات الخبرة التي قد يمكن أن تكون قد تميزت عن خبرته، وذلك بحسب قانوني "**الشركة**" و "**المشورة**" اللذين أتينا على ذكرهما في الفصل السابق، وبالتحديد مع المجالس التي استوحينا إقامتها من هذين القانونين، فيجعل من القانون الكنسي ووصايا المسيح ومشورات الحكماء وأفكار المثقفين الذين في الكنيسة نبراساً وعكازاً ومعاوناً أميناً له في مسيرة حبريته.

إن **بابا القرن الواحد والعشرين** لا يمكن إلا أن يكون صاحب هذه الشخصية المتكاملة **التي تؤمن وترحب بالحكمة الجماعية والقرارات الجماعية** وأنها دائماً أكثر صواباً وأماناً من الحكمة الفردية والقرارات الفردية، وأكثر سلامة من الحكمة التي تعتمد على نوع معين من مشورة مشيرين غير أصحاء في الشخصية والفكر والعلم والخلق، تحقيقاً لقول الحكيم: «حيث لا تدبير يسقط الشعب. وأما الخلاص **فبكثرة المشيرين**» (أمثال ١١:١٤)، و «الغش في قلب الذين يفكرون في الشر ، أما **المشيرون بالسلام**[٣] فلهم فرح» (أمثال١٢:٢٠).

هذه هى معالم كفاءات شخصية أي أسقف وبالتالي البابا.

ثانياً : البابا كرئيس أساقفة الكرازة المرقسية:

أما الشروط النقلية الخاصة بالبابا كرئيس أساقفة الكرازة المرقسية، فهي بمثابة الضمانات التي توفر للباحثين عن المرشح الصالح العثور عليه والإمساك به، ومنها:

١. شرط السن:

يخطئ من يقول بأنه لا يوجد شرط للسن في اختيار البابا . فهذا عكس ما ورد في كل كتب القوانين والتاريخ الكنسيين.

فإذا كانت الشروط الواجبة لاختيار أي أسقف هى جودة الخلق وصحة الرأى والتجربة والحنكة، فإنه يتقدمها **شرط السن المتقدمة التي لا تقل عن ٥٠ عاماً** كما يحتم بذلك قانون الدسقولية [**ليس بأقل من خمسين سنة**] - ٣:١،٢؛

---

(٣) يذكر التاريخ أن القديس يوحنا ذهبي الفم حينما اعتلى كرسي البطريركية في القسطنطينية كان يحيط به بعض المشيرين غير الأصحاء من بينهم رئيس شمامسة القسطنطينية واسمه سيرابيون الذي حرضه أن يقسو على كهنة القسطنطينية ويتسرع في الحكم عليهم بالحرمان قائلاً له: "لن يمكنك أيها الأسقف أن تسيطر على هؤلاء الرجال إن لم تحكمهم بقضيب من حديد". وللأسف استجاب القديس لمشورته الرديئة. وحينما عُقد مجمع لمحاكمة القديس ذهبي الفم تألب عليه كهنته هؤلاء وارتدت عليه قسوته السابقة وكان لشكاواهم ضده الأثر فيما عاناه القديس من آلام وأحزان في نهاية حياته! (**Socrates** ***H.E.*** **vi**).

فكم وكم يكون لازماً لأب الآباء ورئيس الأساقفة، بل وكم يكون الواجب أن يكون الحد الأدنى لعمر أب الآباء أكثر من ٥٠ سنة.

فمن وثائق كنيسة القرن الثاني عشر نقرأ مثلاً شروط أسقف مصر (أي القاهرة) الذى يطلبه القاهريون[٤]:

[... فلهذا وغيره من أحكام هذا الكرسي ينبغي **أن يكون أسقفه قد بلغ حد الكهولية أو قد تعداها**][٥].

فكم وكم يكون عمر أسقف وسيد ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية الذي سيرأس هذا الأسقف وشركاءه الأساقفة ممن هم أقدم منه.

ومن قصة اختيار البابا مقار الثاني البطريرك ال٦٩ (١١٠٢ – ١١٢٩ م.) نستدل على أن شرط السن هو أهم ما يتطلبه التقليد الكنسي في المرشح للبابوية على الأخص. يقول مؤلف كتاب "*تاريخ الكنيسة القبطية*"[٦] ما يلي:

[فبعد انتقال البابا ميخائيل ترشح اثنان للبطريركية من رهبان دير أنبا مقار. ولم يتمكن الأساقفة من انتخاب أحدهما، ذلك لأن **أحد المرشحين كان عمره أقل من الخمسين، والقانون يحظر انتخاب بطريرك ممن لم يبلغوا هذا السن**. ثم انتخب الآخر رغماً عن معارضته لترشيح نفسه].

ويقول كتاب "*تاريخ البطاركة*"[٧] عن هذا الموقف:

[اجتمع الأراخنة بكنيسة القديس أبو سرجه بقصر الشمع ... ثم قالوا إن مقاره

---

(٤) كتاب *تاريخ البطاركة*، المجلد ٣، الجزء ١ صفحة٩.

(٥) الكهولية في اللغة هى خريف العمر ومتوسطه، يتراوح بين ٥٠ – ٦٠ سنه حسب قواميس اللغة.

(٦) القس منسّى يوحنا، *تاريخ الكنيسة القبطية*، ص٤٦

(٧) ورقة ١٨٥ظ، ١٨٦ ج من مخطوطة المتحف القبطي، كتاب *تاريخ البطاركة*٣:١،ص٢٠١

كهل[٨]، محجاج، جيد الكلام ضابط بقوانين الرهبنة، وإن يؤانس الراهب شاب، جيد الكهنوت، صبيح الوجه، فصيح المنطق، **فرغبوا جميعهم في مقاره لأجل شيخوخته وحنكته، ونادوا باسمه بفم واحد]**.

والتقليد يشير بأن يكون مقياس الاختيار حين يوجد اثنان متكافئان في الشروط القانونية [فليقدَّم أكبرهما عمراً]، ولم يُشر التقليد القانوني الكنسي إلى استخدام ما يُسمَّى بـ "القرعة الهيكلية"[٩] إلا في حالة التكافؤ التام والمساواة التامة في العمر والكفاءة وعدد أصوات الناخبين.

لذلك فلابد أن يكون شرطاً أساسياً في اختيار المرشح للبابوية، أن لا يقل عمره عن ٥٠ عاماً - بل ليت لا يقل العمر عن ٥٥ عاماً، بل ويمكن أن يتعداه. ذلك لأن نقاوة القلب وحنكة التجربة ورجولة الشخصية ورزانة التفكير الواجبة في البابا البطريرك المسمَّى أب الآباء تتطلب الأب الشيخ الذى يكون قد [**غربت عنه غرة الشباب وحِدَّته، وتميز بسن الكبر وخبرته]** - (كما يقول تاريخ البطاركة[١٠]).

٢.شرط مدة الرهبنة ومعناه:

إن كانت اللوائح تضع مدة الرهبنة أحد شروط المرشح للبابوية، فإن هذا يجب أن يعنى أن يكون المرشح قد قضى هذه المدة في الرهبنة فعلاً وليس بمجرد أنه حمل اسم الرهبنة دون فعلها. وما هو فعل الرهبنة ؟

من قول مار اسحق:

---

(٨) "الكهل" في اللغة هو من تراوح عمره ما بين الخمسين إلى الستين، ويسمى متوسط العمر، والكهولة هي خريف العمر وأوسطه.

(٩) القرعة الهيكلية عادة دخيلة على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية دخلت خلسة في القرن الحادي عشر بإيعاز من وزير غير مسيحي. (راجع هامش صفحة ٢٦ في كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"* للمؤلف، وقد رفضها الأقباط وقالوا عنها إنها "عادة إفرنجية" (كتاب *تاريخ البطاركة* المجلد ٤، جزء ١، ص ٢و٣)

(١٠) *تاريخ البطاركة* المجلد الأول، جزء ١، ص١٢

[الراهب هو إنسان قد ترك العالم بالكلية، وكذلك بلده وأقاربه، وانتقل إلى الأديرة أو البراري، ليجلس في الهدوء، ويعمل بيديه، ويقيت نفسه، ويعبد الله ليلاً ونهاراً.

وكل راهب لا يمارس كل ذلك في ذاته، فهو لا يزال في رتبة ومنزلة العلمانيين. طوبى للذين يحفظون ويعملون. **لا تفتخر بالاسم بل اجتهد في الأعمال.**] –

كتاب بستان الرهبان المطبوع، جزء ١، ص٤٠

ومن قول القديس يوحنا السلمي في كتابه "سلم السماء":

[تنحصر السيرة الرهبانية كلها في مناهج ثلاثة وهى:

الاعتزال في جهاد منفرد،

أو الإخلاد إلى السكون برفقة شخص أو شخصين آخرين .

أو الإقامة بصبر في دير ذي معيشة مشتركة]

كتاب السلم الإلهي، منشورات النور – لبنان، ١٩٨٠، ص٣١

لذلك، فإنه يجب القول ، بوجوب اشتراط لا مدة الرهبنة فقط، بل **مع المداومة والمثابرة على حياة الرهبنة داخل الدير تحت طاعة الأب أو الرئيس أطول مدة ممكنة (١٥ أو ٢٠ سنة)**. فالحياة داخل أسوار الدير هى الضمان الذى يمكن أن يطمئن الباحثين عن المرشح الكفء لمنصب البابوية، إذ يكون قد اقتنى الحياة الفاضلة والعلم الوفير وحنكة التجربة ما يصلح لهذه الرتبة المقدسة. فإن مجرد حمل اسم الرهبنة دون فعلها لا يضمن هذه الفضائل. فكم من الذين يحملون اسم "راهب" وهم لم يمكثوا في أديرتهم إلا مدة قليلة، شهوراً أو سنين تُعد على أصابع اليد الواحدة، ثم خرجوا إما انتداباً لخدمة في المدينة أو لسبب آخر أبعدهم عن حياة الرهبنة، وبالتالي لا يجوز

ادعاؤهم أنهم يحوزون مدة رهبنة إلا إذا لبثوا إلى أديرتهم وأكملوا المدة فيها.

فالرهبنة هى حياة داخل الدير، أما خارجه فلا يمكن أن يجني ثمار الرهبنة من ترك الحياة فيه. إن الظن بأن العيش في المدن ووسط الناس يمكن أن يعطى المرشح مقومات الحكمة وحسن التدبير ما يصلح لهذا المنصب الخطير هو ظن خاطئ. فإن الحكمة الروحية وحسن التدبير والاستنارة العقلية اللازمة لهذا المنصب الهام صفات للنفس يقتنيها الإنسان نتيجة سكون النفس وطهارة السريرة ونقاوة القلب وكثرة تحديق العقل في الإلهيات والروحيات، كما علمنا الآباء، وليس بالاستغراق في الحياة في المدينة. وهذه الفضائل لا يمكن نوالها بتمامها وسط ضجيج المدن وتشويشات الحياة المدنية وصخب المنازعات والمجادلات والتحزبات التي يستغرق فيها من يعيشون وسط العالم، حتى خدام الكنيسة. (لذلك، فإن حياة التأمل لازمة وعلى الأخص لخدام الله الذين يخدمون في المدينة، وهذه الحياة لابد أن يسندها فترات خلوة كثيرة وطويلة حتى يمكن للخادم أن يتخلص ولو إلى لحظات من طوفان بحر العالم ويقتنى الحكمة التي من فوق).

٣. الخلو من موانع الترشيح لمنصب البابوية:

إن أهم مانع وأخطره هو أن يتقدم مرشح ليُرسم أسقفاً على مدينة الإسكندرية، **ويكون قد سبق أن وُضعت عليه الأيادي الأسقفية**. وكما قرأنا في القانون ٤٨ من قوانين الرسل علي يد كلمنضس: [**لأجل من يُقسم دفعتين- إذا نال أسقف أو قسيس أو شماس قسمتين فليُقطع هو والذي قسمه**].

وحتى **ولو حُذفت الصلوات المختصة بوضع الأيادي أثناء الرسامة** فإن هذا الحذف يصير **مخالفة أخطر** لأنه يُعتبر تلاعباً بكتب التقليد الكنسي المختصة بالصلوات الليتورجية المقدسة وتُعرِّض مُرتكبها والمُشارك في ارتكابها إلى أشد العقوبات الكنسية، كما **ويُحرم الشخص المرسوم هكذا من النعم والمواهب** التي كان ينبغي أن تحل على

رأسه ليكون بابا وبطريرك الكرازة المرقسية بسبب تلاوة هذه الصلوات، لأن الصلوات الليتورجية ذات فاعلية وأثر حقيقي، فإذا اختُزلت ضاع الأثر المترتب على هذه الصلوات، وفي هذه الحالة سيكون المرشَّح محروماً من كافة النعم والمواهب والسلطان التي من الروح القدس واللازمة لخدمته. ذلك لأنه رفض مشورة الحق الذي قرره القانون الكنسي، ولأنه رغب أن يكون أسقفاً مرتين مفضِّلاً الخدمة الثانية على الأولى (لأي سبب كان). ولا يفضل الإنسان خدمة غير التي قُسم عليها أولاً من الله (راجع معنى "القسمة" في رسامة الأسقف في كتابنا السابق: ***"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"***، ص ٨٢-٨٤) ، إلا من أجل منفعة أو شهوة ذاتية. فكيف يؤدي خدمته هكذا بدون تأييد الروح القدس ؟

ولخطورة هذه المخالفة صدرت التحريمات والحرومات الواحدة تلو الأخرى من المجامع المسكونية لمن يُنقل إلى إيبارشية خالية وهو سبق رسامته أسقفاً. وتلتها المجامع المكانية لتؤكد نفس التحريم[١١].

وبسبب شيوع المحاولات في السنوات الأخيرة لتبرير وتمرير "رسامة!!" أسقف سابق رسامته، ليكون أسقفاً على مدينة الكرسي الرسولي،

لذلك نطالب بأن يُنص صراحة في أي تشريع على أن:

[يُمنع من الترشيح أيٌّ من سبق أن وُضعت عليه الأيادي الأسقفية ليصير أسقفاً. ويُسمح فقط لمن لا تزيد رتبته عن درجة "إيغومانس" أن يتقدم لهذه الرتبة الأسقفية المقدسة.].

(١١) القانون رقم ١٥ من مجمع نيقية المسكوني (سنة ٣٢٥م.) ٣٦،١٤ قوانين الرسل، ٢٢،٢١ مجمع أنطاكية بالإضافة إلى قرار المجمع المسكوني الثاني المنعقد بالقسطنطينية سنه ٣٨١ م. بإلغاء انتقال القديس غريغوريوس أسقف سازيما إلى الكرسي الرسولي القسطنطينية ورسامة بطريرك جديد للقسطنطينية. وراجع كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"*، من صفحة ١٩١ -١٩٤.

وذلك حتى لا تسقط الكنيسة في فخ الحكمة البشرية التي تفضل مكاناً على مكان أو خدمة على خدمة أو تعتمد على ذراع الحكمة العالمية التي ليست من الروح (راجع رسالة كورنثوس الأولى) حسب مقاييس العالم الساقط من النعمة الذي يرى الرئاسة حجماً وقدرة وليس بذلاً وقدوة.

الفصل الرابع

الخطوط العريضة للائحة جديدة لانتخاب البابا البطريرك

الظروف السيئة للائحة انتخاب البطريرك عام ١٩٢٨ :

حينما نتكلم عن لائحة انتخاب البابا البطريرك، فإننا نتذكر في الحال الظروف السيئة التي أحاطت بصدور أول لائحة لانتخاب البطريرك عام ١٩٢٨، والتي تضمنت كسراً فاضحاً للتقليد الذى التزمت به الكنيسة القبطية الأرثوذكسية منذ عشرين قرناً. لقد أتى ذلك الكسر الفاضح والجرح الأليم في جسم الأمة ليكون أداة ووسيلة لارتقاء مطران البحيرة آنذاك (الأنبا يؤانس) إلى الكرسي البطريركى، وأشيع في ذلك الوقت أن ذلك كان بناء على رغبة ملك ذلك الزمان (الملك فؤاد الأول). لكن الكنيسة كلها- إكليروساً وشعباً - ارتجت بسبب هذا الكسر الفاضح للتقليد الذى سارت عليه الكنيسة عشرين قرناً، والذي لم تستطع قبوله، وارتفعت أصوات الاحتجاج على الخطأ وصدرت الكتب والمقالات في المجلات تشجب هذا الوضع الشاذ. وفى كل مرة أثير هذا الموضوع، أي ترشيح المطارنة والأساقفة، كانت الأصوات ترتفع عالية محتجة، إلى أن جاءت لائحة الانتخاب المعدلة والتي أُجرى على أساسها **انتخاب الإيغومانس مينا المتوحد ليصير البابا المتنيح كيرلس السادس سنة ١٩٥٩**، حيث قرر المجمع المقدس لمطارنة وأساقفة الكنيسة عدم ترشيح أي أحد منهم، فاستبشر الأقباط خيراً، وكانت أيام البابا كيرلس السادس أياماً سلامية مباركة على الأقباط والوطن جميعاً.

وقد رافق هذا الكسر الأول للتقليد الكنسى (عام ١٩٢٨)، كسر آخر يقع تحت طائلة الحرمان الكنسى حينما وُضعت أيادي الأساقفة على رأس المطران المرشح

للبطريركية (مطران البحيرة) وهو قد سبق وضع أيادي الأسقفية عليه[1] قبل ذلك بأربعين عاماً، وهذا الحرم الكنسى أتى به القانون ٤٨ من قوانين الرسل (على يد كلمنضس) الذى يحرم كل من تمت قسمته وتشرطن (أي وُضعت عليه الأيادي) مرتين. مما أثار استغراب الحاضرين لصلوات الرسامة من الأجانب واستهجان كل العارفين بالقوانين الكنسية من الأقباط.

ولما تكررت بعد ذلك مخالفة تقديم أسقف "ليُرسم" أسقفاً على مدينة الإسكندرية العظمى ليكون بابا الكرازة المرقسية، استدرك المنظمون لعملية الرسامة المخالفة السابقة، وأتوا بالمخالفة الأخطر وهى حذف صلوات وطقوس وضع أيادي الأساقفة، وسموا هذا الحفل "حفل تنصيب"، أي أنهم حذفوا طقوس الرسامة والقسمة ووضع أيادي الأسقفية، وهكذا ألغوا الرسامة. فوقعوا في مخالفة ثالثة شنيعة: وهى العبث بالصلوات الليتورجية الطقسية وتشويهها. ولكن أهل العلم والمعرفة والخبرة في الكنيسة شجبوا هذه الممارسة ولم يكفُّوا عن التنديد بها، والمطالبة بالعودة إلى ناموس وشريعة الله.

لذلك، ونحن نقدم هنا الخطوط العريضة للائحة نموذجية لانتخاب بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، فنحن نطالب لا بتعديل لوائح قديمة مبنية على أسس واهية وتقاليد غير أرثوذكسية، وأتت في ظروف وملابسات مشبوهة، لكننا نريد لائحة انتخاب تقليدية قبطية أرثوذكسية كنسية مستوحاة من قوانين وتقاليد الكنيسة التليدة، ومبنية على الممارسات الصحيحة لهذه القوانين على مدى عشرين قرناً (مثل نموذج الممارسات التي نشرناها في الفصل السابق)، والتي هي مسجلة وموثقة في كتب التقليد الكنسى وسجلات التاريخ الكنسى.

---

(١) دكتور منير شكري، *قراءات في تاريخ الكنيسة المصرية*، رسالة مار مينا رقم ١٤، الإسكندرية ١٩٣، ص ٦٢٢

الفصل الخامس

أسس التقاليد المختصة

باختيار وقسمة ورسامة بابا الإسكندرية

والتي يجب أن تُراعى في أية انتخابات أو لائحة انتخابات

الأساس الأول: أن لا يسعى أحد ويطلب هذه الوظيفة لنفسه أو بنفسه.

إن الخدمة الكهنوتية هي فرز واختيار ودعوة من الله، ولا ينالها الإنسان بسعاية من نفسه ولا بإحساس شخصي بكفاءته وقدراته الخاصة. ولكن ينبغي أن تكون الدعوة ظاهرة وواضحة أنها من الله فعلاً بحسب القول الرسولي: «ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هارون أيضاً» (عب٥:٤).

لذلك كان هروب المدعوين من هذه المناصب نابعاً من الإحساس بعدم الكفاءة من جهة، ومن جهة أخرى من رغبتهم في التحقق مما إذا كانت هذه هي مشيئة الله فعلاً أم لا خوفاً من أن يقبلوا خدمة بغير دعوة واضحة من الله. ومن هنا أصبح أمراً تقليدياً أن يبحث المسئولون عن المرشحين الأكفاء في الصوامع والأديرة وبين الحبساء والمتوحدين، وأحياناً من بين الأتقياء والخدام الأمناء في المدينة، ويأتون بمن وقع عليه اختيار الله مقيداً بالسلاسل لئلا يهرب منهم داخل "البرية الجوانية"، أي يختفي عن الأنظار.

وتشهد سير آبائنا البطاركة القديسين بذلك حتى أن ذلك أصبح معروفاً لدى رجال

الحكم الذى ساد عليهم الاعتقاد بأن البطريرك الصالح هو الذى يطلبه الشعب ويسعون وراءه، وليس الذى يطلب هو هذه الوظيفة ويسعى إليها.

ومن أشهر الحوادث في هذا الصدد ما حدث في اختيار البابا يوحنا (البطريرك ال٧٢)[١]، إذ تقدم أحد الرهبان وكان يسعى جهده لدى الحكام "ليفوز" بهذا المنصب وفى المجلس الذى عقده الحكام نادى الأساقفة والكهنة وجاهروا أمام رجال الحكم قائلين:

[لن يكون للأقباط بطريرك إلا من طلبوه ورغبوا فيه، ولا يكون هو الطالب ولا الراغب، وهذا هو القانون الذى سار عليه الشعب القبطي منذ اعتناقه المسيحية وإلى وقتنا هذا (منتصف القرن الثاني عشر)]

وأيضاً:

[فإذا اتفقوا على الرجل الذى يريدون أن يقدموه عليهم بكامل أوصاف القانون والشريعة من القداسة إلى الدين والعلم والصلاح والعفاف والرحمة، أخذوه كرهاً من غير اختياره وقيدوه بالقيد الحديد لئلا يهرب منهم إلى البرية الجوانية (عمق الصحراء) . وإن كان الكل من الرهبان هم آباؤنا واخوتنا، ولكن لا يوجد من الألف إلا واحد يكون مستحقاً ... لمثل هذا الشخص يطلب الأقباط أن يكون هذا مقدماً عليهم ... **ولا يجوز لهم أن يقدموا عليهم من رغب في هذا المنصب ولا من طلب السلطان...**][٢]

أما الذى سعى إلى البطريركية فقد قيل عنه:

[... واجتهد يؤنس ابن كدران في طلب البطريركية وساعده المذكورين (٣

---

(١) كتاب *تاريخ البطاركة*، مجلد ٣ ، جزء ١ ص ٤٠، ٤١

(٢) نفس المرجع

أساقفة وبعض الرهبان) فلم يُرضي فعله الرب، **ولأجل ذلك لم يرغب فيه ولا رجل واحد من الشعب بأسره...]**[٣]

ويضيف *كتاب تاريخ البطاركة* أن هذا الراهب وبالرغم من أنه كان: [طويل القامة، جميل الوجه، حسن الهيئة، طيب الخلُق، حلو الكلام، عالماً باللغة القبطية وكتب البيعة، ماهراً في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، إلا أن الشيطان، نجانا الله وإياكم من تجاربه وحيله ومصايده وكفى جميع بنى المعمودية شر ضرباته التي ضربه بهذه الضربة الرديئة وهى **طلب الرياسة للكبرياء ... وكيف يدبر شعب الله من لا يعرف أن يدبر نفسه]**[٤]

لذلك نرى أنه يجب أن تتغير آلية الترشيح والتزكية والتقديم كما أتت بها اللوائح القديمة التي شابهت إلى حد كبير لوائح انتخاب المهنيين والنواب السياسيين، والتي سُمح فيها لمن يسعى إلى هذا المنصب أن ينال بُغيته. فإن كتب التاريخ الكنسي تشرح كيف كان المسئولون يبحثون عن المرشح الصالح للبطريركية بهذا الوصف الممتع[٥]:

[١. اجتمع الأساقفة في بيعة القديس أبو مقار بديره ومكثوا أياماً يصلون ويتذاكرون من في تلك البرية من السواح والقديسين ومن في الصوامع من الحبيسين، ويرجحون الرأي فيمن يصلح لهذه الرياسة والرتبة الشريفة الكهنوتية والخلافة الرسولية المرقسية (لاحظ أن الأساقفة يبحثون في الأديرة عن المرشَّحين للبابوبة، أي أن ترشيح أنفسهم أمر غير وارد نهائياً. أي أن موقفهم كان البحث وإعطاء المشورة وتزكية المستحقين للكرسي البابوي أي أنهم حراس القانون ومنفِّذوه. فكيف يزكون أنفسهم ويرشحون أنفسهم؟ هذا الأمر لم

(٣) نفس المرجع، ص ٣٧

(٤) المرجع السابق

(٥) *تاريخ البطاركة* مجلد ٣، جزء ١ص٢٠١

يكن وارداً على مدى العشرين قرناً الماضية ولم يكن موضع تساؤل أو مراجعة من آباء الكنيسة القبطية الأرثوذكسية).

٢. فاتفق رأيهم على تقدمة أحد رجلين أحدهما القديس مقاره بدير أبو مقار ... والشماس يؤنس ابن سنهوت، واختلفوا فيمن يقدمونه منهما.

٣. فاستقر رأيهم أن يكتبوا للأراخنة بمصر، يذكرون فيه طول مدة إقامتهم بوادي هبيب وأنهم لم يجدوا من يصلح للتقدمة إلا أحد المذكورين. وقد استقر بيننا رد الأمر إليكم فيهما. فمَنْ اخترتموه ورضيتم به قدّمناه. (لاحظ تقديم الأساقفة مشورتهم لأراخنة الشعب وترك الرأي الأخير لهم في الاختيار).

٤. فلما وصل الكتاب، اجتمع الأراخنة بكنيسة القديس أبو سرجه بقصر الشمع، وقرءوا كتاب الأساقفة.

٥. ثم قالوا: **إن مقاره كهل**، محجاج (ذو علم) جيد الكلام، ضابط لقوانين الرهبنة، وإن **يؤنس الراهب شاب**، جيد الكهنوت، صبيح الوجه، فصيح المنطق. **فرغبوا جميعهم في مقاره لأجل شيخوخته وحنكته** ونادوا باسمه كفم واحد وكتبوا الجواب بذلك.

٦. فلما وصل الكتاب إلى الآباء الأساقفة والكهنة المقيمين بالدير، اجتمعوا كلهم لقراءته واتفقوا أجمعين على الرضا بما تضمنه.

٧. وقام بعض الأساقفة والكهنة والرهبان حيث مقاره المذكور وقبضوا عليه وأتوا به إلى المجمع.

٨. فتضور وامتنع واستحلفهم أن يعفوه. وقال لهم: أنا ابن ثانية (أي من أُمٍّ هي زوجة ثانية لوالده ـ وهو بهذا يحاول أن يثنيهم عن اختياره)، ولا علم لي، ولا

كهنوت (كان راهباً لم ينل درجة كهنوتية)، ولا أصلح لما تريدون مني. فلم يلتفتوا إلى قوله وقيدوه وألبسوه الثوب ووسموه]

لذلك فنحن نرى أن الذين يُناط بهم البحث عن المرشحين الصالحين لابد أن ينتقلوا بأنفسهم إلى الأديرة ويتشاوروا مع رؤسائها وآبائها الروحيين ويلتقوا مع من يرون قد يصلحون لهذا المنصب الخطير. على أن يكون سَعْي هؤلاء المسئولين متحرراً من أية تأثيرات أو انحصارات أو أحكام مسبقة تمنعهم من حيادية البحث.

على أن يُستبعد نهائياً كل من سبق ووُضعت عليه الأيادي الأسقفية ورُسم أسقفاً (بأي نوع وتحت أي وضع أو اسم)، كما يُستبعد كل من يسعى تلميحاً أو تصريحاً لنوال هذا المنصب. إن مهمة المسئولين عن ترشيح وانتخاب البابا البطريرك أن يهيئوا كل الظروف لإظهار وتحقيق مشيئة الله وعدم السماح لمشيئات البشر بالاستعلاء فوق مشيئة الله.

وأن تتم هذه العملية السابقة من مجلس مشترك يضم مجمع الأساقفة والمجلس الملى معاً بكامل هيئتهما والذي ينعقد بصفة دائمة لحين انتخاب البابا الجديد، ويكون أعضاء المجلسين في حركة دائبة مستمرة، سواء في زيارات للأديرة، أو لقاء مع المقترح ترشيحهم، أو التشاور معاً، إلى آخر هذه المجهودات المباركة، التي إن خلصت النيات وصفت القلوب وتوحدت الغايات والأغراض، وهى استطلاع مشيئة الله لا غير، فلا شك سيكون نتيجة ذلك استجلاب رضا الله واستعلان مشيئته، وسيعم السلام والصلاح على الجميع، وتحل البركة على شعب الله والوطن كله ويرتفع غضبه عنهم.

الأساس الثاني: أن لا يكون قد وُضعت عليه اليد من قبل كأسقف:

ونعود ونكرر هذا التحريم حتى لا يوضع المنصب البابوي تحت قانون التحريم والمخالفة.

وقد سبق أن أوفينا هذا الموضوع في كتاب "*التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة*" للمؤلف، ص ١٩١-١٩٤، وهو مطلب شعبي كنسي قانوني لم يتوقف ولن يتوقف في كل مرة حدث أو يحدث فيها تعدِّى القانون الكنسي في انتخاب البابا الإسكندري:

[لأجل من يُقسم دفعتين– إذا نال أسقف أو قسيس أو شماس قسمتين فليُقطع هو والذي قسمه]

الأساس الثالث: سن المرشح

• نعتقد أنه بحسب ما أشرنا إليه في الفصل الثاني من هذا البحث، فإنه يجب إعادة التقليد الكنسي الكريم بعدم رسامة أسقف يقل عمره عن ٥٠ عاماً. أما بالنسبة للبابا الإسكندري:

فإنه يجب ليس فقط أن لا يكون عمره أقل من ٥٠ عاماً بحسب القانون الرسولي، بل ومن الأفضل ألا يقل عمره عن ٥٥ سنة حتى نضمن لهذا المنصب كرامته وهيبته، وللكنيسة هدوءها وتوازنها مع رأسها، ولأعضاء الشعب سلامهم في رعاية أب شيخ وقور يضم ويجمع ويصالح ويمنح البركة ويمنع الشقاق والخصام والعراك، ويكون في النهاية هو الحضن المفتوح والصوت المسموع والأذن الصاغية لكل أبناء الكنيسة بلا استثناء أو تمييز.

حول ما يُقال عن استثناءات السن:

ليس كل استثناء من شرط السن حدث في التاريخ يمكن أنِ يتحول إلى قانون أو يُتخذ حجة لتبرير وتمرير اختيار من هم دون السن القانونية (٥٠ عاماً أو أكثر)، وإلا لانتفى القانون. إن تطبيق الاستثناء – أي استثناء – لابد أن يتوفر فيه الشروط المنطقية

الآتية:

١.أن لا يوجد في الكنيسة كلها برهبانها وشيوخها من هو كفء لهذا المنصب بالشروط المنصوص عليها في القوانين.

٢.أن يكون المرشح المستثنى من شروط القانون فذاً وذا كفاءة وعبقرية نادرة لم يبلغها غيره من شيوخ وعلماء عصره ما يجعله جديراً بالاستثناء من شروط القانون. وتكون فذاذته وعبقريته لازمتين وضروريتين للكنيسة لإنقاذها من خطر داهم أو شر مستطير يحيط بها، كما في حالة القديس أثناسيوس الرسولي في مواجهة الأريوسية في عصره، أو القديس كيرلس عمود الدين (في مواجهة النسطورية والأوطاخية في عصره). وقد خدم هذان الأبوان قبل رسامتهما كل واحد مع البابا الأسبق: كشماس (أثناسيوس مع البابا ألكسندروس) أو كقس (كيرلس مع البابا ثاوفيلس)، وكانت خدمتهما معروفة للشعب وتحتاج إليها الكنيسة.

٣.أن لا يكون هذا المرشح المستثني من شرط السن ذا موانع أخرى تمنعه من التقدم لهذا المنصب سواء من جهة خُلقُه أو سابق سلوكه أو قلة علمه ... الخ

٤.أن يكون مشهوداً لفذاذته وعبقريته النادرة من جميع الشعب وقد نال إجماعاً (وليس أغلبية) على تقديمه وهو في سن أدنى من المستوى المسموح به، وللظروف الاستثنائية التي يدّعي مقدّموه أنها تمر بالكنيسة، وأنه هو دون غيره الذى سينقذها منها.

الأساس الرابع: شرط الرهبنة وإمكانية الترشيح من غير الرهبان:

من المعروف تاريخياً أن كثيرين من باباوات الإسكندرية لم يكونوا من الرهبان. وهذا يعنى أنه - **نظرياً - ليس هناك ما يمنع من ترشيح من هو من غير الرهبان بشرط أن** يكون متبتلاً. لكننا ونحن نعد تشريعاً، لابد أن نراعى إمكانية التطبيق وجدوى ممارسة

البحث بين غير الرهبان دون أن يكونوا منتسبين إلى شرائح محددة أو بيوت أو دور أو أخويات تجمعهم، تكون ضامناً لكفاءتهم وحسن تأهيلهم.

ولذلك فإننا نوصى بالاهتمام بإنشاء بيوت للمكرسين، سواء من الإكليروس البتولي أو الشمامسة البتوليين، يعيشون فيها حياة الشركة التي تربى فيهم روح المشاركة والتي تكون هي التمهيد والمعهد لتأهيلهم لخدمة الأسقفية أو البابوية.

ولكن إلى أن توجد هذه البيوت، فإننا نعتقد أن البحث عن المرشحين الأكفاء سيكون أجدى وأسهل داخل الأديرة – القديمة على الأخص – حيث يوجد شيوخ قضوا جل حياتهم في التعبد لله والدراسة والعمل.

وإن شرط مدة الرهبنة ينبغي أن يُطبق على من عاش مدة الرهبنة داخل الدير (لا من حمل اسم الرهبنة فقط)، حتى نضمن فعالية هذا الشرط. إذ ما فائدة مدة رهبنة لم يقضى منها المرشح داخل أسوار الدير إلا شهوراً أو سنوات تُعد على أصابع اليد الواحدة. إن تطبيق شرط مدة الرهبنة بمفهومه الواقعي سيضمن أن يكون الراهب قد جنى من الرهبنة ثمارها وفضائلها على أكمل وجه ممكن، وليس فقط حمل اسمها.

إن اسم الرهبنة ليس قلادة للتباهي والافتخار والاحتفالات، بل هي موضع الجهاد والتعب والتمرُّس في حياة الوحدة والنسك.

كما نقترح أن لا تقل مدة الرهبنة عن ٢٠ سنة لتتناسب مع حد السن القانوني وهو ألا يقل عن ٥٠ أو ٥٥ عاماً

الأساس الخامس: المناخ الذي تجرى فيه انتخابات البابا

إذا روعيت شروط المرشحين كما ذُكر سابقاً، فلا شك أن المناخ الذي سيسود الانتخابات سيكون لائقاً بهيبة المنصب وقداسة الكنيسة والكرامة الروحية لإكليروس وشعب الكنيسة. لهذا فلابد أن توضع في اللائحة الجديدة الضوابط التي تحفظ وتصون هذا المناخ من أن تعكره أية محاولة للزج بروح العالم في عملية "اصطفاء" بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية. ونقترح بعض الضوابط كما يلي:

١ - لابد أن تتم الترشيحات بواسطة أعضاء المجمع المقدس والمجلس الملي وبالتشاور مع رؤساء الأديرة وآبائها وشيوخها.

٢ - لا تُترك عمليات التزكية لمهاترات ومحاولات الأفراد أو التكتلات أو المجموعات، بل لابد من الإنصات إلى وتحسس ضمير الشعب وتوجُّهات المفكرين والمثقفين وكافة المهتمين بالشئون الكنسية والعارفين بمبادئها وقوانينها. كما لابد أن تكون لجنة الانتخابات ذات تفاعل حي وفى اتصال مستمر بقاعدة الشعب ومجالسه الكنسية. وأن تكون منزَّهة عن أية مشاعر مسبقة ضد أو مع أحد المرشحين وعلى الأخص في جو التشويش على بعض الأشخاص والجماعات السائد الآن في الكنيسة.

٣ - لابد من منع أية نشرات دعائية أو هجومية من "أنصار" هذا المرشح أو ذاك. وبالطبع إذا تم تنفيذ البند الثاني، وإذا امتنع ترشيح من سبق رسامتهم أساقفة، أو من اتخذوا من المدينة إقامة ولو مؤقتة لو كانوا رهباناً، فنعتقد أنه لن يجد أحد مكاناً أو تبريراً لمثل هذه النشرات، ويسرى هذا على منع استخدام الصحافة السياسية للإثارة أو للهجوم أو للتشويش أو الدعاية لمرشح دون آخر كما يمنع نهائياً استخدام منابر الكنائس للترويج لأحد المرشحين أو لمضادة أي مرشح من المرشحين. وكل هذا ضماناً لحفظ كرامة الكنيسة في شخص شيوخها وآبائها.

٤ - إذا وُجد اعتراض على أحد المرشحين فليُقدَّم بصفة خاصة وسرية للجنة

الانتخابات، ويُحتَفظ بسرية الاعتراض على مثال سرية الاعتراف، إلى أن تبت فيه اللجنة بكل إنصاف وحياد وموضوعية.

٥ - أن يسود المناخ العام في الكنيسة أولاً وقبل أي إجراء روح الصلاة والصوم وتسليم المشيئة كاملة لله، حتى يعلن الله قصده وتدبيره، ويرفع غضبه عن شعبه، وتكف الويلات والتجارب عن كنيسته، وتعود وتسود الأيام السلامية والأزمنة الهادئة على شعب الله. فليقرر المجمع المقدس أيام صلاة وصوم هي التي يكونون فيها مجتمعين في الأديرة للبحث عن المرشحين، وترفع القداسات في الكنائس خصيصاً لإرشاد الآباء الأساقفة والأراخنة إلى من يختاره الله راعياً صالحاً يرعى شعبه بالطهارة والعدل.

ولكن من ينتخب البابا البطريرك؟

إن كانت مهمة كل من المجمع المقدس ومجلس الأراخنة (المجلس الملى) مجتمعين تقوم باختيار وترشيح الأكفاء لمنصب البابا البطريرك، فإن هذه الترشيحات يجب أن تُطرح على المستوى الشعبى الكنسى للاقتراع، تحقيقاً لطقس اختيار الشعب لراعيه.

إن الإجابة على هذا السؤال كان يمكن أن يكون سهلاً لو كان هناك ثمة تنظيم كنسي شعبي قائم فعلاً في الكنيسة. فكان يمكن أن يُقال أن الناخبين يكونون هم الممثلين لشعب كل كنيسة باعتبارهم سبق أن انتُخبوا من شعب كنائسهم ليكوّنوا مجالس الكنائس. ولكن الحاصل الآن هو أن مجالس الكنائس تُعيَّن ولا تُنتخَب. لذلك نعتقد أنه يمكن، في حالة خلو الكرسي البطريركى ولحين إصدار قانون تنظيم انتخاب مجالس الكنائس، تحديد الناخبين وطريقة الانتخاب كالآتي:

١ - أن يتحدد الناخب المسيحي بأنه الحائز على العضوية الكنسية (حسب الاقتراح بذلك في الفصل التالي) بالإضافة إلى الفئات الأخرى مثل رجال الإكليروس والرهبان الخ.

٢ – أن تُعقد دوائر الانتخاب في كنيسة من كنائس كل منطقة أو إيبارشية أو مدينة حسب عدد الناخبين فيها.

٣ – أن يشرف على هذه الانتخابات مستشارون من رجال القضاء من الأقباط، على أن يكون فتح صناديق الانتخاب في كل دائرة وفرزها وفحصها بمعرفة هؤلاء المستشارين.

٤ – أن تصدر لجنة الانتخاب العامة نشرة تحوى تعريفاً وافياً أميناً للمرشحين تحوى فكرة مختصرة عن أعمارهم ومؤهلاتهم العلمية والدينية وشروطهم التي ترشحوا على أساسها (العمر ومدة الإقامة المستمرة المتصلة داخل الدير) وأعمالهم وخدمتهم السابقة في الكنيسة قبل الرهبنة، حتى يمكن للناخب أن يكون على دراية بكافة المرشحين وصفاتهم لكي يكون اختياره على أساس معرفة صحيحة. على أن تستقى هذه المعلومات من المرشح نفسه أو ممن يعرفونه، ضماناً لصحتها وعدم الاستناد على أية نشرات دعائية أخرى.

الفصل السادس

الناخبون في لائحة انتخاب البابا

نقدم هنا التصوُّر الذي قدمته مقالات «*البطريرك الذي نرجوه*» [1]، مع بعض التعديلات المناسبة:

يجب أن تشتمل اللائحة على ذكر النواحي الآتية:

(١) العضوية الكنسية (٢) الهيئة أو الجمعية التي تختار البابا (٣) المؤهلات التي يجب أن تتوفر في البابا (٤) طريقة الانتخاب.

(١) العضوية الكنسية: لما كانت الكنيسة مجتمعاً روحياً لا دولة، ولما كان البابا أباً روحياً للمسيحية، فلابد أن يكون الناخبون والمرشحون هم من هذا المجتمع الروحي، أي من المسيحيين الحقيقيين. وهذا لا يتأتى إلا إذا كانت هناك "عضوية كنسية" فيكون في كل إيبارشية سجل بأسماء "المسيحيين" أي القديسين الذين قبلوا البشارة بالملكوت فعاشوا كممثلين حقيقيين للمسيحية في حياتهم الخاصة، مواظبين على أعمالها الحية المثمرة وعلى العبادة الحقة ومواظبين على التناول من الأسرار المقدسة. ويشطب من هذه السجلات كل من يصر على الحياة المتنافية مع المسيحية وكل من يبتعد في إصرار عن الكنيسة وممارسة أسرارها. والمكتوبة أسماؤهم في هذه السجلات هم وحدهم رعية البابا ولهم وحدهم حق اختياره، فهم الذين يرشحون ويزكُّون.

---

(١) المقال الأول من سلسلة مقالات «*البطريرك الذي نرجوه*» نُشرت في مجلة مدارس الأحد عام ١٩٥٠، سبتمبر ١٩٥٠، ص ٥،٦

(٢) جماعة الناخبين: غير أنه من المستحيل استحالة مادية أن يشترك الألوف أو الملايين من المسيحيين صغاراً وكباراً في عملية الانتخاب اشتراكاً مباشراً، ولهذا تختار "الخلاصة" من بين المسيحيين لكي يمثلوا أعضاء الكنيسة فيقوموا بعملية انتخاب أو اختيار البابا بعد الاستماع إلى كل من ما يتقدم به أي واحد من الشعب من التزكيات أو الطعون.

(أ) الآباء المطارنة والأساقفة

(ب) عدد من الآباء القمامصة (تنص اللائحة على عددهم وطريقة اختيارهم من بين كهنة الكرازة المرقسية).

(ج) وكيل وأعضاء المجلس الملى العام ووكلاء المجالس الملية في الإيبارشيات.

(د) بعض أراخنة الشعب. وتنص اللائحة على عددهم وطريقة اختيارهم. وإنما المهم أن يكون اختيارهم أو امتيازهم غير راجع أساساً إلى نصاب مالي أو مؤهل مادي (كما هو الحال في اللائحة الخاطئة المعمول بها الآن). وإنما يُختارون لمؤهلات شخصية تنص عليها اللائحة كنشاطهم الاجتماعي وثقافتهم وسنهم ونحو ذلك، على أن يكون للسمو الروحي المكان الأول في اختيارهم. ويرأس جمعية الانتخاب القائم مقام البطريرك.

(٣) مؤهلات البابا: تنص اللائحة على الشروط التي يجب أن تتوافر فيمن يختار للبطريركية، على شرط أن تحوى جميع المؤهلات التي ذكرها الكتاب المقدس (١تي ٣: ١-٧ و تي ١: ٩) بنصها بنداً بنداً، وكذا خلاصة ما جاء بالقوانين الكنسية كما أشرنا إليها في الفصول السابقة.

(٤) طريقة الانتخاب: ا- تعلن أسماء أعضاء جمعية الانتخاب، ويعلن عن فتح باب الترشيحات، ويظل باب الترشيح مفتوحاً فترة معينة تنص عليها اللائحة.

ب - بعد قفل باب الترشيحات تجتمع جمعية الانتخاب *وتغربل* أسماء المرشحين غربلة

سريعة أولى. فتستبعد أسماء من توجد موانع ظاهرة تمنع ترشيحهم، مثل أسماء غير البتوليين، وأسماء الآباء المطارنة والأساقفة (أو كل من سبق أن وُضعت عليه أيادي الأسقفية تحت أي اسم أو لقب أو وضع)، وغيرهم ممن تمنع القوانين رسامتهم لأسقفية الإسكندرية (أي البطريركية). ثم تعلن أسماء باقي المرشحين على الشعب بالطرق التي تنص عليها اللائحة (كالنشر عن طريق الكنائس أو بالجرائد ونحو ذلك).

ج - يظل باب الطعون مفتوحاً مدة شهر، وتنص اللائحة على الطرق التي تُقدَّم بها الطعون لجمعية الانتخاب (سواء بالبريد أو بقيد الطعن في سجل خاص بمركز جمعية الانتخاب أو نحو ذلك). على أن يُراعى عدم إباحة طرح الطعون على المستوى العام مما يدخل تحت بند التشهير.

د - بعد قفل باب الطعن تعطى فرصة أخرى، ولتكن شهراً لأعضاء جمعية الانتخاب يتحرون فيها عن المرشحين، ويحققون في جميع الطعون المقدمة إليهم، حتى ولو كان الطعن مقدماً من غير المسيحيين (لأنه «يجب أن تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج») .

ه - بعد ذلك تجتمع جمعية الانتخاب (مرة أو أكثر) لغربلة أسماء المرشحين غربلة ثانية على ضوء المعلومات والتحريات التي تأكدوا منها وعلى ضوء مقارنة اسم المرشح بنصوص "مؤهلات البابا" بنداً بنداً. فمثلاً، المرشح الفلاني: هل هو «بلا لوم»؟ هل هو «صاح عاقل»؟ هل هو «محتشم»؟ هل هو «مضيف للغرباء»؟ هل هو «صالح للتعليم»؟ هل انتفت منه "حركات الطفولية" بالرغم مع بلوغه سن الكهولة؟ الخ. فإذا كان المرشح مستوفياً لجميع الشروط بقى اسمه في كشف المرشحين وإلا شُطب اسمه. فإن شطبت أسماء جميع المرشحين تأجل اختيار البابا سنة كاملة، وتعاد عملية الانتخاب بالطريقة نفسها في العام التالي. ومن الممكن أن يؤجل الانتخاب أي عدد من المرات (وهذا ما حدث فعلا في تاريخ الكنيسة) لأنه خير للكنيسة أن تظل بغير بطريرك من أن تُنكب

برجل غير أهل لهذا المنصب.

و - أما إذا بقى ولو اسم واحد في كشف المرشحين، قُدم صاحبه للرسامة.

ز - فإن بقى بكشف المرشحين أكثر من واحد جرى الانتخاب بينهم بالطريقة الآتية:

تعلن الكنيسة عن صوم مدة يوم يصومه الشعب كله، ويقام قداس خاص، وبعد أن يتناول أعضاء جمعية الانتخاب من الأسرار المقدسة يجتمعون والرب في وسطهم ثم يعرضون الأسماء القليلة المرشحة، فإن كان ظاهراً للجميع أن أحد المرشحين أكثر لياقة جداً من الباقين، بحيث اختير بالإجماع أو بشبه الإجماع قُدم للرسامة، وإلا فإن تساووا في كل شئ عملت بينهم قرعة هيكلية بحسب تقاليد الكنيسة.

وهكذا يُقدَّم للرسامة أصلح رجل في هدوء وتقوى وبحسب مشيئة الله دون لافتات تعلق على الشوارع أو مقالات مُغرضة في الصحف والمجلات السياسية، ودون تجريح وذم يقرأه ويسمعه حتى اخوتنا غير المسيحيين، ودون تشهير أو غش أو رشوة أو غير ذلك مما لم تعرفه الكنيسة الأولى.

الفصل السابع

مآثر بابوات الإسكندرية

في علاقتهم بالكنيسة والدولة والوطن

تزخر سير بابوات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بمآثر من حياتهم الطاهرة القدسية، وهذا يرجع أولاً إلى سابق حياتهم التي عاشوها قبل رسامتهم والتي تميزت عموماً بالطهارة الجسدية والنفسية (بتولية النفس والجسد كما وُصف البابا يوحنا الأربعون في عداد البطاركة)، ثم زهدهم في المال والجاه والكرامة الرئاسات، ثم محبتهم الشديدة لشعبهم الذي كانوا يعتبرونه كأمانة في عنقهم كأمانة العريس للعروس، ثم هيبتهم التي ارتسمت على وجوههم بسبب طول زمن الجهاد والنسك والصلاة ومعاناة الحروب الروحية، الأمر الذي جعل من قلة كلامهم قوة ومن صدق وحسن تدبيرهم بركة للكنيسة، ثم أمانتهم الشديدة حتى الموت للتعليم الأرثوذكسي والطقس الكنسي الأمر الذي حيَّر الأباطرة والولاة الذين عذّبوهم لكي يفرطوا في تعليم أو عقيدة مما تسلموه من الآباء، وقد كانوا على دراية ومعرفة عميقة بأسرار التعليم الآبائي والعقيدة الأرثوذكسية النقية من أي دغل أو تشويه الهراطقة والجهلة.

وفيما يلي نقدم عينات قليلة من هذه المآثر والقيم. والتي نرجو أن يفتش القارئ في تاريخ كنيسته عن المزيد منها ليتمتع بنفحات عبير سير آباء كنيسته.

١- بركة البابا لرجال الدولة حينما يكون قديساً

البابا يبارك قصر الخليفة:[١]

يذكر تاريخ البطاركة عن **الأنبا كيرلس الثاني** (١٠٧٨ - ١٠٩٢) ، أن بعض عقلاء المسلمين طلبوا إليه بعد رسامته أن يتوجه إلى قصر الخليفة ليباركه.

وكان كيرلس **راهباً حبيساً بصومعة سنجار**، وقد اختاره الأساقفة والشعب ، وقوبل انتخابه بالارتياح في جميع دوائر الحكومة (أيام الخليفة المستنصر).

وتوجه البابا يحيط به الأساقفة والأراخنة حاملين الشموع الموقدة والمباخر التي يتصاعد منها البخور الزكي ... ثم دخلوا إلي قاعة الاستقبال حيث كان الخليفة المستنصر وأمه وأخته في الانتظار . وقد حملت السيدتان زجاجات العطور وأخذتا ترشان الضيف الكبير وتعطران أرجاء القاعة . ثم قالتا: "تفضل باركنا وبارك قصرنا". فاستجاب رجاءهما علي الفور مما أفرحهما للغاية . ثم خرج البابا علي رأس موكبه في تجلة وإكبار. وقصد إلي دار بدر الجمالي الذي ما كاد يلمح الموكب البابوي آتياً نحوه حتي خفَّ لاستقباله بكل مظاهر الأبهة والإجلال. وتقدم إلي البابا مع أفراد أسرته راجياً منه أن يمنحهم بركاته... وكان والى القاهرة ووجوه الشعب حاضرين هذه الزيارة. فلما انتهت ، طلب بدر إلى الوالي أن يخرج في معية الأنبا كيرلس الثاني ليوصله إلي الدار البابوية وأن يلازمه وينفذ كل طلباته. فشكر البابا الاسكندري للوزير حسن وفادته، وانصرف إلي الكنيسة المعلقة التي كان سلفه قد اتخذها مقراً له بعد أن انتقل المقر البابوي من الاسكندرية إلى القاهرة.

البابا كيرلس السادس

مع الزعيم الخالد جمال عبد الناصر[٢]

قطبان عظيمان أحدهما زعيم سياسي والآخر أب روحي... التقي الاثنان علي طريق

---

(١) إيريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية* ، الكتاب الثالث ، ص ١١٠ ، ١١١

(٢) هذا الجزء منقول عن : *مذكراتي عن حياة البابا كيرلس السادس*، بقلم حنا يوسف عطا شقيق البابا كيرلس والقس رافائيل أفا مينا الشماس الخاص للبابا كيرلس، طبعة ثانية منقحة، ص ٨٢-٨٤.

واحد، فسارا وأيديهما متشابكة وإرادتهما ورغبتهما واحدة : إسعاد كل فرد من أبناء هذا الوطن. وكانت محبتهما لبعض وتقدير واحترام كل منهما للآخر مثار اعجاب حتى قالت "اذاعة صوت امريكا" يوم نياحة البابا: "لقد توفي الصديق الوفي لعبد الناصر" ، بدلاً من أن نقف عند الوصف، فلنقترب من الأحداث لنرى ما بينهما من حب ، وتفاهم ، كان لمصلحة البلاد.

جري أول لقاء بينهما عام ١٩٥٩ أذ قام البابا كيرلس السادس بزيارة الرئيس عبد الناصر، وتبادلا أحاديث ودية. ويومها قال البابا للرئيس "إننا لو أقمنا مصنعاً بملايين الجنيهات وألحقنا به الآلاف من العمال الذين لا وعي لهم ، ولا وازع ديني عندهم، فماذا نجني؟ انهم سيجهزون علي المصنع . ولكن يا سيادة الرئيس لو أقمنا مصنعاً بمائتي جنيه وألحقنا به عشرة عمال يتمتعون بالضمير الحي الطاهر، مخلصين لله والوطن، فإن إنتاج مثل هذا المصنع سيفوق بكثير إنتاج المصنع الأول الذي تكلف الكثير والكثير . لذلك يا سيادة الرئيس، إني بعون الله سأعمل علي تعليم أبنائي معرفة الله وحب الوطن ومعني الأخوّة الحقة ليشب أبناء الوطن وحدة قوية لديها الايمان بالله والحب للوطن". فأثني السيد الرئيس علي وطنية البابا، وحبه لبلاده، ودعا كل منهما للآخر بالتوفيق والنجاح.

في ٨ مايو ١٩٦٥ ، وكانت الزيارة الثانية للبابا كيرلس، وكان لقاء مثمراً له آثاره العظيمة. لقد ذهب الوفد المرافق للبابا ، وهو يحمل مشكلة أو مشاكل معينة ، ولكن أحداً لم يكن يعرف أفكار البابا، ولا يتوقع أيضاً النتائج الباهرة التي أسفر عنها هذا اللقاء:

– الرئيس : لا تفكر في هذا الأمر يا والدي ، إن تلك الكنيسة ستُبني

– البابا : أشكركم يا سيادة الرئيس...

ثم استطرد قائلاً :

– إن الأمر الأهم بالنسبة لنا أن تتفضلوا مرة بزيارة أولادكم في البطريركية، فسيكون لهذه الزيارة أبلغ الاثر، وسترفع من الروح المعنوية لأولادك.

– ليس لدي مانع ... ولكن يا والدي ألا ترى أن المكان الذي أنت فيه الآن قد

أصبح غير لائق بك.

- نعم يا سيادة الرئيس... إننا نفكر في بناء مقر آخر... كاتدرائية جديدة.

- يسعدني أن أحضر احتفال وضع حجر الأساس، ولكن هل لديكم ما يكفي لهذا البناء الضخم.

- ان الله سيعيننا ، كما أن أولادنا لا يبخلون بالمال في سبيل إنجاز عمل عظيم كهذا...

- ستدفع الدولة مبلغ مائة ألف جنيه مساهمة في هذا البناء العظيم...

- أشكركم يا سيادة الرئيس. علي أن مساندتكم المعنوية لا تقدر بمال .

ثم عاد إلي موضوع حديثهما الأول :

- لقد اطلعت علي تقارير شاملة عن هذا الموضوع.

- إني حاولت - سيادة الرئيس - بكل جهدي أن أجد حلا لهذه المشاكل دون جدوى.

- يبين من التقرير الذي اطلعت عليه انك يا والدي قد عملت ما في وسعك ... وأن هذا الشخص سبب لكم متاعب كثيرة ، وسأتخذ قراراً بإقصائه عن منصبه.

كما كان من نتائج هذا الاجتماع أن أمر الرئيس بفتح كنيسة حدائق حلوان التي ظلت مغلقة ما يقرب من عام . وقال الرئيس : إن أماكن العبادة لابد أن تنتشر . ويجب أن يعرف الجميع الله ، وأن الإيمان يجب أن يمس كل القلوب.

ونقل السيد الرئيس رغبة أسرته في مقابلة البابا ، فرحب بذلك .

وفي اليوم المحدد دخل قداسته بصحبة الرئيس إلي منزله حيث تقابل مع أبناء سيادته ودعا لهم بالتوفيق ، وبدوام الصحة والسعادة، كما تبادل معهم الهدايا التذكارية . وبعد ذلك خرج مودَّعاً من السيد الرئيس بحفاوة بالغة.

+ في ١٠ مايو عام ١٩٦٧- زار قداسته السيد الرئيس . وفي هذه الزيارة رأى سيادته إصدار قرار جمهوري بإنشاء مجلس لإدارة أوقاف البطريركية ، بعد أن فشل

المجلس الملي في أداء هذا العمل، مما أدى إلي عجز ميزانية البطريركية تحدثت عنه الصحف. وقد تبرع السيد الرئيس بمبلغ عشرة آلاف جنيه لسد هذا العجز وأمكن بذلك دفع مرتبات العاملين بالبطريركية التي توقف دفعها لعدة شهور.

كما عرض الأساقفة المرافقون لقداسته مشاكل إيبارشياتهم علي السيد الرئيس، وكانت هذه فرصة للعمل على حلها .

ومما هو جدير بالذكر أن قداسة البابا طلب مرتين السماح بإنهاء الزيارة حفظاً علي وقت الرئيس، ولكن سيادته كان يقول مبتسماً في ود عميق "ميعاد الزيارة لم ينته بعد" وظلا يتحدثان فيما يعود بالخير علي البلاد.

وعندما همَّ البابا بالانصراف قال السيد الرئيس أني أضم صوتي لأصوات المهنئين بعيد جلوس غبطتكم متمنياً لكم أياماً سعيدة . فشكره البابا بامتنان كبير واضعاً يده علي صدر الرئيس في لطف وهو يقول : "إني أضع يدي علي يد الله... لأنه مكتوب عندنا: «إن يد الله علي قلوب الرؤساء» فاغتبط الرئيس، وسُرَّ بهذا الحديث كثيراً.

وفي مساء نفس اليوم حضر أحد رجال الدولة الرسميين إلى قداسة البابا حيث أبلغه شعور الارتياح الذي يشعر به الرئيس لهذه الزيارة . كما أشار إلى أن الرئيس كان يحس بآلام في صدره زالت جميعها عندما وضع البابا يده فوق صدره.

٢- جرأة البابا (حينما يكون قديساً) في الشهادة أمام الولاة الطغاة : (٣)

البابا يوحنا، وهو الأربعون في عداد البطاركة (رُسم سنة ٦٧٧م.) كان في عهد الوالي عبد العزيز. ويقول كاتب السيرة عن فضائل هذا البابا :

[كان هذا الأب قديساً **ونعمة الله ظاهرة في وجهه حتي أن كل أحد لا يتمكن من النظر إلى وجهه من كثرة النور الذي عليه**. وكان الرب يشفي كثيرين من المرضي بدعائه. كما كان **بتول النفس والجسد ، محباً لكل أحد من الناس**، وذاع صيت أفعاله وعجائبه حتي بلغت مسامع الملك ومَنْ في

(٣) تاريخ البطاركة جزء أول دار النسخ والتحرير س ١٦٦٧ ص ٥٣، ٥٤

قصره].

وحدث أن أتي الوالي عبد العزيز إلي الإسكندرية ليحصِّل خراجها أي الضرائب. ولم يكن وصوله إلي الإسكندرية ظاهراً بل كان مستوراً . لذلك لم يخرج البابا البطريرك للقائه لأنه لم يعلم بوصوله. حينئذ وشى به قوم مخالفون وعلي رأسهم أحد الخلقيدونيين المناوئين للبابا. وقال للملك إنه لم يخرج ولم يلقاك وذلك لكثرة خيره وماله. فأرسل وأحضر الأب بغضب. وقال له :

"ما سبب تأخرك عن الخروج للقائي دون غيرك في هذه المدينة ؟"

فأجاب :

"إن عدم خروجي كان بسبب ضعفي فلا استطيع الخروج في كل وقت"

حينئذ غضب الأمير وسلَّمه إلي أحد رجاله اسمه "سمد" ليدفع مائة ألف دينار أو يعذبه. وكان ذلك أول يوم في أسبوع البصخة . وكان يصاحب البابا اثنان من مساعديه القس آراس والشماس كاتبه. فطلب منه الرجل المائة ألف دينار فأجابه البابا:

- إنك تطلب مني مائة ألف دينار وليس معي مائة ألف درهم منها. **لأن إلهي لم يجعل في شريعته أن أقتني مالاً لأنه أصل كل شر.** فلتفعل يداك بجسدي ما شئت . أما نفسي وجسدي معاً فهما بيد سيدي يسوع المسيح.

فلما سمع الرجل ذلك الكلام غضب جداً وأصرَّ بأسنانه علي القديس وأمر أن يحضروا إناءً من نحاس مملوءاً جمر نار ، وتوضع رجلاه فيها حتي يتعهد بدفع المبلغ.

ولكن الله أنزل في الليلة ذاتها علي زوجة الملك عبد العزيز أمراً صعباً حتي أنها قلقت وارتعدت بأسنانها. فأرسلت إلي "سمد" وقالت له : "احذر أن تفعل سوءاً برجل الله البطريرك فإنه قد أصابني بسببه بلايا عظيمة في هذه الليلة". فأطلق سبيله في الحال بغير عذاب هو مساعداه .

فلما مضي سمد إلي الملك ليُعلمه بالخبر، أكد عليه الملك ألا يمس البابا بسبب ما ناله وزوجته في هذه الليلة بسببه وقال له : "قم بما تقدر عليه من خدمته بلطف لأن الله قد أظهر لي أنه عبده"!

فأخذوا يساومون البابا على قيمة المال الواجب دفعه، وكان الأب القديس يرد عليهم: "إن الذي أقدر عليه هو ثيابي التي علي جسدي". ولم يزل ينقص المبلغ حتي بلغ عشرة آلاف دينار ، فلما سمع الأقباط في الإسكندرية تعهدوا بتقسيط العشرة آلاف دينار. وتوجهوا إلى الملك عبد العزيز وسألوه إحضار البطريرك ليسمع منه قوله، وكان يوم خميس العهد.

فلما أحضروه ورفع الملك نظره إليه رآه كأنه شبه ملاك الله. فأمره بالجلوس، وقال له : "ألا تعلم أن السلطان لا يُقاوَم ؟" فأجاب وقال له :

"**السلطان يُسمَع أمره فيما يُرضي الله ؛ ويخالَف فيما يُغضب الله**. وقد قال ربنا في الإنجيل: «لا تخافوا ممن يقتل الجسد وليس له سلطان علي النفس»". فأطلقه الأمير بفرح وسرور، وخرج راكباً والشعب حوله بالترتيل حتي دخل إلى البيعة وصلى علي لقان خميس العهد وغسل أرجل الشعب ثم أكمل القداس وقرَّب الشعب وعاد إلي قلايته.

٣- البابا يحكم بمشيئة الروح القدس والمسيح بخلاص الشعب [٤]

وعن **البابا متاؤوس الأول** (البابا ال ٨٧ رُسم سنة ١٣٧٥): كُتب عنه أنه **ما كان يحكم إلا بالروح القدس**. وما كان يبتدئ في أول فحصه للقضايا إلا بأن يجعل الحاضرين يقولون «أبانا الذي في السموات». وأما مكاتباته فكان يكتبها بعد ذكر الثالوث الأقدس، والخلاص للرب، وهو يشير بذلك إلي **أن المسيح إلهنا هو الذي يحكم على فمه بما فيه الخلاص لعبيده.**

والبابا يقضي للحكام:

ولهذا كان رجال القضاء في مصر إذا ما استعصت عليهم القضايا يرسلونها للبابا فيحكم فيها .

وقيل عنه أيضاً أن خبر هذا الأب قد ذاع في تخوم البلاد وأن **الحب والصلح** الذي

---

(٤) *تاريخ البطاركة* المجلد ٣ جزء ٣ ص ١٤٤.

تجدد في زمان هذا الأب بين ملوك النصرانية ما سمعنا بمثله قط ولا الهدايا التي هادوا بها بعضهم بسبب محبتهم لهذا الأب.

٤- تواضع المرشحين للبابوية وتكريمهم بعضهم البعض على أنفسهم

من مآثر المرشحين للبطريركية ليس فقط هروبهم من البطريركية ، بل وقبل ذلك **تزكيتهم الآخرين علي أنفسهم.**

• في رسامة **البابا يوحنا**[٥]، الثاني والأربعين (سنة ٦٨٩م.). إذ لما تنيح البابا اسحق (سنة ٦٧٨م.)، اتفق الاساقفة والأراخنة وكثير من كهنة الاسكندرية علي تقديم راهب شيخ فاضل قديس اسمه يوحنا وهذا كان أب رهبان في دير الزجاج. فقدَّموه إلي أمير البلاد في ذلك الزمان فأراد أن ينظره فلما رآه طاب قلبه عليه لأنه كان شخصاً حسناً بهي المنظر .

ولكن أحد الأساقفة خرج علي الإجماع وقدم راهباً أخر اسمه سيمون وكان سرياني الجنسية كان تلميذاً للأب يوحنا هذا. فسأل الأمير الجمع أن يحضروه، فأحضروه . فلما نظره الأمير سألهم : من أي موضع هذا؟ فقيل له : هو سرياني من أهل المشرق ، فقال للأساقفة أفما تقدرون أن تقيموا واحداً من بلادكم؟ فأجابوه وقالوا له : إن الذي قد اخترناه قد أحضرناه بين يديك والأمر لله ثم لك . ثم التفت إلي هذا المرشح الجديد وسأله :

- أتستصوب أن يكون هذا الشيخ يوحنا بطريركاً؟ فأجابه علي الفور:

- **ما يوجد في كورة مصر ولا في المشرق من يستحق مثل هذا ، وهو أبي الروحاني وربَّاني من صغري وسيرته كسيرة الملائكة .**

فلما سمع الأمير تعجب جداً، وكان جمع كثير مجتمعاً، فخرج صوت من الأراخنة والأساقفة والكُتّاب قائلين : الله يحيي الأمير لنا سنين كثيرة . سلِّم الكرسي لسيمون

---

(٥) *تاريخ البطاركة* المجلد ٣ جزء ١ ص ٤٢.

فهو مستحق البطريركية.

فلما نظر الأمير إليهم وسمع كلامهم عن إنسان غريب... أمرهم بمعونة الله أن يمضوا به إلى الإسكندرية. وكان فرح عظيم للشعب الأرثوذكسي، وعمت السلامة والاتحاد في الكنيسة، ثم أن الأب سيمون أقام أباه يوحنا علي أمور الكنيسة، وكان هو يقرأ في الكتب المقدسة. وفي طول حياة الأب يوحنا لم يلتفت الأب سيمون لشئ من أمور البيعة بل سلمها كلها إلي يوحنا أبيه ، تماماً كما كان معه في الدير . وكان مطيعاً له ويدعوه "أبي".

وقيل عن البابا سيمون أنه [**رجل قديس خائف من الله فاضل عالم أكثر من أي جماعة في جيله**]. **وهكذا يقترن التواضع بالعلم الغزير والعلم الغزير بالتواضع الجم.**

• أما في رسامة **البابا غبريال الثاني البابا السبعين** (سنة ١١٣١م)، فقد عثر الأساقفة والأراخنة على رجل ناسك شيخ قديس هو الأنبا يوسف رئيس دير القديس يؤنس كامي. وحالما رأوه أدركوا في الحال صدق ما سمعوه عنه لأن النعمة الإلهية كانت تضئ على وجهه. وما أن رآهم وعرف مقصدهم، منحهم بركته ثم قال لهم: "عودوا يا أولادي إلى القاهرة لأن المختار من الله لهذه الكرامة العظمى هو شماس كنيسة القديس مرقوريوس واسمه أبو العُلا"[٦]. وهنا نجد أن آباء البرية زكّوْا هذه المرة شماساً بتولاً ليس من طغمة الرهبان، فهذا الشيخ المبارك الأب يوسف في تواضع جم حوَّل أنظارهم عن نفسه وأشار إلى هذا الشماس التقي خادم المذبح في المدينة. فأي تناغم وتناسق من الروح القدس كان يجمع المؤمنين ويؤالفهم بعضهم على البعض بسبب اتضاعهم ومن أجل بنيان الكنيسة الواحدة!!!

• ولم يخلُ الأمر من منازعات حول تولي كرسي البطريركية. فكيف كان يتصرف الآباء في هذا؟ وكمثل لهذا ما حدث في أثناء **انتخاب البابا يؤنس الخامس (الثاني والسبعين في عداد البطاركة)**[٧]. فقد أجمع الأساقفة والأراخنة على مرشح يتولى

---

(٦) ايريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية*، الكتاب الثالث، ص ١٤٨-١٤٩.

(٧) تاريخ البطاركة المجلد الأول ص ١٢٩، ١٣٠ (الناشر صموئيل السرياني).

البطريركية بعد البابا ميخائيل الواحد والسبعين، هو يؤنس ابن أبو الفتح، وكان ينافسه راهب سعي بجهده عدة مرات أن يفوز بالبطريركية لكن الشعب رفضه لسعيه بنفسه لهذا المنصب. ولما استدعى الوالي الاثنين ، سأل المرشح الذي أجمع عليه الأساقفة والأراخنة: "ماذا تقول أنت في هذا الرجل" (أي في الراهب الذي يسعى بنفسه للبطريركية). فأجابه في الحال: "**نعم ، هو أصلح مني وأعلم بالشريعة!**". وكان الوالي يريد أن يختبر مدى تواضع المرشح الذي اتفق عليه الجميع . فاستحسن ذلك الرد وعظم قدره في أعينهم من أجل هذا الرد وللوقت قدَّموه بطريركاً.

• أما في رسامة **البابا اسحق الواحد والأربعين** (سنة ٦٨٦): [٨]"كان هناك شماس يدعي "جرجس" يشتهي رياسة الأسقفية ضد إرادة الله، واستمال قلوب الأساقفة المجتمعين لكي يقدموه لرئاسة الأسقفية لكنه لم يعلم قول الرب :« في قلب الانسان مشورات كثيرة ولكن مشورة الرب هي التي تثبت»، ولما أقاموه قساً وألبسوه وهم يظنون أنهم يقيمونه رئيساً للأساقفة في ذلك الأسبوع ويريدون بذلك أن يعملوا أعمالاً مخالفة للقانون بإتمام الرسامة في غير يوم الأحد، صرخ رئيس الشمامسة في وسط مذبح الله كمن هو مسوق بالروح القدس وكان يقول لا يحق أن نعمل أمراً مخالفاً لقوانين الكنيسة لكن لننتظر حتي يوم الأحد. وهذا ما قضي به الله ليمنع رسامته علي الإطلاق ولتتعطل رسامته نهائياً حسب ما هو مكتوب : "رجل الدماء والغش يكرهه الرب". [٩]

وفي ذلك اليوم وصل إلى الإسكندرية كبار الأساقفة بعد أن علموا بنياحة رئيس الأساقفة ليرسموا الذي إختاره المسيح وهو القديس اسحق فوجدوا آخرين مقاومين لهم ومتفقين مع "جرجس" وكان إنقسام بينهم ، فوفد إلى الإسكندرية رسل من قبل الوالي يطلبون الأساقفة لمقابلته حتى يعرف من الذي سيقيمونه رئيساً".

ولما وصلوا إلي بابليون وكانوا قد تصفحوا حياة "جرجس" ووجدوا أن له أخطاء سابقة وأنه كان متزوجاً وأن له أولاداً أشراراً قرروا رسامة الذي اختاره الله وهو القديس اسحق.

---

(٨) يوسف حبيب، *البطريرك القديس الأنبا اسحق*، ١٩٦٦، من ص٤٦-٧٠.

(٩) مز ٥: ٦

وحدث في يوم الأحد بينما كان جميع الأساقفة وشعب كثير من بابليون والاسكندرية وكل كورة مصر مجتمعين في كنيسة القديس سرجيوس بمصر القديمة، دخل القديس اسحق لابساً ملابس حقيرة وبينما كان يصلي إنكسر فجأة قنديل في الكنيسة أغرق اسحق زيتاً وللحال صرخ الشعب مستحق... مستحق... مستحق ، هذا هو الرسول الثالث عشر اسحق رئيس الأساقفة،

وكانت هذه لديهم كعلامة من السماء ... وصار في هذا اليوم فرح عظيم وكانوا يصرخون قائلين : "مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مز ٤٥: ٨).

وفي الغد أعلنوا الأمر للوالي وأخبروه بما حدث وبما قر عليه الرأي فأمر أن يحضر الإثنان أمامه، ولما حضرا أمامه رأي "جرجس" يرتدي ملابس الكهنوت بينما كان القديس اسحق في زي الرهبان البسيطة، فقال للأساقفة وللشعب مَنْ مِنْ الاثنين تريدانه فأجابوا جميعهم هذا الراهب هو أبونا. لكنه قال لهم إنه رجل مسكين. وللحال صرخ الأساقفة والأراخنة : "هذا هو نبي الله، بتول طاهر منذ صباه" وكان جرجس يقول : "أعطوني كرسي رياسة الأسقفية لأجزل لكم الأموال"، ولما سمع الأساقفة والجمع ذلك قطعوه قائلين : «لتكن فضتك معك للهلاك لأنك ظننت أن تقتني موهبة الله بدراهم» (أع ٨: ٢٠)، وهكذا قطعه الأساقفة وجعلوه غريباً عن الكهنوت ، وتم فيه المكتوب : «يفتح حفرة فسقط في الهوة التي صنع» (مز ٧: ١٦) وأيضاً قوله: «من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع» (لو ١٨: ١٤).

وهكذا بتزكية الله وبموافقة الشعب[١٠]، رُفع القديس اسحق إلي مركز الرياسة في كرامة عظيمة - ورُسم رئيساً للأساقفة وكان الفرح عظيماً في كورة مصر من بابليون حتي الاسكندرية .

ولما وصلوا إلى الإسكندرية خرج جمع كثير لاستقبال القديس الأنبا اسحق، وكان رجال الأكليروس يحملون الأناجيل والصلبان ومجامر البخور - وكانوا يرتلون أمامه حتى داخل المدينة .

---

(١٠) الرسامة يجب أن تتم برضاء الشعب كله وموافقته وهذا ما تم بالنسبة لهذا الآب.

وهكذا رسم رئيساً للأساقفة في اليوم الثامن من كيهك في يوم الأحد وأجلسوه علي كرسي مار مرقس الرسول الذي أضاء علينا وتمت الرسامة حسب القوانين الرسولية.

وبعد ما أخذ سلطان الحل والربط إنتشر ضياؤه في كل العالم، ووضع للأساقفة قانوناً للإقامة في هدوء في مراكزهم يعكفون علي تلاوة الكتب المقدسة ويكونون في شركة واحدة مع بعضهم البعض ، وكان يتحدث معهم مراراً كثيرة مثيراً فيهم الغيرة لحياة آباء برية شيهيت القديسين .

ولما علم الأساقفة الآخرون ورهبان الأديرة أن القديس أنبا اسحق صار رئيساً للأساقفة جاءوا إليه مقدمين الخضوع له لأنهم كانوا علي بينة من حكمته البالغة ونسكه وصار نموذجاً يحتذي به في الأعمال الصالحة .

(ثم يقدم ناشر هذه السيرة المتنيح يوسف حبيب في كتابه ***البطريرك القديس الأنبا اسحق*** هذا التعليق على مسلك الشماس مرقس هكذا:)

عرض ومناقشة قوانين الرسامة

تبين من أمر الخلاف أن الشماس "مرقس" كان له موقف يدل علي الشجاعة والغيرة المقدسة نحو بيت الله. لما رأي أمورا تجري في البيعة علي خلاف ما تقضي به القوانين انتفض انتفاضته وغار غيرته المقدسة فوقف في وسط الكنيسة يصرخ ويعلن أنه **لن تتم رسامة ضد القوانين ، وكان من جراء ذلك أن أُبطلت الرسامة وعوقب مشتهي البطريركية بالسيمونية .**

ويتساءل يوسف حبيب مؤلف كتاب ***البطريرك القديس اسحق:***

فهل لرئيس الشمامسة مثل هذا الحق ؟

نعم . من حقه ألا يقف صامتاً وهو يري بعينيه أموراً ضد القوانين : في طقس رسامة رئيس الشمامسة يقول الأسقف في الطلبة الطويلة الخاصة به: [... ويعلّم الجهال ويبكّت غير المتأدبين وينتهر المخالفين ... ويأمر بما ينبغي ، ويكون مثالاً لجميع الكنيسة

...][11]

وفي طقس سيامة البطاركة له دور هام، تبتديء الصلاة يوم الأحد طبقاً لقوانين الكنيسة ... ويقفل باب الكنيسة وتعطي المفاتيح لرئيس الشمامسة ليقف ببابها في انتظار البطريرك الجديد ليسلمها له ، وحال وصول السيد البطريرك يتقدم رئيس الشمامسة اليه ويسلمه المفاتيح. وله طلبات خاصة يقولها. وعند وضع اليد يصرخ ويقول : [**هلموا جميعاً أيها المطارنة والأساقفة وضعوا أيديكم علي أبينا المختار من الله**] فيضعون أيديهم عليه... وعندما يلبسونه الملابس الكهنوتية ، في كل مرة يلبسونه قطعة من (البدلة والبطرشيل والمحارم والكم الأيمن والكم الأيسر والبرنس والتاج) يتلو صلاة خاصة .

مواهب الروح القدس في بابا الإسكندرية:

بعد رسامة الأنبا اسحق بطريركا أنعم الله عليه بموهبة شفاء الأمراض من كل نوع. وفي كل مرة كان يصعد إلي المذبح ليقرب، من وقت أن يبدأ القداس حتي تمام الخدمة كانت الدموع تنهمر من عينيه، ولما كان يصل إلي وقت طلبة الروح القدس كان يعاين الروح القدس نازلاً علي الذبيحة .

وعندما كان هذا القديس يرى هذه الإعلانات كان يلحقه خوف وفرح وكان وجهه يضيء حتي أن جميع الناس كانوا يتعجبون قائلين: حقاً لقد جعلنا الله مستحقين لقديس طاهر كهذا، وكان عقله مضيئاً بالحكمة المقدسة مثل العظيم أثناسيوس والحكيم كيرلس وغيرهما من الآباء القديسين، هؤلاء الذين صار القديس اسحق لهم خليفة .

ثم أن القديس ما لبث أن رد كثيرين من الهراطقة وأدخلهم إلي الإيمان الحقيقي بربنا يسوع المسيح وعمد آخرين وقبل في الكنيسة كثيرين ، بينما دحض البدع والهرطقات بالنعمة التي منحه الرب إياها وبكلماته التي خلصت النفوس. وفي قرية "بساناشو" (بلدة بمصر السفلي) عمَّد كثيرين من الرجال والنساء كباراً وصغاراً.

---

(١١) ص ٧٠ من كتاب الرسامات طبعة ١٩٥٩

٥. بابوات الإسكندرية والقدس الشريف

اهتم بابوات الإسكندرية بالأماكن المقدسة في القدس. وأرسلوا الأساقفة (وقد رُسم أول مطران للقدس باسم الأنبا باسيليوس في حبرية البابا كيرلس الثالث في القرن الرابع عشر)[١٢] وبعثوا المؤن والأموال لرعاية وتعمير هذه الأماكن المقدسة. وكانوا يسعون جهدهم لدى الحكام والولاة لتسهيل زيارة أبناء الكنيسة للحج والتبرك بهذه الأماكن المباركة. وهذا مثل رائع من مآثر بابوات الإسكندرية في هذا الصدد.

انبثاق النور في القدس الشريف

علي يدي البابا بطرس السابع (الملقب بالجاولي)

البابا بطرس السابع (الملقب بالجاولي) تولى البطريركية عام ١٨١٠م. أيام حكم محمد علي.

وكُتب عنه[١٣] أنه كان تقياً ورعاً زاهداً متقشفاً، محباً للخير قليل الكلام، مع هيبة ووقار. وكان لا يتعرض إلى أمر من أمور السياسة، وكان أفضل ما اشتهر به زهده في المال. وبلغت أخبار فضائل البابا بطرس وتقواه مسامع محمد علي باشا فأجَلّه وأكرمه وأنزله عنده منزلة سامية.

وعندما قام إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا بفتح بلاد الشام واستولى علي القدس الشريف بلغه أن النور يظهر في ليلة عيد القيامة علي يد بطريرك الروم في القدس الشريف. فلم يصدق إبراهيم باشا هذا الكلام ودعا بشدة البابا بطرس السابع إلي الحضور للقدس الشريف لإقامة احتفال عيد القيامة ويباشر بنفسه خدمة خروج النور من القبر المقدس كما كان يفعل بطاركة الروم هناك في كل سنة .

فلبي البابا بطرس دعوة إبراهيم باشا والي الشام وتوجه إلى القدس الشريف وهناك تقابل معه فأطلعه علي جلية الأمر. ونظراً لأنه إذا فعل البابا هذا، سيترتب علي ذلك اعتبار هذا التصرف بمثابة تعدي البطريرك الإسكندري علي حقوق بطريرك الروم في

---

(١٢) ايريس حبيب المصري، *قصة الكنيسة القبطية*، الكتاب الثالث، ص ٢١٢

(١٣) القس منسّى يوحنا، *تاريخ الكنيسة القبطية*، ص ٥٥٦-٥٦٣.

القدس الشريف مما يثير عداوة كبيرة بين القبط والروم في المدينة المقدسة، قابل البابا الوالي واعتذر له، فقبل العذر ولكنه طلب اليه أن يكون مُصاحباً لبطريرك الروم في الصلاة ويكون الوالي ثالثهم داخل القبر المقدس ما دام يرتاب في حقيقة ظهور النور علي القبر في ليلة القيامة . وخاف البابا بطرس من عاقبة تأخير طلوع النور وسوء العاقبة وأخذ يستغيث بالصلوات الحارة بقدرة الرب يسوع المسيح. وكانت كنيسة القيامة في ذاك الوقت قد غصت بالجماهير حتي تضايق الناس من شدة الازدحام . فأمر الوالي بإخراج الفقراء الروم بينما بابا الاسكندرية في القبر.

وابتدأ البطريركان بالصلاة. ولما حل الوقت المعهود انبثق النور من المقبرة بشكل أرعب الوالي حتي استولى عليه الذهول والاندهاش وصرخ مردداً هذه العبارة: "أمان بابا"، وكاد يسقط علي الأرض فتلقاه البابا بطرس في صدره إلي أن فاق من تأثير جلال المنظر المرهوب.

أما الفقراء الذين وقفوا خارج القيامة فكانوا أسعد حظاً ممن كانوا بداخلها فإن أحد أعمدة باب القيامة الغربي انشق وخرج لهم من الشق نور القيامة فتباركوا منه. (وما زال هذا الشق ظاهراً إلى الآن على العمود في كنيسة القيامة بالقدس وبه آثار اشتعال كأنه حريق).

وبعد العيد عاد البابا بطرس مكرماً إلي مركز كرسيه[14].

---

(١٤) كامل صالح نخلة، *سلسلة تاريخ البابوات*، الحلقة الخامسة، ص ١٤٠-١٤١

الباب الخامس

الآباء والهرطقات

وكيف واجه آباء الكنيسة

الهرطقة والهرطقات ؟

مُقَدِّمَة

تحتل "**مواجهة الهرطقة**" جانباً هاماً وكبيراً في حياة آباء الكنيسة في عصر بزوغ الهرطقات. حتى أن انتخاب الرعاة في ذلك العصر كان شرطه الأساسي قدرة المرشَّح للوظيفة الكهنوتية علي مواجهة الهراطقة مواجهة أرثوذكسية بحسب الأصول الآبائية المعتبرة.

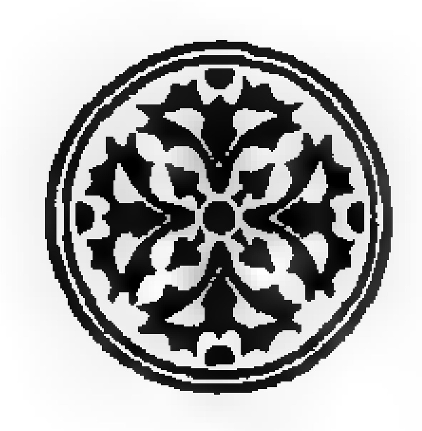
ومن دراسة سير وجهاد آباء الكنيسة الجامعة نستطيع أن نستنبط هذه المعايير والأصول الآبائية في "مواجهة الهرطقة"، نلخصها في أربعة موضوعات:

أولاً – جذور الهرطقات.

ثانياً – ما هي الأسانيد التي اعتمد عليها الآباء، وهم يواجهون هرطقات عصرهم؟

ثالثاً – جامعية الكنيسة، وروح الإفراز، وحاسة الحق عند الآباء.

رابعاً – موهبة الحق عند الآباء.



الفصل الأول

جذور الهرطقات

لقد كان حرص آباء الكنيسة في كل جيل هو أن يسلموا "**التعليم الرسولي**" كاملاً نقياً من كل إفساد إلى الأجيال اللاحقة ، وكانت أمانتهم في ذلك تبلغ إلى حد الموت:

[العقيدة الرسولية نحن نموت من أجلها].

القديس البابا ألكسندروس

[نحن نكرز لا بأفكارنا الشخصية بل بما يعلمنا إياه التقليد السليم (الكاثوليكي)[1]].

القديس باسيليوس

وبسبب الأخطاء التي شاعت في بداية المسيحية على يد بعض المعلمين الكذبة (٢كو ١١: ٣، ٢ بط ٢: ١)، بدأت الكنيسة تستعد لتواجه تحدياً لمعركة عقلية منظمة، خرجت منها منتصرة بحسب وعد الرب أن الروح القدس هو الذي يرشدها إلى كل الحق. ففي مواجهة الشطحات والأحلام والخيالات الكاذبة للهراطقة، وقفت الكنيسة متذرعة بحقائق الوحي الإلهي الأصيل، دون غيره. ومن هنا نما علم اللاهوت المسيحي من واقع الضرورة الداخلية لحفظ الإيمان.

ولكن الهرطقات ـ والهرطقة الغنوسية على الأخص ـ أعطت لعلم اللاهوت المسيحي دفعة قوية من الخارج، وكأنها عاصفة ترابية مخصبة هبت على حقل بكر.

---

(١) كلمة "كاثوليكي" يونانية تعني "السليم" أو "الجامع" أي "الصحيح والسليم غير الناقص"، وهي تعبير مشاع للكنائس كلها قبل الانقسام، ترادف في معناها تعبير "أرثوذكسي" بعد ذلك. وكانت إذا اقترنت بكلمة "الإيمان" فهي تعني الإيمان الصحيح الكامل غير الناقص الذي تؤمن به الكنيسة الجامعة في كل أنحاء المسكونة. ولا ينبغي أن يفهم هنا أنها منسوبة إلى طائفة مسيحية بعينها.

وأول من استخدم هذا اللفظ القديس إغناطيوس الأنطاكي (من الآباء الرسوليين ـ القرن الثاني) بقوله : و [حيث يكون المسيح يسوع، فهناك الكنيسة الجامعة "الكاثوليكية" ـ أي الكنيسة التي تحمل التعليم الحق] رسالة سميرنا ٨، وثيقة استشهاد بوليكاربوس ، يوسابيوس ٤: ١٥.

لقد اقتنت الكنيسة الحق منذ البداية ، واستُعلن في اختبارات أبنائها للإيمان ، وفي حفظها للأسفار المقدسة؛ وسلمت هذا وذاك بأمانة بالغة من جيل إلى جيل. ولكن ها قد حل عصر تناول جوهر الحق المسيحي في شكل "**نظري منطقي**" ـ كما يسميه يوسابيوس المؤرخ الكنسي **logikoteron** λογικώτερον، مُظهراً إياه من كل جوانبه وأعماقه المتنوعة، مقدماً إياه في نور جلي من الفهم الصحيح والممارسة الأمينة.

وهكذا فإن كلاً من "**علم اللاهوت الجدلي**" (في مواجهة الهراطقة)، و "**علم اللاهوت العقيدي**" (لمنفعة المؤمنين) الذي هو فهم الكنيسة المنهجي لتعليم الخلاص، بدآ في الظهور من خلال ذلك الصراع مع الهرطقات؛ تماماً كما نشأ سابقاً أدب الدفاع والمحاماة عن الإنجيل من واقع المواجهة أمام الوثنيين، وحركة الاستشهاد في مواجهة الاضطهادين اليهودي والوثني.

التفريق بين الإيمان والهرطقة:

ومنذ ذلك الوقت بدأ يتضح التفريق بين الإيمان "**الكاثوليكي**"[٢] والانحراف الهرطوقي، بين الأرثوذكسية والجنوح عنها ، بين إيمان آباء الكنيسة والرأي الشخصي. وصارت كل عقيدة متفقة مع الأسفار المقدسة ومع إيمان الكنيسة المسلم من الرسل، مقبولة على أنها "**الإيمان الكاثوليكي**"[٣]، أي السليم أو غير المُنتقَص أو المسكوني.

وهكذا اعتبر كل جنوح عن هذا القياس ، وكل فكرة عشوائية ، صاغها هذا الإنسان أو ذاك ، كل إفساد في المسَلَّمات الموحى بها ، أو أي اغتراب عن الحس العام للكنيسة في فكرها الرسولي المنحدر للأجيال المسيحية ، اعتبر أنه هرطقة .

وقد وقف كل آباء الكنيسة تقريباً ضد الهرطقات المعاصرة لهم، بأدلة من الأسفار المقدسة ومن التقليد المسلم للكنيسة ، وبالشرح النظري الموسع ، لإثبات عدم صحة هذه التعاليم، كل هذا بإلهام وبدفع مباشر من الروح القدس، لأن الحق في الكنيسة إلهي، ولا يمكن لأحد أن يفحص أمور الله إلا روح الله (١كو ٢: ١١).

---

(٢) راجع حاشية رقم ١ لفهم معنى كلمة "كاثوليكي"

(٣) راجع حاشية رقم ١ لفهم معنى كلمة "كاثوليكي"

محور الإيمان الأرثوذكسي عن التجسد والخلاص :

إن التجسد الإلهي هو ذروة الفرح في الإيمان المسيحي ، ذلك لأنه يمثل ملء وكمال استعلان الله للبشرية الحزينة التي طُردت من الحضرة الإلهية منذ سقطة آدم.

وقد تأمل الآباء كثيراً في حدث التجسد ، وفي الخلاص الذي تحقق للبشرية من ورائه؛ وقد كانت رؤيتهم لكل هذا من خلال تأملهم في شخص الرب يسوع المسيح نفسه وتعمق فهمهم لطبيعة الاتحاد الحاصل بين الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية فيه.

لقد أجمع الآباء على أن رفعة الطبيعة البشرية إلى مستوى الاتحاد الخالد مع الحياة الإلهية هو في صميم جوهر الخلاص، وهو أساس كل عمل المسيح الفدائي. وأن الفداء لا يعنى فقط غفران الخطية ومحوها ، بل وأيضاً توشُّح الإنسان بنعمة الخليقة الجديدة والاتحاد بالله أيضاً.

وفي هذا يقول القديس **غريغوريوس النزينزي** في كلمات مركَّزة حاسمة:

[من يتحد بالله فهذا يخلص][4].

وطبعاً مَنْ لم يتحد بالله فلن يخلص.

وفى هذا كان القديس غريغوريوس يقدم رده الأساسي على أبوليناريوس، الذي أنكر كمال ناسوت المسيح، معتبراً ذلك **ذريعة لحرمان الإنسان من مصيره في المسيح.**

وعلى هذا النمط عينه كان لاهوت القديس إيرينيئوس والقديس أثناسيوس والآباء الكبادوك والقديس كيرلس الإسكندري.

فالتجسد الإلهي هدفه في النهاية **الاتحاد بالله.**

جذرا الهرطقة المسمومان :

من هذا المنطلق كانت الكنيسة كلها ترتج أمام الهرطقات التي شككت في لاهوت المسيح التي كانت تهدف في النهاية إلى هدم سر الفداء بأكمله وما يترتب عليه من نعمة

(٤) الرسالة ٥١ إلى كليدونيوم - ميني ٣٧: ١١٨ - ١٨١.

التبني لله والاتحاد بالله.

وعن هذا الهدف يقول **القديس إيرينيئوس** (أسقف ليون في القرن الثالث) في رده على هراطقة عصره :

[**إنهم يسلبون الإنسان صعوده إلى الله**][(٥)].

[وما أكثر خطأ الأبيونيين الذين لم يقبلوا في نفوسهم بالإيمان **اتحاد الله بالإنسان**. بل ما زالوا قابعين في خميرة الناموس العتيقة][(٦)].

أي أن هناك جذرين مسمومين لشجرة الهرطقة المتشابكة الأفرع:

إن هذا الخضم من الهرطقات التي ظهرت على مدى تاريخ الكنيسة في القرون الأولى، يمكن إرجاعه إلى جذرين اثنين مسمومين، يكشفهما استقراء مجادلات الهراطقة ودفاعات الآباء:

١ ـ **هدم العلاقة الجوهرية بين المسيح والله الآب** (أي هدم العقيدة الآبائية: **المساواة مع الآب في الجوهر الإلهي**).

٢ ـ **هدم العلاقة الجوهرية بين المسيح وبني البشر**[(٧)] (أي هدم العقيدة الآبائية: **المساواة مع البشر في الجوهر البشري**. أي هدم عقيدة **الاتحاد بالله** بمسمياتها الأخرى لدى الآباء: **تأليه الإنسان في المسيح ، الشركة في الطبيعة الإلهية**).

ويلاحظ أن **الجذر الثاني للهرطقة متشابك مع الجذر الأول**. بحيث أن كلا منهما يمكن أن يُنبت الآخر وأحدهما منفرداً وإنكارهما معاً يهدم حقيقة الخلاص وكل عمل

---

(٥) ضد الهرطقات ٣: ١٩: ١،٢.

(٦) ضد الهرطقات ٥: ١: ١.

(٧) ويندرج تحت هذا الفرع عدم الاعتراف بالعلاقة السرية بين عمل النعمة وعمل الإنسان في تكميل الخلاص الشخصي للإنسان ، تلك العلاقة المسماة في التقليد الآبائي بالسينرجي **synergy**، أي تزامل العمل بين النعمة والإرادة البشرية. وقد بدأت هرطقات من هذا النوع تظهر في الغرب منذ القرن الخامس، بظهور بدعة بيلاجيوس الذي أكد على الجهاد البشري في الخلاص دون العمل الإلهي. وبلغ أوج هذه الهرطقات في مناداة الكنيسة الرومانية الكاثوليكية في القرون الوسطي بكفاية الأعمال البشرية وحدها لاكتساب الإنسان خلاصه (عن طريق صكوك الغفرانات والمطهر). وفي مواجهة هذا قامت الحركة البروتستانتية في القرن السادس عشر حيث اتخذت مسلك التفريط من الجانب الآخر حيث نادت بانفراد عمل النعمة مع التقليل إلى حد الإلغاء من شأن جهاد الإنسان. وكلاهما قدما منهجاً قاصراً بعيداً عن المنهج الأرثوذكسي.

ا لله لإنقاذ الإنسان وإرجاعه إلى حضن الله.

وهذا التحليل - في واقعه - قائم على حدة رؤية الآباء القديسين أنفسهم لمضمون الهرطقات الكثيرة بكافة فروعها ومراوغاتها وبريقها الظاهري الكاذب، الأمر الذى دفعهم أن يهبوا ليدافعوا عن الإيمان الصريح، ليس بعقائد نظرية بحتة، بل بالإيمان بقضية الفداء وخلاص البشرية الأبدي وتجديدها في المسيح.

العلاقة بين شقي "الوحدة"، أي الوحدة بين الآب والابن؛ وبين الابن والبشرية مقاطع منيرة من كلام آباء الكنيسة :

وعلى هذا الأساس المتين من فهم حيل الشيطان التي دسها في محاولات الهراطقة لإنكار عقيدة الوحدة بشقيها: سواء الوحدة بين المسيح والآب، أو بين ا لله والبشر؛ على هذا الأساس المتين قام دفاع الآباء. ويمكننا أن نحفظ ونتأمل كلمات الآباء أنفسهم في هذا المضمار، كما وردت في هذه المقولات التي كانوا بها[8] يدللون على ترابط شقي الوحدة معاً في عملية تدبير خلاص الإنسان، ارتباطاً لا يمكن فصمه أو أخذ الواحد منه دون أخذ الآخر:

[فإن كان كلمة الله خليقة ،
فكيف نلتصق بالله ونُجعل آلهة باتحادنا به؟]. **القديس كيرلس الكبير - كتب الكنز ١٥**

[ليس أنه كان إنساناً ثم صار فيما بعد إلهاً، بل هو الله ثم صار فيما بعد إنساناً، لكي يجعلنا آلهة[9]].

القديس أثناسيوس الرسولي ضد الآريوسيين ١: ٣٩.

[لو لم يكن الابن إلهاً حقاً، ما كان الإنسان جُعل إلهاً باتحاده بخليقة؛ ولو لم يكن الكلمة بالطبيعة وبالحق هو الذي لبس الجسد، ما كان الإنسان يوجد في

---

(٨) هذا بخلاف الأسانيد الكتابية والتقليدية الأخرى طبعاً ، ما سيرد في حينه.

(٩) عقيدة "الاتحاد بالله" (ويُطلق عليها بعض آباء الكنيسة اسم "التأليه") عقيدة روحية سرية زاخرة بالأعماق ولها شروحات آبائية كثيرة للإحاطة بجوانبها المتعددة ، وهي جديرة بدراسة علماء الكنيسة ولاهوتييها، وتبسيطها وشرحها للمؤمنين.

حضرة الآب] القديس أثناسيوس الرسولي ضد الآريوسيين ٢: ٧٠

وهكذا نرى من هذه الأمثلة – وغيرها كثير في دفاعات كافة الآباء – أن إيماننا بلاهوت المسيح ليس بلا سبب أو بلا ضرورة خلاصية، بل هو الضمان الأكيد الذي لا ضمان سواه – لنحقق كمال خلاصنا بالاتحاد بالله.

كما أن يقظة الآباء الأبرار معلمي البيعة، في ربط كل عقيدة لاهوتية ـ صعبة في مظهرها ـ بقضية فدائنا وخلاصنا وتجديدنا الأبدي؛ نابعة من أن المسيحية هي أولاً ديانة فداء وخلاص واتحاد بالله حقيقي، وكان التفاتهم أساساً هو فحص جوهر أي تعليم غريب وما الذي يؤدى إليه؟ هل إلى تثبيت عقيدة الاتحاد بالله أم إلى تكريس الانفصال والغُربة بين الإنسان والله؟

إن سر تفوق تعليم الآباء الأرثوذكس على تعليم الهراطقة يكمن في أن الأول يكشف ويوصل كل كنوز خلاص الله البشرية ، المكني عنها في سفر إشعياء بـ "كنوز المخابئ" (إش ٤٥: ٣) بدون تحفظ، أما تعليم الهراطقة فكان يؤول في النهاية إلى إطفاء سراج المسيح الذي هو فرح البشرية وبهجة خلاصها وطريقها المنير إلى ملكوت الله.

الفصل الثاني

ما هي الأسانيد التي اعتمد عليها الآباء، وهم يواجهون هرطقات عصرهم ؟

١ -الكتاب المقدس والتقليد :

من الواضح أن الرجوع إلى الأسفار المقدسة كان هو السند الأول لدي آباء الكنيسة في إثبات التعليم الصحيح في مواجهة التعاليم الخاطئة.

ولقد أوضح الآباء أنه ينبغي أن يكون الرجوع إلى الأسفار المقدسة أولاً وقبل أي شئ آخر، ذلك أن الكتاب المقدس هو مقياس الإيمان الصحيح :

[ينبغي قبل كل شئ أن نبحث في الأسفار... في هذه النقطة بالذات (إثبات أن المسيح ابن الله)] – **القديس أثناسيوس الرسولي**[1]

وذلك بسبب إعلان الوحي الفائق في الكتاب المقدس، باعتباره "كلمة الله" للبشر. أو كما يُسمَّى في التسبحة اليومية "أنفاس الله" :

[بسبب حقيقة أن الله هو الذي أوحى للكاتب أن يسجل ما قاله الروح].

القديس أمبروسيوس – في الروح القدس ٣ : ٦ : ١١٢.

† «لم تأت قط نبوة بمشيئة إنسان، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بط ١ : ٢١).

---

(١) ضد الأريوسيين ٢ : ٧٣.

† "كل الكتاب هو موحى به من الله" (٢ تي ٣ : ١٦).

ولكن الهراطقة كانوا يرجعون هم أيضاً إلى نصوص الكتاب المقدس، إلا أنهم عوَّجوا تفسيره وأساءوا فهمه[٢].

ولذلك يقول **القديس هيلاريون** (أسقف بواتييه) :

[إن الكتاب المقدس ليس في قراءته بل في فهمه].

القديس هيلاريون

وقد تكررت هذه الجملة عند العلامة إيرونيموس[٣] وعند كثير من الآباء، للتعبير عن أهمية بل وخطورة تفسير الكتاب المقدس في مواجهة الهراطقة. إذ يجب :

[أن اتجاه تفسير الأنبياء (العهد القديم)، وكتابات الرسل (العهد الجديد)، يجب أن يكون مطابقاً للفكر الكنسي السليم (الكاثوليكي)][٤]

وهكذا بدأت الكنيسة تلتفت إلى "التقليد"، لتفسر على ضوئه آيات الكتاب المقدس التفسير الواقعي الصحيح، الذي قصده الوحي الإلهي لا غير.

٢ – التقليد هو حياة الإيمان عبر الأجيال :

ولكن لا يظن أحد أن من خصائص التقليد أن يضيف شيئاً على الإيمان المعلَن في الأسفار المقدسة، لكن التقليد هو امتداد لحياة الإيمان عبر الأجيال الحية وليس عبر الزمان الميت، وهو اكتشاف الحق المُعلن بالروح القدس في الكتاب المقدس وهو ذات الروح الذي يكشف أعماق الحق لمن يدرس كلمة الله بالروح القدس.

---

(٢) إيرينيئوس ١ : ٨ : ١؛ كليمنضس الإسكندري ٧ : ١٦ ؛ أثناسيوس في تفسير المزامير ٦٧ : ٢٧، ضد الأريوسيين ٣ : ٢٨ و٣٥ [ما يعتمدون عليه من الأناجيل يشرحونه بمعنى غير صحيح].

(٣) Ad. Constantium Aug., 1. b. 11, cap. 9.

(٤) Commonitorium, cap. 11, cf. cap. XXVIII.

وهنا يتضح للقارئ أن سبب الهرطقة يكمن في أخذ الكتاب المقدس كأقوال وكلمات وتعاليم ليدلل بها المعلّم على فكره هو أو رأي خاص به[5]، وليس رأي الكنيسة.

وهنا يأتي السؤال الهام :

٣ - من هي الكنيسة؟

وما هي العلاقة الجوهرية بين الكنيسة والكتاب المقدس ؟ وما موقعها من العهد الجديد ؟ وما موقعنا نحن المؤمنين من تدبير الله الخلاصي ؟

وهنا لابد أن نعرف - بادئ ذي بدء - أن الكتاب المقدس وإن كان ظاهره حروفاً وعلماً ومنطقاً، لكن مضمونه هو "الحق" وهو "الروح". والحق ليس "فكرة"، بل هو شخص، **هو الرب الإله المتجسد نفسه** "الله لم يره أحد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو أخبر" (يو ١ : ١٨)، "أنا هو الحق" (يو١٤ ٦).

المسيح هو الذي أخبر وأعلن الله الذي دخل عالمنا بالتجسد. ففي التجسد تقابل ا لله مع الإنسان في عمق حياته اليومية الطبيعية.

لذلك فالإنجيل يسجل حديث الله وحواره مع الإنسان؛ وأن من خلال هذا الحوار صنع الله "**عهداً**" جديداً مع الإنسان[6].

فإن كان الله قد صنع في القديم عهداً مع شعب معين (إبراهيم ونسله)، فإنه في هذه الأيام الأخيرة قد بدأ الله عهداً مع شعوب الأرض كلها ليكوّن الكنيسة (١ بط ٢: ٩، ١٠).

---

(٥) المرجع السابق.

(٦) مت ٢٦ : ٢٨.

لذلك فإن "العهد" الجديد أكثر من كتاب مسطور، فنحن بأنفسنا وأشخاصنا ننتمي للعهد الجديد. نحن شعب العهد، الكنيسة هي شعب العهد، نحن الذين نشهد لكلمة الله، وللروح "الناطق في الأنبياء"[٧] قديماً، والذي "كلمنا في ابنه"[٨] حديثاً.

وماذا يعني هذا بأكثر تحديد؟

يعني أن كمال استعلان الله للبشرية هو المسيح يسوع. و "تاريخ" الرب يسوع المسيح هو تاريخ "بداية" الكنيسة، التي هي "جسده". هذا التاريخ الغني بخبرات الحياة مع الله هو أساس ما لدى الكنيسة من إيمان، وهو قاعدة اختبارها اليومي للتجسد على مدى الأجيال، وهو منطلق رجائها في كمال استعلان الله في الدهر الآتي المزمع أن يكون. فالكنيسة هي امتداد التجسد في البشرية الجديدة.

ومن هنا يمكننا أيضاً أن نفهم جيداً ونستلم من الآباء أسلوب الدفاع :

١.الشهادة بالحياة
سند ومرشد للشهادة بالكلمات:

لذلك فإن "**الحق**" الذي هو إعلان الله للبشرية، محفوظ في الكنيسة، ليس فقط في صحائف ورقوق وبحبر وعلي ورق، بل أولاً في **حياة واختبار الكنيسة** لإنجيل ربنا يسوع المسيح علي مدي العصور.

وعلي هذا نستطيع أن نفهم كيف أن "**حروف**" و "**كلمات**" الوحي المسطرة في الكتاب المقدس، ليس لها من يشهد لها ويفسرها ويوضح غوامضها مثل الكنيسة باعتبارها المؤتمنة علي تذوق حياة الله والشهادة لها بموجب الاختبار الحي الدائم لها.

وكلمات الوحي محفوظة ومصونة بالروح القدس الساكن في وسط الكنيسة التي

(٧) قانون الإيمان.

(٨) الرسالة إلى العبرانيين ١ : ١،٢.

هي "عمود الحق وقاعدته"(١ تي ٣ : ١٥). والروح القدس هو الذي يستعلن مضمون "كلام" الله أنه "روح وحياة"، وأن كلمة الله "حية وفعالة".

أما القانون الروحي الثاني الذي حكم نهج الآباء في الدفاع عن الإيمان فهو:

حياة الكنيسة اليومية
هي برهان الحق والخلاص الأبديين:

إن الكنيسة (أي شعب الله، شعب العهد) وهي تشهد للوحي ولكلمة الله، لا تشهد فقط لأحداث مضت، بل إنه بدوام اكتشاف الحق الإلهي المسلَّم مرة للقديسين والمحفوظ دائماً أبداً بالإيمان، هي تعيد ممارسة هذا الحق مجدداً كل يوم، لتُظهر عملياً (قبل الكلام) أن المسيح نفسه حاضر دائماً كرَبٍّ وسط الخليقة وأنه "ملك الخليقة كلها"[٩]، حاضر باعتباره الرب الفادي من الموت، الذي غلب الموت، باعتباره رأس الجسد والواهب للجسد روح القيامة. وأنه مازال يمارس خدمته الكفارية وعمله التجديدي للعالم كله من خلال الكنيسة.

الخلاص بهذا المعني الحي، ليس فقط يُعلَن ويُذاع من على منابر الكنيسة بالكلمات، بل تتواصل ممارسته بالأسرار "في" الكنيسة، أي في حياة المؤمنين بالمسيح في كل جيل. فالتاريخ الإلهي مستمر. "**أعمال الله العظيمة**" مازالت تجري. "**عظائم الله**"[١٠] ليست وقفاً علي الماضي، إنها حاضرة دائماً أبداً، ويدوم تكميلها في العالم بواسطة الكنيسة "وفي" الكنيسة. هذا العمل الزاخر الذي تمارسه الكنيسة كل يوم هو ما يُعبَّر عنه "**بالحياة السرائرية**" للكنيسة.

شرح الكتاب المقدس حسب الحياة، وليس بالمحاجاة:

المحاجاة والنقاش والجدل والاقتباسات، سواء من الكتاب المقدس أو من التقليد، أمر

(٩) صلوات لقان خميس العهد.

(١٠) مزمور ٧١ : ١٩، أيوب ٥ : ٩.

لا يكفي ولا يبني الإيمان المسيحي الصحيح. إذ لابد من شرح الكتاب المقدس بـالتقليد، وشرح التقليد بالحياة حسب أصول الإيمان، والتأكد من الحياة أنها مستلمة من داخل الكنيسة.

لذلك، وحينما آن الأوان، كانت مواجهة الهرطقات بالرجوع إلى "كلمات" الوحي و "كلمات" التقليد (وهذه هي الأسانيد الخارجية)، سلاحاً ذا قوة وفاعلية في حالة واحدة فقط، وهي أن تكون مبرهنة ومسنودة بالشهادة الباطنية التي في حياة الكنيسة المطابقة والممتدة بحياة المسيح التي سلمها للرسل، والرسل سلموها لآباء الكنيسة القديسين.

ولكن بدون هذه الشهادة الباطنية لعمل الله فينا أي في القلب تبقى شهادة "الكلمات" الخارجية منطقاً عقلياً بشرياً، لا يستطيع أن يقيم البشرية من مواتها، إذ تكون قد انتفت الشهادة "للحياة" "بالحياة"، وتبقي فقط الشهادة "للكلمات" "بالكلام" والحروف. "والحرف يقتل" حسب قول الإنجيل (٢ كو ٣ : ٦).

فما نقرأه في كتابات الآباء المدافعين هو "الأسانيد الخارجية" المعتمدة علي آيات الكتاب المقدس والتقليد. ولكن ما يقف وراء هذه الأسانيد هو **حياتهم وسيرهم الطاهرة وحياة وسيرة الكنيسة** – أي المؤمنين – الذين عاشوا تحت رعايتهم، هذه الأسانيد الباطنية : ذخيرة الخبرات الروحية المتواصلة – التي كما نقرأ في تاريخ آباء الكنيسة في عصرهم الذهبي – كانت شهادة حية للإنجيل وللأمانة في الحياة بحسب وصاياه تماماً، وهي التي حسمت المعركة في النهاية لصالح الحق والإيمان، **فدماء الشهداء لا تفترق عن دفاع الآباء عن الإيمان.**

<u>إذن ما هي سمة الأسانيد الأرثوذكسية، مقابل الهرطقات :</u>

ما يميز "الأرثوذكسية" علي الهرطقة، إذن، أن الأولى **تقدم كلمة الله من خلال الحياة البسيطة حسب الإنجيل التي تعيشها الكنيسة**، والتي تشهد حقاً وصدقاً – بتأييد

الضمير وروح الله - لنقاوة الكلمات المقولة من على المنابر أو المسطّرة في صحائف الكتب.

فعلي قدر خضوع المؤمنين - والرعاة والمعلمون علي رأسهم - لسلطان كلمة الله وعمل الروح القدس في حياتهم امتداداً لحياة الرسل والكنيسة، علي قدر ما يكون انسياب عمل الخلاص الإلهي للعالم من خلالهم، وعلي قدر ما يكون إظهار الحق الإلهي للمخالفين مُقْنعاً أو مبكّتاً أو رادعاً، إذ هكذا استُعلنت "**الأرثوذكسية**" في وجه الهراطقة علي يد الآباء، في كل عصر كانت الكنيسة تحيا فيه حقاً حسب الإنجيل ووصايا المسيح، دون تأويل أو تفسير مخلٍّ، أو تكاسل أو هروب من الحياة بحسب وصية الإنجيل.

نموذج ومثل :

ويشهد المؤرخ سقراط[11] لهذا المعيار الأصيل الذي طالما تذكرته الكنيسة علي مدى العصور. إذ لما اشتد وطيس الجدل، يوماً، في أحد الاجتماعات التمهيدية لمناقشة الهرطقات، واتسعت دائرة البحث وتشعبت أطرافه، الأمر الذي جذب الكثيرين حول المتجادلين للاستماع إليهم، إذا برجل بسيط، تدل عينه الفاقدة البصر ورجله العرجاء، أنه قد احتمل الكثير من أجل التمسك بالإيمان في أيام الاضطهاد السابقة، هو القديس بفنوتيوس، خطا هذا الرجل في وسط المتناقشين المتحمسين، وفجأة خاطبهم قائلاً :

[إن المسيح والرسل لم يخلّفوا لنا مجموعة مسائل كلامية نعالجها بعلم المنطق، ولا خدعاً ومخاتلات باطلة، وإنما **خلّفوا لنا حقيقة عارية جلية، لنحفظها ونحرسها بالإيمان والأعمال الحسنة**]- القديس بفنوتيوس أسقف طيبة

---

(١١) عن "*عصر المجامع*" للقمص كيرلس الأنطوني (أنبا باسيليوس مطران الكرسي الأورشليمي) ، سنة ١٩٥٢، صفحة ٦١.

الفصل الثالث

جامعية الكنيسة وروح الإفراز، وحاسة الحق عند الآباء

أو معيار الحق في كنيسة الله

كما يُري في تاريخ آباء الكنيسة

ما هو معيار الحق في كنيسة الله؟

سؤال هام وحيوي أُثير دائماً أثناء الصراع مع الهراطقة في القرون الأولي، وهو يثار دائماً أمام كل قرار وتعليم جديدين في الكنيسة.

وإجابة السؤال كامنة في أسلوب جهاد الآباء وفي أصول مواجهتهم للهرطقات؛ ولكن لم يتطرق إلى الإجابة عنه صراحة وببصيرة روحية دقيقة في عصرنا الحاضر إلا القليل من اللاهوتيين[1].

ولابد أن نعرف أولاً، أن لمعيار الحق وجهين متلازمين:

الوجه الأول: هو المعيار الشكلي الخارجي.

والوجه الثاني: هو المعيار الباطني السري.

وهما وجهان لمعيار واحد، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، إذا أردنا حكماً صائباً على موضوع ما. أي أنه لا يمكن الأخذ فقط بالمعيار الشكلي الخارجي وحده، مثل النصوص المكتوبة سواء نصوص الإنجيل ونصوص التقليد أو كتابات الآباء أو قوانين

---

(١) قدم بحثاً في هذا الموضوع، اللاهوتي المعاصر Thomas Hopko ، حيث عرض فيه رأي ١٧ لاهوتياً يتبعون الكنيستين الروسية والبيزنطية وذلك في مقال بعنوان: Criteria of Truth in Orthodox Theology, St. Vladimir's Theological Quarterly. vol. 15, No 3, P. 127, New York, 1971,

المجامع (مكانية كانت هذه المجامع أم مسكونية) أو غيرها من وثائق الكنيسة الأولى (كما يفعل الشكليون الحرفيون)؛ كما لا يمكن الاعتماد فقط على المعيار الباطني وحده، وهو في عرف "العاطفيين **enthusiastic**" الإحساس الباطني الشخصي"[٢].

ولتبيان ذلك سنوضح في هذا المقال هذا الترابط العضوي، الذي لا سبيل إلى فصمه بأي حال، بين عوامل المعيار الشكلي الخارجي وبين المعيار الباطني السري القائم على شهادة الروح القدس، الروح القدس المعتبر أنه حياة الكنيسة، والذي لا يمكن للكنيسة أن تحيا بدونه:

الوجه الأول: المعيار الشكلي الخارجي

١ -الكتاب المقدس والتقليد:

وهما المرجع الأول الذي يُقاس الحق عليه في الكنيسة، الكتاب المقدس والتقليد، باعتبارهما إعلان الله نفسه للبشرية في شخص ابنه وكلمته يسوع المسيح. فهما السلطة العليا للتعليم في الكنيسة مهما تعاقبت العصور، والينبوع الأول للمعرفة والحياة، الذي لم يزل يتدفق منذ كنيسة الرسل وحتى الآن، بحيث لا يصح أن أي معلم أو مدبر في الكنيسة - فرداً كان أو جماعة - أن يغفله ولا يستند عليه، قبل مناداته بأي تعليم أو قرار يُستحدث في الكنيسة، على مدى العصور حتى الآن وإلى منتهى الأجيال التي ستعيشها الكنيسة على الأرض.

وحينما نقول "الكتاب المقدس" و "التقليد" لا ينبغي أن يُفهم من ذلك أن هناك مصدرين للوحي: الكتاب المقدس، والتقليد، ذلك لأن إعلان الله للبشرية ليس مجموعة تعاليم وحقائق مفروضة على العقل البشري لكي يفهمها ويقبلها صاغراً. لكن الأصل هو أن إعلان الله للبشرية في شخص ربنا يسوع المسيح، هو الشركة الجديدة بين الله

---

(٢) الشكليون أو الحرفيون يميلون إلى الأخذ فقط بالمعايير الخارجية، أي نصوص الكتب المقدسة والقوانين وحدها. بينما العاطفيون يميلون إلى الركون إلى إحساساتهم الداخلية فقط رافضين الحرف والنص، وهؤلاء منهم المونتانيون والدوناتيون قديماً، ومنهم من يسمون الآن بالخاريزماتيك حديثاً.

والناس التي أكملها للبشرية ابن الله، بتجسده، وأوصلها ومازال يوصلها للبشرية في كل جيل بالروح القدس المنسكب على الناس منذ يوم الخمسين وحتى الآن.

لكن "**نصوص**" الكتاب المقدس لم تخلق هذه الشركة، لكنها فقط تشهد وتبشر بحدوثها، بل وتستعلن استمرار حدوثها. والإنجيل يطالبنا بالدخول في هذه الشركة والثبات فيها.

أما **التقليد** فهو ممارسة هذه الشركة داخل الكنيسة، هو الأسرار كموصل للنعمة وكجاذب للدخول في دائرة الحياة الجديدة في المسيح، واستمرار هذه الشركة مع الله على مدى السنين والشهور والأيام، هو برهان نجاح حادثة التجسد، فهو حقيقة لم تفشل قط. قد يحدث الفشل في حياة بعض الأفراد أو الأمم والمجتمعات، لكن الكنيسة – كامتداد للتجسد – تظل ينبوعاً تتدفق منه قوة هذه الحياة من خلال إنجيلها وأسرارها، فهي لا تكف عن أن تعطي، وتخصب، وتقدس كل من يتقدم منها.

يتضح لنا هنا حقيقة هامة: أن عصمة الكنيسة وقداستها، ليس الأفراد هم الذين يحفظونها أو يعكرونها، بل هو **حضور الله الدائم بالروح القدس في وسطها هو الذي يحفظها، ويحفظ أعضاءها**، إذا هم داوموا على التغذي من ينبوع الطهارة والقداسة فيها. وعلى قياس هذا التواصل الدائم لينبوع الطهارة والقداسة والحق، تُقاس عصمة أعضاء الكنيسة وقداستهم ونقاوة سرائرهم وأفعالهم يوماً فيوماً، وعاماً وراء عام، وجيلاً بعد جيل.

ولكن أي عضو من أعضاء الكنيسة، وأي جماعة مسيحية، قد تقع في الخطية أو الخطأ، حينئذ تنفصل – لا محالة – عن الكنيسة – ولو إلى حين؛ أما الكنيسة فهي هي، في حق إنجيلها وطهارة أسرارها، تظل مرجعاً نهائياً وأخيراً للتصحيح والتوبة والرجوع.

٢ –الكنيسة / الشعب:

إن الكنيسة كبُنيان تُفهم في الأرثوذكسية على أنها أولاً "المؤمنون" الملقبون في

الاصطلاح الكنسي باسم "الشعب"[٣].

ويوضح القديس إيرينيئوس[٤] بمنتهى الجلاء أن الشعب المسيحي كله مؤتمن على الإيمان والتقليد، من حيث أن الرسل سلموا وديعتهم للكنيسة الأمينة المجتمعة مع قوة ربنا يسوع المسيح (١ كو ٥: ٤). هذه الكنيسة / الشعب هي التي تنتخب وتقيم الرعاة من بينها ليؤتمنوا ويتخصصوا في حفظ وتسليم الإيمان الرسولي المسلم مرة للقديسين (رسالة يهوذا: ٣). لذلك فالكنيسة / الشعب تعتبر أنها هي المرجع الأخير في الأرثوذكسية، الذي رجع إليه الآباء الأرثوذكس لاعتماد قرارات المجامع والأساقفة[٥]، أو للحفاظ على سلامة الإيمان الأرثوذكسي ونقاوته.

على أن هذا التركيز على دور الشعب في الكنيسة، يجب أن يصاحبه بنفس القدر تركيز على توضيح لمعنى كلمة "الشعب"، وعلى عمل الروح القدس في تكوين الشعب باعتباره جسد المسيح. فالشعب يحتل مركز الأعضاء في الجسد. ونقصد الجسد الذي يؤالفه المسيح إلى نفسه من خلال سر الإفخارستيا، وبالروح القدس الذي نفخه في التلاميذ، ومازال ينفخه في كل عضو جديد يلتحق بالجسد بالمعمودية والمسحة المقدستين. إن شركة المؤمن في جسد المسيح بالروح القدس هي التي تهبه الحق في أن يكون مشاركاً في حياة الجسد وخدمته بحسب ما يقسم له الله. فالشعب، ليس مقصوداً به الجموع التي تتسمى بأسماء مسيحية، بل جماهير المؤمنين الواعين للتقليد والأمناء على حفظ الإنجيل في حياتهم وسلوكهم اليوميين.

فإن كان جوهر ما تسلمته الكنيسة هو "كلمة الحياة" (١ يو ١: ١)، وهو "الماء

---

(٣) تترجم خطأ في بعض الكتب "العلمانيون". والمقصود بكلمة "الشعب" ما هو مقصود بنفس الكلمة في العهد القديم "شعب الله" الذي اختاره الله ليشهد لخلاصه وسط العالم، وليس بالمعنى السياسي أو الاجتماعي لكلمة "الشعب"، أي عامة الناس . راجع بالتفصيل "رتبة الشعب" في كتاب ***"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"*** للمؤلف، ص ١٩ وما بعدها.

(٤) أقوال القديس إيرينيئوس في شرح دور الشعب ووظيفته، راجع فصل "دعوة الكنيسة في العالم" في هذا الكتاب.

(٥) كما اتضح في حديث العلامة أوريجانس (القرن الثالث) داخل مجمع بلاد العرب ومن أمثلة أخرى في تاريخ المجامع – راجع فصل : "بروتوكولات إقامة وانعقاد المجامع" في كتاب ***"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"*** للمؤلف، ص ١٧١-١٨١، حيث يوضح تاريخياً هذا الدور الملقى على عاتق الشعب المؤمن .

الذي ينبع إلى حياة أبدية" (يو ٤: ١٤)، الذي استُعلن في الإصحاح السابع من إنجيل يوحنا على أنه فيض انسكاب الروح القدس؛ حينئذ يصبح الشعب - أي أعضاء الجسد السري للمسيح - الذين نالوا الروح القدس، مسئولين ومشاركين تماماً وبالسوية في حفظ كلمة الله (الإنجيل)، وفي الشركة في حياة الله (التقليد)، وفي الشهادة لهما، وفي قيامهما على طول الأجيال. وعلى هذا فلا مكان للامبالاة التي يهرب بها المؤمنون أحياناً من مسئوليتهم عن استقامة الإيمان وطهارة السلوك داخل الكنيسة عامة.

٣ -سر الكهنوت في الكنيسة:

بعد أن يخاطب الوحي - على لسان القديس بولس - الكنيسة / الشعب قائلاً: "وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً"، يكشف جانباً من العضوية الوظيفية في هذا الجسد هكذا: "فوضع الله أناساً في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانياً أنبياء، ثالثاً معلمين، ثم قوات، وبعد ذلك مواهب شفاء، أعواناً تدابير وأنواع ألسنة" (١ كو ١٢: ٢٨).

أي أن خدمة حفظ كلمة الحق (معلمين) والتدبير (أعواناً تدابير)، قد ائتمنت لأناس معينين ينالون هذه النعمة من الروح القدس حسب كلمات الرسول بولس ومن أجل بنيان الكنيسة ، ولكن في إطار الجسد الواحد الذي هو الشعب "وأما أنتم فجسد المسيح" فهم أعضاء أولاً في الجسد، ثم ثانياً، فإن ما يؤدونه من خدمة "يعملها الروح الواحد بعينه" (١ كو ١٢: ١١)، إنما يؤدونها من أجل باقي الأعضاء (١ كو ٢: ٢٥).

هذا الوضع الإلهي للتعليم والتدبير في الكنيسة يعني أن **سر الكهنوت:**

١ - مستمد من الله نفسه («وضع الله أناساً»).

٢ - ومن خلال الكنيسة كجسد المسيح (وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً).

١ - مستمد من الله نفسه:

وعلى ذلك يكون الله هو السلطة العليا والوحيدة في الكنيسة، ويكون أن كل من يخدم في الكنيسة فهو يخدم من تحت سلطان صاحب الحق في الكنيسة، بحيث أن السلطان الممنوح للكهنوت متوقف في استمراره وشرعيته على أمانة نُطق حامل الكهنوت لكلمة الحق الإلهي المعلن في الإنجيل والحياة بحسب القداسة الممنوحة في الأسرار، **فالحق والقداسة الإلهيين هما المانح لسلطان الكاهن، وليس العكس، أي**

ليس الحق هو ما يقوله الكاهن مهما كان ما يقوله الكاهن مخالفاً للحق، بل الحق الإلهي هو الذي يحكم على ما يقوله الكاهن، فيزكيه إن كان مطابقاً، ويدينه إن كان مخالفا.

٢ – ومن خلال الكنيسة / الشعب كجسد المسيح:

أي أن سلطة الكهنوت ليست سلطة خارجة عن الجسد، أو مفروضة عليه من خارجه، بل هي نابعة من الله من خلال الكنيسة المجتمعة، وبمقتضى حق اختيارها للخادم والراعي ليكون حارساً وحافظاً – بنوع من التخصص – لما ائتمنت عليه الكنيسة كلها من حفظ وحراسة لتعليم الرسل (الإنجيل) وحياتهم (التقليد). فخادم الكهنوت، بمقتضى اختيار الكنيسة له، ملتزم بالنطق بالتعليم الذي تسلّم للكنيسة على تعاقب الأجيال. و لم تعترف الكنيسة الأرثوذكسية بأي تعليم أو سلوك غير إنجيلي تقليدي، بل وقاومته حتى الموت. وتاريخ الكنيسة مليء بالأمثلة والعبر.

والروح القدس الذي يعطيَ في سر المسحة المقدسة "الميرون" هو مانح مواهب ونعم الروح لأعضاء جسد المسيح الكنيسة. وكما مسح الروح القدس الإله المتجسد عند نهر الأردن؛ يمسح الروح القدس الكنيسة جسد المسيح أي الأعضاء لينال كل منهم الموهبة التي تؤهله لأداء العمل والخدمة حسب ما يقسم الروح لكل واحد. لذلك كانت الكنيسة منذ الزمن المبكر تطلب دائماً اشتراك الشعب في كل قرار. أما عدم اشتراك الشعب أي شعب الله جسد المسيح ينفي عن القرار الشرعية الكنسية.

نماذج وأمثلة:

إن التاريخ يسرد لنا أن الكنيسة بكل فئاتها كانت تمارس مسئوليتها عن قيام الحق وعن سلامة التدبير الرعوي فيها. ومن أمثلة ذلك:

١. **تاريخ مواقف شعب الإسكندرية وباقي البلاد المصرية**، وهو أعزل، أمام محاولات فرض عقيدة منحرفة عليه، وذلك أيام جهاد القديس أثناسيوس الرسولي (القرن الرابع)، وأيام البابا ديسقوروس (القرن الخامس) حيث وقف الشعب أيضاً أمام البيزنطيين الذين حاولوا فرض عقيدة الطبيعتين من خلال بطاركتهم وأساقفتهم وبالقوة العسكرية.

٢. **أما في كنيسة القسطنطينية فهي تفخر بالشاب التقي أوسابيوس**[٦] الذي كان أول من اعترض على البطريرك نسطور وهو يعظ في الكاتدرائية الكبرى هناك ليلة عيد الميلاد عام ٤٢٨ م حينما تكلم البطريرك بما يخالف عقيدة الكنيسة تجاه شخص المسيح والقديسة العذراء مريم فوقف من مقعده في الكاتدرائية واعترض قائلاً [إن كلمة الله الذي وُلد قبل الدهور قد أخلى ذاته ووُلد ثانية في الزمن من القديسة العذراء مريم] مما أثار هرجاً ومرجاً داخل الكنيسة التي كانت تغص بالمصلّين وعلى رأسهم الإمبراطور وكبار رجال الدولة. (ويذكر هذه الواقعة القديس البابا كيرلس الكبير عمود الدين في رسالته ضد نسطور **Adv. Nestor. 1:20** مادحاً هذا الشاب)، وكانت هذه الوقفة الجريئة من أوسابيوس أحد أعضاء شعب الكنيسة (الذين يسمونهم خطأ "علمانيون") بمثابة صوت الإنذار الأول الذي نبه الكنيسة في العالم أجمع لهرطقة النسطورية.

٣. **ورهبان مصر كانت لهم مسئوليات تاريخية ، سجلها لهم التاريخ ، للدفاع عن الإيمان والانتباه للخطأ قبل أن يستشري**، وكان ذلك أيام آريوس أو نسطور أو مجمع خلقيدونية ، أو في بعض التجاوزات في التعليم والسلوك داخل الكنيسة نفسها. ويسجل المؤرخ سقراط (القرن الخامس) في تاريخه الكنسي ٦ : ٧ حواراً دار بين بعض رهبان الإسقيط وبين البابا ثاوفيلس أسقف الإسكندرية ، صحح بعده ثاوفيلس بعض مواقفه. وتسجل مخطوطة قبطية من القرن السابع (كانت محفوظة على الأرجح بمكتبة كنيسة يوحنا المعمدان بالإسكندرية) قصة حوار طريف دار بين ناسك اسمه **أبا آفو نزل من مغارته ليقابل البابا ثاوفيلس ويسأله بشأن ما ورد في رسالته الفصحية** (غالباً سنة

---

(٦) يسجل التاريخ عن هذا الشاب أنه كان يشتغل بالقانون ومحامياً أمام المحاكم في القسطنطينية، وكان خطيباً، كما كان في الوقت نفسه معلّماً للإمبراطورة. وقال عن نفسه إنه فقير وإنه كان مهدّداً دائماً من سطوة رجال الكنيسة المنحرفين الذين كان يقاوم أخطاءهم وهرطقاتهم إذ كانوا يستعدون السلطات الحاكمة ضده. وظل يدافع عن الإيمان الأرثوذكسي طيلة حياته، وتعرض للسجن والتشهير بسبب جهاده. راجع سيرة حياته الكاملة في:

A Dictionary of Christian Biography, Ed. Henry Wace, D.D., 1994, USA, pp 334-335.

٣٩٩ م) ، وانتهي الحوار بأن صحح البابا ثاوفيلس رأيه في رسالة لاحقة[٧] .

من هذا يتبين أن معيار الحق يتوقف لا على مَنْ الذي ينطق بكلمة الحق ، **بل على طبيعة هذه الكلمة ؛ هل هي كلمة الحق الإلهي؟ وعلى طبيعة السلوك المطروح أمام الكنيسة ، هل هو سلوك الطهارة والقداسة وطاعة الوصية ؟**

٤ -المجامع الكنسية (الإقليمية والمسكونية)[٨] :

المجمع الكنسي الذي يلتئم من رجال الكهنوت، إما على مستوي الإقليم (وهذا يسمى "المجمع المكاني أو الإقليمي")، أو على مستوي العالم كله (وهذا يسمي "المجمع المسكوني")، هو سلطة عليا في الكنيسة، ويحدد نفوذ هذه السلطة بقدر ما يتوافق المجمع مع مشيئة الروح القدس.

والتئام المجمع الكنسي ليس على مثال التئام أي مجمع أو مؤتمر أو مجلس بشري. فالمجمع يلتئم أعضاؤه باسم المسيح، ويجب أن يشهد بحق على حضور الروح القدس:

[بجمع الكهنة شهادة على حضور الروح القدس][٩]- من رسالة سلستين أسقف روما.

وهو مُطالَب، بناء على ذلك، باستعلان مشيئة الروح القدس في كل ما يعرض له من قضايا وتعاليم وقرارات، بما لا يتعارض أبداً مع استعلان المشيئة الإلهية عينها في الإنجيل والتقليد[١٠] حتى يقول بحق: "قد رأي الروح القدس ونحن" (أع ١٥: ٢٨).

---

(٧) نشرت هذه المخطوطة في مجلة : Revue Egyptologique LLL, 1, 27-33 وهي محفوظة الآن بمتحف تورين بإيطاليا .

(٨) راجع فصل "المجامع الكنسية المقدسة"، كتاب *"التدبير الإلهي في تأسيس الكنيسة"* ص ١٦١-١٨١

(٩) N & P.N.F., 2nd Series, vol. XIV, p. 220

(١٠) " قد رأي الروح القدس ونحن " (أع ١٥ : ٢٨)، هو المبدأ الإنجيلي في طريقة أخذ قرارات المجامع، أي أن يكون التصويت بالإجماع علي مشيئة الروح القدس المعلنة في المجمع . أما مبدأ الأخذ برأي "الأغلبية" فهو مستقي أصلاً من التشريع الروماني المدني، وقد أُدخل أول ما أدخل في قرارات مجمع نيقية، بناءً علي رغبة الإمبراطور قسطنطين، ليحصل به علي قرار قانوني من وجهة نظر الحكم الروماني، حتى يمكنه أن يعيد به السلام للإمبراطورية ، في مواجهة الهرطقة الآريوسية . ولكن هذا المبدأ وإن كان منطقياً وعملياً من الوجهة النظرية، لكنه من الوجهة الروحية لم يكن عادلاً، لأن الحق كان، في كثير من الأحيان ، في جانب الأقلية وليس الأغلبية، وقد انتصر في النهاية ، لا لأن الرأي كان في صف الأغلبية أو الأقلية ، ولكن لأن الروح القدس روح الحق، هو الذي يحكم الكنيسة ويقود تاريخها بصبر وطول أناة .

لا عصمة للمجامع الكهنوتية إلا إذا توافقت مع مشيئة الروح القدس:

وهذا الحضور **لا يسبغ أي عصمة على المجامع الكهنوتية**، ولكنه بالأحرى يعلن عن سلطة الروح القدس نفسه، كَرَبٍّ، على الكنيسة، فهو ليس قوة هائمة غامضة، بل أقنوم إلهي منبثق من الآب، وشاهد لشخص المسيح الإلهي رأس الكنيسة الوحيد، ومُذكّر بوصاياه وتعاليمه. فهو مستوجب الطاعة والامتثال لمشيئته، بحيث أن ما يصدر عن المجامع الكنسية يجب حتماً أن يكون متوافقاً مع مشيئة الروح القدس المستعلنة في الإنجيل والتقليد المقدسين، ولا يصح أن يكون، بأي حال، متناقضاً مع أي منهما، وإلا يكون بمثابة مقاومة للروح القدس شخصياً (أع ٥: ٣). وقد وضح من سفر الأعمال ومن سياق أحداث تاريخ الكنيسة، أن التحدث باسم الروح القدس كذباً، أو نسبة الأخطاء والهرطقات إلى الروح القدس، هو أعظم الخطايا، وقد استوجبت عقاباً شنيعاً (راجع رسالة القديس أثناسيوس إلى سيرابيون عن طريقة موت آريوس)[١١]

وقد حث الإنجيل والتشريع الكنسي من بعده[١٢] الكنيسة / الشعب على عدم إتباع أي تعليم أو سلوك مخالف لتعليم الرسل وحياتهم المُسلَّم مرة للقديسين. لذلك جري العرف بالقانون علي أن شرعية أي مجمع كنسي كانت تتقرر بقبول الكنيسة / الشعب له في النهاية قبولاً صحيحاً، عن وعي روحي لاهوتي ومعرفة وإفراز. ولم تعرف الكنيسة الأرثوذكسية أي سلطة لفرض تعليم كنسي أو سلوك ما - غير موافق لمشيئة الروح القدس - على الكنيسة / الشعب، وكأن هناك سلطة عليا معصومة من الخطأ.

نماذج وأمثلة:

١.إن إلغاء قرارات مجامع كهنوتية، لمجانبتها الحق، حقيقة واردة في تاريخ المجامع. فقد يصحح مجمع لاحق أعمال مجمع سابق. كما حدث مثلاً للمجمع الذي عقده البابا ثاوفيلس الإسكندري - والمسمي بمجمع البلوطة - في يوليو سنة ٤٠٣، وحكم فيه

---

(١١) N. &P.N.F., 2nd Series, vol. IV, p. 564-566

(١٢) ١ تي ٦ : ٣-٥، القديس إيرينئوس - ضد الهرطقات، راجع فصل : "دعوة الكنيسة في العالم" في هذا الكتاب.

بالحرم والنفي على القديس يوحنا ذهبي الفم. ثم ألغي قراره هذا وصححه مجمع لاحق برئاسة خلَف البابا ثاوفيلس (وابن أخته) القديس البابا كيرلس الكبير عام ٤١٧م، حيث حلَّ هذا الحرم وأمر بإدراج اسم القديس يوحنا ذهبي الفم في لائحة القديسين الذين تُقرأ أسماؤهم في القداس.

٢. **ومن المعروف تاريخياً ، أن الكنيسة كلها في مصر والشرق، كانت مستاءة من قرار ذلك المجمع الأول،** والذي سبب انقسامات وتراشقات بالحرومات بين الأطراف المختلفة. وقد عبَّر عن هذا الاستياء ، ضمناً، رهبان الإسقيط؛ وصراخ القديس إيسيذوروس الفرمي (تنيح عام ٤٥٠م) الناسك والعالم اللاهوتي المشهور، والذي كان هو الأب الروحي للبابا كيرلس الكبير حتى بعد سيامته بطريركاً. فأرسل للبابا كيرلس يستحثه على إلغاء هذا القرار الجائر ، وذلك في رسالته المرقمة بالرسالة الأولي : فصل ٣٧ . فامتثل البابا كيرلس لمشورته ، وصحح الوضع، وأعاد السلام للكنيسة .

٣. **كما أن قبول قرارات أي مجمع يخالف التقليد الكنسي لم يكن أمراً إلزامياً على الكنيسة على مدى تاريخها الطويل** . وقد رفضت الكنيسة ، أيام البابا أثناسيوس الرسولي ، قرارات مجامع آريوسية عدة (مثل مجمع صور) لحرم القديس أثناسيوس. كما رفضت في عصور متعاقبة ، مجامع أخذت صورة المجمع المسكوني ، مثل **مجمع خلقيدونية** الذي حضره ما بين ٥٠٠-٦٠٠ أسقف . ومنه ما عُقد برئاسة أحد بابوات الإسكندرية ، مثل مجمع البلوطة، الذي حضره حوالي ٤٠ أسقفاً . لذلك فإن معيار قبول أو عدم قبول المجمع مرجعه ليس في توافر أي شرط شكلي (عدد الأساقفة، أو صفة المسكونية، أو من الذي رأسه، أو رأي الأغلبية ... الخ)، ولكن في **صحة قراراته ومطابقتها لمشيئة الروح القدس، ثم قبول الكنيسة له بالوعي الروحي واللاهوتي الواجب .**

٥ – أقوال الآباء وقوانين الكنيسة:

وإذا ما ذكرنا الآباء الكنسيين وأقوالهم وكتاباتهم، فهم في الواقع يمثلون حقيقة استمرار حضور الروح القدس في الكنيسة على مدى السنين والأجيال، ملهماً وموحياً لها من خلالهم، في كل ما يعرض لها من قضايا معاصرة. بل يجب تأكيد الإيمان من

الكتاب المقدس والآباء حسب قانون الإيمان أو قاعدة الإيمان وحسب الممارسة الكنسية والعبادة الليتورجية.

ولكن الرجوع إلى نصوص الآباء وحدها لا يكفي أبداً لإفراز الحق من الباطل في الكنيسة، بل لابد من توفر الروح عينه الذي ألهم الآباء وقادهم، حيث يمكن حينئذ فهم مضمون الفكر الآبائي ومواصلة ممارسته في الكنيسة.

أما القوانين الكنسية، والتزام الكنيسة بنصوص "قوانين" أو "نواميس"، فهو لا يتعارض على الإطلاق مع كون الكنيسة شركة سرائرية مع الله في المسيح بالروح القدس، لأن حكم الكنيسة على الأرض عمل ضروري ويستوجب استخدام الأسلوب التشريعي أحياناً، الأمر الذي لا يمكن تجنبه، ولكن دون أن يتعدى على الحقيقة الروحية في الكنيسة.

المعيار الخارجي الشكلي وحده لا يكفي:

لقد أوضح القديس أثناسيوس الرسولي، في دفاعه عن الإيمان، أنه حتى الكتاب المقدس والتقليد يمكن أن يكونا مرجعاً أيضاً للهراطقة، في خطئهم وهرطقتهم، بحيث يختلط الحق مع الباطل أمام المؤمنين. كما قد يتعدى حُرَّاس القانون أنفسهم حدود القانون ويكسرونه، سواء صراحة أو تحايلاً.

لذلك فإن القديس أثناسيوس نفسه يعترف بأن سر وضوح رؤيته للحق كان هو **"نعمة" الروح**[13] التي بها استطاع أن يميز الحق من وسط المظاهر الكاذبة للهراطقة، ويشهد له وسط جيله الذي عاش فيه بأمانة وصبر حتى النهاية.

وعلى هذا يبقي أخيراً...

---

(١٣) St. Athanas., To the Bishops of Egypt, N. & P.N.F., 2nd Series, vol. IV, p. 233.

الوجه الثاني: المعيار الباطني السري Mystical

الروح القدس كمعيار الحق في الكنيسة:

الروح القدس هو مصدر العصمة في الكنيسة:

العصمة تُفهم في العالم المسيحي على طريقتين:

١. العصمة من الخطأ في التعليم. وهو مفهوم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية وهو ما ترفضه الكنائس الأرثوذكسية.

٢. عصمة المسيح الحق المتجسد، فهو وحده المعصوم. ولذلك كل شهادة تؤكد ألوهية الرب وتجسده وموته المُحيي وقيامته هي شهادة حق معصومة من الخطأ طالما أنها تؤكد حق الإنجيل، وتُنطق بالروح القدس.

لذلك حتى وفي وجود المعايير الخارجية في الكنيسة (مثل التقليد وقوانين وقرارات المجامع والكنيسة نفسها بشعبها وسلطانها الكهنوتي)، فإن الروح القدس يبقى وحده المعيار المطلق للحق معلَناً من خلال هذه المعايير الخارجية.

والسبب في أن الروح وحده يبقي هو السلطة المطلقة في الكنيسة، أن كل هذه المعايير الخارجية، إذا فقدت مضمون الروح القدس وقوته، تقتصر على كونها سلطة خارجة عن المؤمن مفروضة عليه قسراً، إلى أن تنال شرعيتها بالروح القدس إذا كانت إعلاناً لمشيئته الإلهية المقدسة، فتتحول في الحال إلى معيار باطني صحيح لحق الله في الكنيسة، عليه يقاس كل تعليم وسلوك من الأفراد أو الجماعات.

لذلك، فإن رجال الله الروحيين كانوا ضرورة في تاريخ الكنيسة، لأنهم هم الذين استطاعوا "بنعمة الروح" أن يحفظوا ويتمموا عمل الشهادة للحق، بالروح القدس؛ والإفراز الدقيق بين الحق والباطل في الكنيسة، خاصة أوقات حروب الهراطقة، وأيام الضعف الروحي اللاهوتي وعتمة الرؤية، أو أيام المحن والضيقات والخلافات. وهذه هي السمة التي تميز "آباء الكنيسة" عن معاصريهم في الكنيسة في كل جيل.

الفصل الرابع

موهبة الحق عند الآباء

في الفصل الثاني أوضحنا الأسانيد التي اعتمد عليها آباء الكنيسة الأبرار، وهم يواجهون هرطقات عصرهم، وهي : الكتاب المقدس ، التقليد- موضحين أن التقليد هو حياة الإيمان عبر الأجيال، هذه الحياة كانت هي مصدر الشهادة للحق وسند الرجوع لنصوص وكلمات الكتاب المقدس.

١- موهبة الحق عند الآباء

إن النطق بالحق-عند الآباء- كان موهبة، مثلها في ذلك مثل أي موهبة روحية أخرى. وقد أُعطيت موهبة النطق بالحق للآباء، ليشهدوا للحق الإلهي المختص بتدبير الله لخلاص العالم.

ويفرق القديس إيرينيئوس بين موهبة الحق، وبين زيف تعليم الهراطقة، بالقصة الوصفية التالية :

كمثل فنان ماهر أبدع صورة جميلة بالفسيفساء للملك، مرصعة بالجواهر الثمينة. ثم أتى رجل آخر وأخذ هذه الجواهر بعينها وانتزعها من اللوحة، وأعاد تركيبها على نمط وترتيب آخر، ليقدم بها صورة كلب أو ذئب!... ثم بدأ يدّعي أن هذه هي ذات الصورة الأصلية المرصعة بيد الفنان الأول، تحت ادعاء أن الفسيفساء الثمينة المرصعة بها الصورة، هي هي الجواهر الثمينة الأولى بعينها.

هذا هو حال الهراطقة وكل مبتدع في الكنيسة، إذا تقدموا لتفسير آيات الكتاب المقدس، دون اعتبار للمنهج العام أو للارتباط العضوي للآيات وللأسفار، حينئذ يكونون في الحقيقة قد هدموا الحق. صحيح أن الكلمات والتعبيرات والتأملات هي بذاتها الأولى والأصلية، لكن تصميم بنيانهم التعليمي عشوائي ولا يوضح تدبير الخلاص

الإلهي كما هو في حقيقته وفي غايته النهائية[1].

إن تصوير القديس إيرينيئوس صادق وواقعي. فالكتاب المقدس يوضح المنهج الكامل المتكامل للخلاص، متناسقاً ومتناغماً في كل أجزائه. أما الهراطقة (وكل المبتدعين آراءً شخصية) فإنهم يجهلون هذا المنهج أو تصميم البنيان، ويستبدلون به منهجاً آخر.

وبكلمات أخري، فإنهم يعيدون ترتيب التعاليم الإنجيلية بنسق غريب تماماً عن نسق تدبير الخلاص الإلهي، يحذفون منه ما يحذفون ويؤوِّلون المعاني كما يشاءون.

أما الآباء الأرثوذكس الذين-بحد تعبير القديس إيرينيئوس-قد حفظوا "قانون الحق" الذي قبلوه حين معموديتهم، فهم لا يجدون صعوبة في "ردِّ كل تعليم أو آية إلى وضعها المناسب". وحينئذ يقدمون الصورة الأصلية الحقيقية لإعلان الله للبشر.

هذه السهولة في تقديم " صورة التعليم" (رو ٦: ١٧) الصحيح، ليست من قبيل ذكاء بشري أو مهارة في الجدل أو أي موهبة بشرية أُخري- كما قد يظن البعض أو كما قد مارس ذلك بعض الهراطقة-لكنها ترجع أولاً إلى "موهبة الحق"**Charisma Veritatis**[2]

بحد تعبير القديس إيرينيئوس حينما قال:

[أولئك الذين نالوا، مع خلافة الرسل، **موهبة الحق**][3].

حيث يقرن القديس إيرينيئوس "موهبة الحق" مع "وظيفة الكهنوت"، كمؤهلين متلازمين لخادم الكنيسة. فالمؤهل الأول **موهبة**، والمؤهل الثاني **وظيفة**. ولا يمكن حفظ الإيمان إلا باقتران الاثنين معاً في شخص الكاهن. بحيث أنه لو حدث أن فُقِدت موهبة الحق من صاحب الوظيفة الكهنوتية، فإن الوظيفة وحدها لا تسعفه في حفظ الإيمان والشهادة لأرثوذكسية التعليم[4]، بل بالعكس يحدث ارتباك في مجال سياسة وتدبير

---

(١) ضد الهرطقات ١: ٨: ١

(٢) من حيث أن كتابات القديس إيرينيئوس عُثر عليها في ترجمتها اللاتينية، لذلك فقد أثبتنا النص اللاتيني للتعبير الذي كتبه القديس .

(٣) ضد الهرطقات ٤: ٢٦: ٢

(٤) سر الكهنوت ، مثله في ذلك مثل أي سر كنسي آخر، قد يفقد فيه مقتبل السر الموهبة إذا "سقط من النعمة" ، تماماً مثل المعمَّد الذي نال موهبة الحياة الجديدة ولباس الطهارة، فقد يفقد الموهبة إذا سقط من النعمة وتهاون في حفظ نقاوة لباس حياته الجديدة.

الكنيسة.

ولهذا فإن الأساقفة والقسوس اعتبروا أنهم "حُرَّاس وخدام" الحق الإلهي المحفوظ والمسلّم مرة للقديسين .

[حيث مواهب الرب محفوظة، فهناك يليق تعلم الحق، أي من أولئك الذين لهم خلافة الكنيسة من الرسل، الذين يبرزون سلوكاً حسناً بلا لوم، وكلاماً نقياً خلواً من الخطأ. لأن هؤلاء يحفظون إيماننا في الله الواحد، خالق الكل، ويستزيدوننا في المحبة لابن الله ، الذي تمم مثل هذا التنازل العجيب من أجلنا ، شارحين الأسفار لنا بدون تعثر، بلا تجديف على الله، وبلا رفض لرؤساء الآباء أو استخفاف بالأنبياء] – القديس إيريناوس[٥]

وعلى هذا الأساس لا تؤمن الكنيسة الأرثوذكسية بعصمة شخصية لرجال الكهنوت عامة.

٢- الرجوع للآباء

لقد بدأ الرجوع إلى تعليم آباء الكنيسة الأوائل منذ ما بعد عصر الآباء الرسوليين، حيث كان آباء الكنيسة هم أجدر مَنْ يستطيع تفسير تعليم الرسل، إما بسبب قربهم الشخصي من الرسل (مثل القديسين إغناطيوس وبوليكاربوس)، وإما بسبب شدة استنارتهم بالروح وقدرتهم على تلقي وإلقاء الرسالة المسيحية بعمقها واختبارها النقي الأول.

ولقد لُقِّب أساقفة الكراسي الرسولية باسم **"آباء"** من حيث أنهم صاروا – بمقتضى تسلسل الخلافة الرسولية – معلمين وشهوداً لإيمان الرسل عينه.

على أن هذا اللقب **"آباء"** انحصر – بعد عصر المجامع – في الأساقفة المعلمين الذين حضروا المجامع ، وفي بعض الكُتّاب الكنسيين، حتى ولو لم يكونوا أساقفة، وكان المعيار المشترك في جدارة حامل لقب "أسقف" أو لقب "أب" هو قدرته على نقل حياة وتعليم

(٥) ضد الهرطقات ٤: ٢٦: ٥.

الرسل بكل عمقها وأبعادها الصحيحة.

إن تعليم الآباء وحياتهم صارا مصدر إلهام للمجامع الكنسية (مسكونية كانت أو إقليمية)، بالرغم من غيبة هؤلاء الآباء أو بُعْد زمان المجامع عن زمان نياحتهم. وقد صار إتّباع "تعليم الآباء معلمي البيعة الأبرار" هو المعيار الرسمي لصحة قرارات أي مجمع أو أسقف في كل عصر. حتى أن القرار أو التعليم الجديد لا يكون صحيحاً مُلْزماً إلا إذا كان له سند واضح في تعليم الآباء وسلوكهم، وحينئذ تتحقق شرعية القرار وأرثوذكسية التعليم.

على أن هذا الإتباع لابد أن يكون مسنوداً بما يُسمي "إجماع الآباء" أو Consensus patrum ، حيث يُعتبر في علم اللاهوت مصدر نفوذ وسلطة لا حدَّ لهما. فلم تكن الآراء الشخصية هي المقصود بتعليم الآباء ، بل ما أُجمع عليه كل أو معظم الآباء[٦] من تعليم يختص بنمط حياة الكنيسة والتعليم المختص بالخلاص . هذا الإجماع صار هو التعبير عن فكر الكنيسة الجامعة ، وقوة التقليد المقدس ، وأرثوذكسية إيمان الكنيسة.

٣. جامعية الكنيسة ، وروح الإفراز

في دفاع آباء الكنيسة عن الإيمان الصحيح، وهم في مواجهتهم مع الهراطقة، كانوا يعبِّرون عن **جامعية الكنيسة**. ومن أهم خصائص **"جامعية"** الكنيسة **روح الإفراز** الذي فيها. ويعبر عن هذه السمة القديس غريغوريوس النيصي[٧] قائلاً :

[الحق يجتاز في الوسط ليبيد كل هرطقة ، ولكن ليقبل ما هو نافع فيها].

وهذا معناه أن الروح الجامعة المحتضنة التي في الكنيسة لها هذه السمة المزدوجة :

الوجهان المتحدان للروح الجامعة في الكنيسة:

١- فهي **ترفض كل ما هو شر وخطأ**، ترفضه رفضاً قاطعاً وبلا مساومة، باعتبار أن

---

(٦) تعتبر الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (ومعها كل كنائس العالم) تعليم الأبوين الكريمين القديس أثناسيوس الرسولي والقديس كيرلس الكبير معياراً ذا نفوذ وسلطة لقياس أرثوذكسية أي تعليم أو قرار جديد ينشأ في الكنيسة على ممر الأجيال.

(٧) Orat. Catech. 3.

التغاضي عن الخطأ والهرطقة هو قتل، ليس للتقليد الأرثوذكسي فحسب، بل والإنجيل الذي تأسس عليه.

٢- ولكن في الوقت نفسه، وبغريزة الحق الإلهي الذي فيها، هي **تقبل ما هو صالح**، ولو كان يردده المخالفون أو يمارسونه.

روح الإفراز هذه - بسمتها المزدوجة - كانت في عمق حياة وتعليم آباء الكنيسة المدافعين في القرون الأولى، وبها لم يخفق الآباء في تحسس الخطأ والهرطقة، وأيضاً لم يتعطلوا عن رؤية يد الله وحضوره أينما كان يظهر.

وليس القارئ بحاجة إلى أن نحدثه عن أمانة آباء الكنيسة في رفض الخطأ والهرطقة ودينونتهما بقوة ومثابرة وجهاد حتى الموت. ذلك لأن شراسة الهراطقة والمبتدعين على مدى تاريخ الكنيسة، قد أظهر بقوة ذلك الجانب الشجاع من جهاد الآباء المدافعين، أي جانب المقاومة والرفض للخطأ والانحراف .

ولكن ما نريد أن نبرزه ونكمل به رؤية القارئ وفكره عن حياة آباء الكنيسة في عصرهم الذهبي، هو ذلك **الجانب الإيجابي الآخر**، الذي يُبرز، بحق، اتساع روحهم واكتمال رؤيتهم للحق، هذا الجانب الذي قصَّرت كتب التاريخ الكنسي الحديث عن إبرازه، وغاب الاهتمام بدراسته، ونقصت مناهج تربية الشباب وباقي المؤمنين في إظهاره .

إذ تظهر **روح الإفراز** هذه ضمن ما تظهر في مظهرين للسلوك الآبائي أثناء الحوار والصراع ضد الهرطقات:

١- قبول الصحيح ولو كان عند المخالفين.

٢- الترفع عن ، وعدم التورط في المنازعة على الألفاظ والتعبيرات.

١- قبول الصحيح ولو كان عند المخالفين:

وكمَثَل من التاريخ نعرض لنموذج لممارسة هذا السلوك، في حادثة عرضت للقديس **البابا ديسقوروس** المعترف (تنيح سنة ٤٥٤م)، وأفصح فيها عن تواتر هذا التقليد عن أسلافه القديسين.

– ففي عمق معاناته في المنفى بسبب صموده ضد قرارات مجمع خلقيدونية ، اتهمه رفقاؤه في الإسكندرية وشككوا في أرثوذكسيته، ممسكين عليه أنه قال لفظاً لاهوتياً تداوله مجمع خلقيدونية، وهو أن "المسيح تألم بالجسد"، وهكذا وبناءً على تفكيرهم يكون البابا ديوسقوروس بالتالي خلقيدونياً في معتقده، لاستعماله لفظاً استعمله مجمع خلقيدونية! هذا هو ما اتهم به ديوسقوروس من رفقائه.

وقد ردَّ عليهم البابا ديوسقوروس برسالة ضافية نوَّه فيها عن ذلك المبدأ الآبائي العظيم، الذي نريد أن نبرزه هنا. قال البابا ديوسقوروس:

[ولكن قوماً يظنون بجهلهم ويقولون أننا إذا قلنا إن المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت، نوجد في هذا القول موافقين لأهل مجمع خلقيدونية. ونحن نجيبهم ونقول: **إن القديس كيرلس يكتب قائلاً: "إنه لا يجب أن ننتفي ونهرب من كل ما يقوله المخالفون ، لأنهم قد يعترفون كثيراً بالحق"[٨]. فإذا كان أهل مجمع خلقيدونية يعترفون بأن الله الكلمة تألم بالجسد وليس باللاهوت فإننا نوافقهم...**].

تعليق:

١– إن ورود هذا المبدأ : [لا ينبغي أن ننتفي (نرفض) ونهرب من كل ما يقوله المخالفون] على فم البابا ديوسقوروس، ورجوعه فيه إلى سلفه القديس البابا كيرلس الكبير، يعني أنه كان تقليداً سلوكياً متوارثاً حَكَمَ أسلوب الآباء الأرثوذكس في المواجهة مع خضم الآراء والمبادئ التي جنحت عن الإيمان الأرثوذكسي، جنباً إلى جنب مع تقليد مواجهة الخطأ والانحراف عن الإيمان الصحيح حتى الموت.

٢– لقد كان هذا المبدأ ينبع من حرية الروح التي عاش بها آباء الكنيسة، والتي بها استطاعوا أن يقبلوا الصحيح، دون تحرج من أنه يجري على ألسنة المخالفين . وبهذه

---

(٨) إن قول القديس كيرلس الكبير هذا الذي اقتبسه ورجع إليه البابا القديس ديسقوروس مسجل في المخطوطة العربية المعروفة المسماة "اعتراف الآباء في الأمانة" – مخطوطة مشهورة موجودة بمكتبات الأديرة والبطريركية. وهذا النص العربي مطابق للنص اليوناني الأصلي ضمن كتابات القديس كيرلس المنشورة باليونانية في مجموعة ميني المسماة : Patrologia Graeca, vol. 74, 255 A.

الحرية في الروح اتسم دفاعهم وجهادهم بصبغة الروح، وتأيد بالنعمة الفائقة، فتمجد الله في النهاية، وكان الحق يسطع في الكنيسة مرة أخرى على أيديهم بعد كل صراع مرير مع الهرطقات.

٣- ثم إن سلوكهم هذا كان له دلالة أخرى، فإنَّ تمكُّن آباء الكنيسة من مصادر التعليم الأرثوذكسية، وإحاطتهم جيداً بكل أعماقه ودقائقه (نتيجة لاستمرار اتصالهم بكتابات آباء الكنيسة السابقين دون انقطاع)، جعلهم في منأى من الزلل والتورط في الهرطقة وهم يواجهون الهرطقات في عصرهم[٩].

* ولكن إن كان الإحجام المتعمد، من جانب هؤلاء الهراطقة، عن التزام المسار الآبائي في التعليم والحياة تم في عصر الهرطقات، إلا أن الخطورة بدأت في الظهور ثانية لتهدد كنائس الشرق بعد القرن العاشر، بسبب الانقطاع عن مصادر التعليم في كتابات آباء الكنيسة، نتيجة لاندثار اللغتين القبطية واليونانية، وضياع المخطوطات الأصلية لهذه الكتابات، مما دفع البعض من المعلمين الأرثوذكس حتى إلى رفض وإدانة بعض التعاليم والمبادئ الأرثوذكسية ووصمها بالهرطقة **لمجرد أن المخالفين يرددونها أو يقولون تعاليم ومبادئ مثلها!!** وهكذا تخلخل الكثير من أساسات التعليم الأرثوذكسي المتكامل الأوجه. فهل من بداية جديدة تعيدنا إلى ينابيع الإيمان والحياة الأولى؟

٦- تحاشي المنازعة حول الألفاظ:

بالرغم من دقة التعبيرات اللاهوتية التي قدمها الآباء المدافعون لتحديد جوهر الإيمان الأرثوذكسي، وبالرغم من الرسالة الأساسية التي قام بها "اللفظ اللاهوتي" في حفظ مضمون الإيمان، وتوصيله من جيل إلى جيل، إلا أن الشرح الملازم لهذه التعبيرات كان يؤدي دوراً هاماً في حفظ حيوية الإيمان الأرثوذكسي وفعاليته الحرة في ربح النفوس،

---

(٩) معظم الهراطقة الكبار في الكنيسة كانوا محاربين شرسين للهرطقات وسقطوا في الهرطقة وهم يحاربون الهرطقات: مثل بولس السموساطي بطريرك أنطاكية، أريوس قس الإسكندرية، ونسطور بطريرك القسطنطينية الذي سُمي بـ "صياد الهراطقة" وغيرهم. ولكنهم سقطوا في الهرطقة لأنهم لم يكونوا على دراية كاملة بتعليم الإنجيل وعقيدة الآباء، وظنوا أنهم بمحاربتهم للهراطقة والهرطقات يكونون في مأمن من السقوط في الهرطقة. وهذا السقوط كان بسبب جهلهم أولاً ثم ابتعادهم عن النعمة بسبب كبريائهم ثانياً.

الذي بدونه ما أسوأ المشاكل التي كانت تحدث في تاريخ الكنيسة .

ومن هذا المنطلق سار آباء الكنيسة على المبدأ القائل :

[لسنا نتازع في الأسماء،

إذا فهمت المعاني].

القديس غريغوريوس اللاهوتي[10]

- وهكذا لم يكن اللفظ اللاهوتي يوماً من الأيام، مانعاً من قيام الوحدة في الكنيسة، وقد بذل الآباء المدافعون جهوداً جمة لكي يعوِّضوا، بالشرح المبسط والتوضيح المبين ، صعوبة اللفظ اللاهوتي ومحدوديته، هذين اللذين كانا في بعض الأحيان سبباً في قيام بعض العوائق أمام الوحدة. بل كانوا أحياناً يغفلون استعماله من أجل السلام والوحدة.

أمثلة:

- وأمامنا رسالة فريدة **للقديس أثناسيوس الرسولي**[11] قدَّم فيها شرحاً وافياً للجماعة المعروفة باسم "أنصاف الآريوسيين"، الذين بالرغم من عدم مشايعتهم تماماً لكل آراء الآريوسيين ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يقبلوا التعبير اللاهوتي الذي أتى به مجمع نيقية المسكوني عام ٣٢٥م، وهو "**الهوموؤوسيوس**" (والذي أراد به المجمع أن يعبِّر عن المساواة في الجوهر بين لاهوت الآب والابن).

لقد تباسط القديس أثناسيوس الرسولي – بروح الأب والراعي والعالِم بآن واحد – مع "أنصاف الآريوسيين" هؤلاء ، محجماً عن أن يدمغهم بالهرطقة، قاصداً أن يريح ضمائرهم ويربح نفوسهم في الوقت نفسه للإيمان الصحيح ، باعتبار أن عقيدتهم، وإن كانت مشوبة ببعض آراء الآريوسيين، إلا أن ذلك كان عن تعثر وتشكك في اللفظ فحسب (باعتباره غير وارد في الإنجيل)، وليس عن انحراف في الإيمان، مثل الآريوسيين، فاعتبر أخطاءهم عَرَضية غير حقيقية.

---

(١٠) مخطوطة "اعتراف الآباء في الأمانة"

(١١) De Synodis 33, N. & P.N.F., 2nd Ser., vol. IV, p.468.

– ويورد لنا المؤرخ **إبيفانيوس أسقف قبرص** – في هذا الصدد – لمنظر خاطف في لقاء خاص له مع البابا القديس أثناسيوس الرسولي وهو في أواخر أيامه.

فقد تقدم المؤرخ يسأل البابا أثناسيوس حول أرثوذكسية "مارسيللوس" أسقف أنقرة، (الذي كانت له بعض الآراء غير الدقيقة المختصة بالثالوث). أما القديس أثناسيوس، ذلك المحارب القديم الشجاع، فقد رفض أن يدين مارسيللوس، مكتفياً في إجابته بابتسامة، فهم منها إبيفانيوس أن سفينة "مارسيللوس" لا خوف عليها، إذ بدأت تقترب من ميناء الإيمان الصحيح![١٢]

– وفي تاريخ جهاد **القديس كيرلس الكبير** للدفاع عن الإيمان بوحدانية شخص المسيح، في مواجهة النسطورية التي أرادت أن تفصل فصلاً فاضحاً بين ناسوت ولاهوت المسيح، نراه يمارس سلوكه التدبيري الرعوي بعدم التورط في النزاع حول الألفاظ، وذلك في تعامله مع أساقفة المشرق (كنيسة أنطاكية ومن يتبعها)، الذين كانوا مشايعين لنسطور، إذ وهو يسعى لمصالحتهم مع الإيمان الصحيح ، رضي بكل التعديلات التي أجروها في رسالة الصلح التي بعثها لهم، والتي ضمَّنها بنود الإيمان بوحدانية شخص المسيح، رضي بها بعد اطمئنانه أنها لا تمس جوهر الإيمان ، حسب مفهومه المتسع الرحب لعمق الإيمان[١٣]، ومتغاضياً تماماً عن كل الإهانات الشخصية التي أساءوا بها لشخصه من قبل في مجمع أفسس سنة ٤٣١م، وأدت إلى سجنه بأمر الإمبراطور! تغاضى عن كل ذلك ، ليعيد الوحدة إلى الكنيسة.

تعليق :

١– إن سلوك الآباء المدافعين بهذا المسلك ، الذي كان ينبع أولاً من روح التدبير الرعوي في الكنيسة ، كان أساسه قائماً في رحابة الإيمان الأرثوذكسي بأعماقه وأوجهه المتنوعة الحاضنة لكل فكر صالح.

٢– كما أن ما كان لدى الآباء القديسين الأوائل من قدرات روحية ولاهوتية ممتازة،

---

(١٢) **Epiph., Haer., 72. 4**

(١٣) *تاريخ الكنيسة القبطية* – للشماس منسّى يوحنا، ص ٢٦٦، ١٩٧٩. ويلاحظ أن القديس كيرلس الكبير عامود الدين (الذي تنيح سنة ٤٤٤) تعرض أيضاً للوم رفقائه وتشككهم في أرثوذكسيته بسبب رحابة أفقه واتساع مفهوم إيمانه.

سهّل لهم أن يمارسوا ، بتمييز وإفراز ، نوعاً من التفريق الدقيق في التعامل ، بين **الهرطقة الكبرى كمنهج كامل متكامل** من الفكر العقائدي اللاهوتي المنحرف ، الكفيل بأن يهدم المسيحية من أساسها؛ وبين **الآراء والأفكار** ، التي كانت تنشأ بين الحين والآخر أو في التعليم اللاهوتي والتي لم يكونوا يتسرعون بتلقيبها بالهرطقة بل يتحملون عبء معالجتها بأنفسهم عن طريق الشرح والتفسير والتوضيح للعقيدة الأرثوذكسية.

هذه هي الجوانب المتكاملة التي عالج بها آباء الكنيسة، بحكمة وإفراز شديدين، هرطقات عصرهم، بها استطاعوا أن يجنبوا الكنيسة مخاطر وإزعاجات كثيرة، وقادوا بها السفينة بسلام، وسط جم من الأعاصير المهلكة ، خرج منها الإيمان الصحيح مكتمل الغلبة، زاخراً باستعلان أعماق جديدة ، ما كان يمكن بلوغها واكتشافها لو لم تتهيأ الكنيسة بالروح والحق لمواجهة هذه الهرطقة أو تلك .

والمجد لله في كل شيء

يطلب من المكتبات المسيحية


الثمن :
٥ جنيهات